بهجة المجالس وأنس المجالس

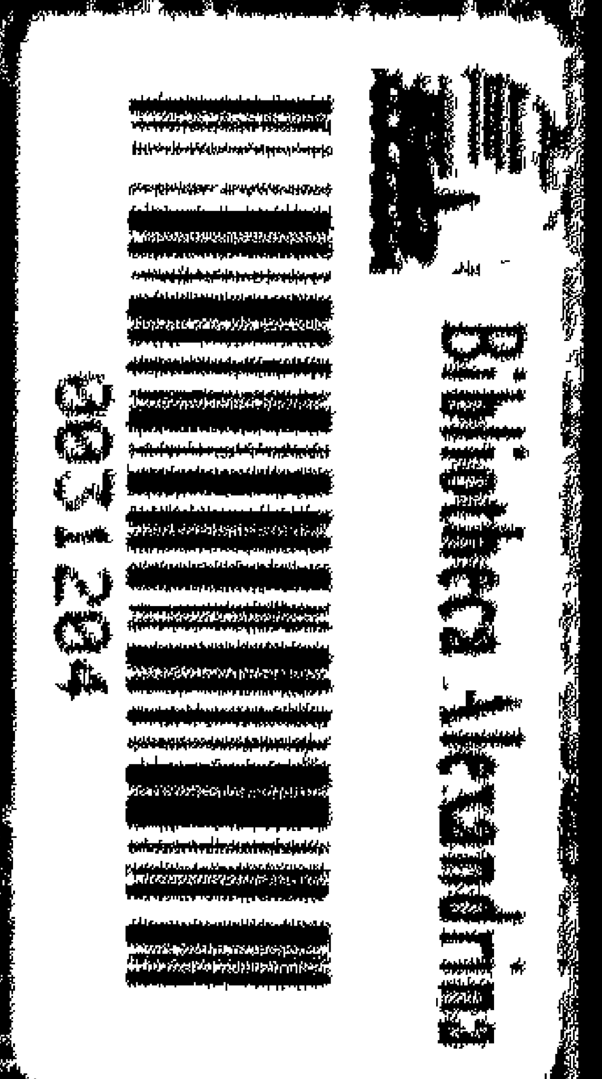
وشحذ الذاهن والهاجس

تأليف

الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر
النمري القرطبي

تحقيق
محمد مرسي الخولي

دار الكتب العلمية



بهجة المجالس، وأنس المجالس

وشحذ الذاهن والهاجس

بهجة المجالس، وأنس المجالس

وشحذ الذاهن والهاجس

تأليف

الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي

٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

المجلد الثاني

من القسم الأول

تحقيق

محمد مرسي الخولي

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

باب الظَّنّ والزَّكَانَة[1]

قد تقدم فى الباب الذى قبل هذا ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا ظننتم فلا تحققوا » .

وقال الله تعالى : ﴿ إنّ الظَّنّ لَا يُغْنِي من الْحَقّ شيئًا ﴾[2] .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إيّاكم والظنّ ، فإن الظنّ أكذبُ الحديث » .

قال عمر بن الخطاب : لا يحل لامرىء مسلم سمع[3] من أخيه كلمة أن[4] يظن بها سوءاً ، وهو يجد لها فى شىء من الخير مخرجاً .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا ينتفعُ بنفسه من لا ينتفع بظنه .

قال علىّ بن أبى طالب : حُسْن الظنّ بالله ألّا ترجو إلا الله ، ولا تخاف إلا ذنبك .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يموتنّ أحدُكم إلا وهو يُحْسن الظن بالله » .

قال الحسنُ البصرىّ : إنّ المؤمن إذا أحسن الظن أحسن العمل .

قال أبو مسلم الخولانى : اتّقوا ظنّ المؤمن ، فإن الله جعل الحقّ على لسانه وقلبه .

---

(١) الزكانة : الفهم والتفرس والظن ، أو هى ظن بمنزلة اليقين .

(٢) سورة النجم ٢٨ .

(٣) ب : يسمع .

(٤) ساقط من ب

قال عبد الله بن عباس : كفى بك ظلما[1] ألا تزال مخاصماً ، وكفى بك إثماً ألا تزال ممارياً .

وعن ابن مسعود : قال عبد الرحمن بن أبي ليلى : ما أماري أخي أبداً ، لأني أرى أني إما أن أكذبه وإما أن أغضبه .

قال عبد الله بن حسين[2] بن علي رضي الله عنهم : المراء رائدُ الغضب ، فأخزى[3] اللهُ عقلا يأتيك به الغضب .

قال محمّد بن علي بن حسين : الخصومة تمحق الدين وتُنْبِتُ الشّحناء في صدور الرجال .

كان يقال : لا تمارِ حليماً ولا سفيهاً ، فإن الحليم يغلبك ، والسفيه يؤذيك .

قيل لعبد الله بن حسن بن حسين[4] : ماتقول في المراء ؟ قال : يفسد الصداقة القديمة ، ويحلّ العقدة الوثيقة ، وأقل ما فيه أن يكون دَريئة[5] للمغالبة ، والمغالبة أمتن[6] أسباب القطيعة .

قال عبدالله بن عباس لمعاوية : هل لك في المناظرة فيما زعمت[7] أنك خاصمت[8]

---

(١) ب : ظالما . (٢) ساقط من ا .
(٣) ب : فأخذ . (٤) ساقط من ا .
(٥) ب : درية ، والدريئة : ما يستتر به من الصيد ليختل . (٦) ا : أمس .
(٧) ا : رغبت . (٨) ا،ب : خصمت .

فيه أصحابى ؟ قال : وما تصنع بذلك ؟ أشغب بك وتشغب بى ، فيبقى فى قلبك[١] ما لا ينفعك ، ويبقى فى قلبى ما يضرك[٢] .

قال إبراهيم التّيمى : إياكم والمخاصمات فى الدين ، فإنها تحبط الأعمال .

قال عمرُ بن عبد العزيز : من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل

قال الأوزاعىّ : إذا أراد الله بقوم شرًّا ألزمهم الجَدَل ، ومنعهُم العمل .

قال ابن أبى الزناد : ما أقام الجدلُ شيئاً إلاّ كسَره جدلٌ مثله .

وقد أفردنا فى كتاب « بيان العلم » باباً فيما تجوز فيه المناظرة والجدال ، وباباً فيما تكره فيه المناظرة والمجادلة ، وأوردنا فيهما من الآثار عن السلف وأئمة الخلف ما فيه كفاية وبيان ، والحمد لله وهو المستعان .

قال الأصمعى : سمعتُ أعرابيا يقول : من لاحى الرجال وماراهم قلت[٣] كرامته ، ومن أكثر من شىء عُرِف به .

وقال مِسْعَرُ بن كِدَام الهلالى يوصى ابنه كِداما :

إنِّى مَنَحْتُكَ يا كِدَامُ نَصِيحَتِى ... فَاسْمَعْ لِقَوْلِ أَبٍ عَلَيْكَ شَفِيقِ

أَمّا الْمُزَاحَةُ والمِرَاءُ فَدَعْهُمَا ... خُلُقَانِ لَا أَرْضَاهُمَا لِصَدِيقِ

إنِّى بَلَوْتُهُمَا فَلَمْ أَحْمَدْهُمَا ... لِمُجَاوِرٍ جَارٍ وَلَا لِرَفِيقِ

(١) ا : ذلك

(٢) ب : ما لا يضرك .

(٣) ا : كثرت .

وَالْجَهْلُ يُزْرِى بِالْفَتَى فِى قَوْمِهِ ... وعُرُوقُهُ فِى النَّاسِ أَىُّ عُرُوقِ[١]

وقال مصعب الزبيرى :

أَأَقْعُدُ بعدما وَجَفَتْ[٢] عِظَامِى ... وكان الموتُ أَقْرَبَ مَا يَلِينِى

أُجَادِلُ كلَّ مُعترضٍ خَصِيمٍ ... وأَجْعَلُ دِينَهُ غَرَضًا لِدِينِى

فَأَتْرُكُ مَا عَلِمْتُ لِرَأْىِ غَيْرِى ... وَلَيْسَ الرَّأْىُ كَالْعِلْمِ الْيَقِينِ

وما أنَا وَالْخُصُومَةُ وهى لِبْسٌ ... تُصَرَّفُ فِى الشِّمالِ وَفِى الْيَمِينِ[٣]

فى أبيات قد ذكرناها بتمامها فى كتاب « بيان العلم وفضله » والحمد لله .

قال أبو العبّاس النّاشِىء :

وإذَا بُلِيتُ بجاهلٍ مُتَحَامِلٍ ... يجِدُ المُحَالَ من الأُمُورِ صَوَابَا

أَوْلَيْتُهُ مِنِّى السُّكُوتَ وَرُبَّمَا ... كانَ السُّكُوتُ عَلَى الجوَابِ جوَابَا[٤]

---

(١) محاضرات الأدباء ١/١٣٦ ، جامع بيان العلم ٢/٩٩ ، عيون الأخبار ١/٣١٨ . حماسة البحترى ٣٨٩ وفيها : أ كدام إنى قد محضت نصحتى .

(٢) ا : رجعت .

(٣) انظر الأبيات فى معجم الشعراء ٤٠٢ ، البيان ٣/٣١٩ ، جامع بيان العلم ٢/١٠٠ .

(٤) البيتان فى وفيات الأعيان ٣/٥٣ .

باب المراء والخصومة والملاحاة[1]

قال رسول الله صلى اللهُ عليه وسلّم : « أنا زعيمٌ ببيت فى أعلى الجنة ، وبيت فى وسط الجنة ، وبيت فى ربض[2] الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا ، ولمن ترك الكذب وإن كان لاعباً ، ولمن حسنت مخالفته للنّاس » .

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : «لما أُسْرِى بى كان[3] أول ما أمرنى به ربى أن قال : إيّاك وعبادةَ الأوثان ، وشُرْبَ الخمر ، وملاحاةَ الرجال » .

قال قيسُ بنُ السّائِب : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شريكى فى الجاهلية ، فكان خيرَ شريك ، فكانَ لا يدارى ولا يمارى .

قال مُعَاذ بن جبل : إذا كان لك أخ فى الله فلا تماره ، ولا تساره الحديث .

قال لقمانُ لابنه : يا بنى لا تُمارِين حكيماً ، ولا تجادلن لَجُوجاً ، ولا تعاشرن ظلوماً ، ولا تصاحبنَّ متهماً .

قال لقمانُ لابنه : يا بنى مَنْ قصّر فى الخصة خُصم ، ومَنْ بالغ فيها أثِم ، فقُلِ الحق ولو على نفسك ، ولا تُبال من غضب .

وفى الحديث المرفوع : « احْذَرُوا جِدَالَ كُلِّ مَفْتُون ، فإنّهُ يُلَقَّنُ حُجَّتَهُ إلَى انقِطَاعِ مُدّتَه » .

---

(١) المراء : الشك والجدل ، والملاحاة : النزاع واللؤم .
(٢) ب : ربط ، والربض من الجبل : ما يلى الأرض منه .
(٣) ساقطة من ا .

سب أعرابى أعرابيا ، فسكت . فقيل له : لِمَ سكتَّ عنه ؟ فقال : ما لى علم بما فيه ، وكرهت أن أبهته بما ليس فيه .

ولمحمد بن زياد الحارثى :

وأرْفَعُ نَفْسِي عن نفُوسٍ وَرُبَّما ... تَذَلّلتُ فِي إكْرامِها لِنُفُوسِ
وَإِنْ رَامَني يومًا خسِيسٌ بجَهْلِهِ ... أَبَى اللهُ أَنْ أرْضَى بِعِرْضٍ خَسِيسِ (١)

وقال حسان بن ثابت :

ما أُبالِى أنبَّ بالحَزْنِ تَيْسٌ ... أَمْ لَحَانى بظَهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ (٢)

وقال آخر :

وقل ليزيد إن شتَمْتَ سَرَاتَنا ... فَلَسْنا بِشَتّامِينَ لِلْمُتَشَتِّمِ
ولكننا نَأْبَى الجَوَابَ وَنَقْتَضِي ... بِكلِّ رَقِيقِ الشَّفرتين غَشَمْشَمِ (٣)

قال الخليل : الغشمشم : الجرىء الماضى ، قال الشاعر :

عَبْلُ الشَّوَى غَشَمْشَماً غَاشِماً (٤)

---

(١) ساقط فى ب ، وهما فى العقد الفريد ٢/٢٨٥ .

(٢) البيت فى ديوانه ١٠٠ ، التمثيل والمحاضرة ٦٣ ، ونب التيس : صاح عند الهياج .

(٣) البيتان والبيت الذي سيأتى فى الصفحة التالية وهو : وتبطش أيدينا ... الخ ، لمعبد بن علقمة ، انظر حماسة أبى تمام ١/١٥٧ ، الأمالى للقالى ١/١١٥ عيون الأخبار ١/١٩٨ . ورواية الحماسة : قل لزهير ، ونمتضى مكان نقتضى ، ومعناها . نأخذ السيف ونضرب به مثل العصا ، ويروى : مصمم ، بدل غشمشم ، وتجهل بدل تبطش .

(٤) عبل الشوى : ضخم اليدين والرجلين ، والغشمشم : الجرىء الماضى – كما ذكر الخليل ، والغاشم : الظالم ، وانظر اللسان مادة « غشم » .

وقال آخر :

وتَبْطُشُ أَيْدِينَا ويَحْلُمُ رَأْيُنَا   ونَشْتِمُ بالأفْعَالِ لا بالتَّكَلُّمِ

وقال الأخطل :

أَنبئتُ كَلْبًا تمنّى أَنْ تُسافِهَنَا   وطَالَمَا سَافَهُونَا ثُمَّ ما ظَفِرُوا
قَدْ أُنْذِرُوا حَيَّةً فِي رَأْسِ هَضَبَتِهِ   ومَا يَكادُ يَنامُ الحَيَّةُ الذَّكَرُ(١)

وقال آخر :

فَإِنْ تَشْتُمُونَا عَلَى لُؤْمِكُمْ   فقد تَقْرِضُ العُثُّ مُلْسَ الأَدُمْ

العُثّ : دُوَيْبّة صغيرة ليس بها قوةٌ إلاّ أنّهَا تقرضُ كل شَيء .

وقال آخر :

هَلْ يَشْتُمَنّى لا أَبَا لَكُمُ   دَنِسُ الثِّيابِ كَطَابِخِ الْقِدْرِ
جُعَلٌ تَمَطَّى فِي غَثَاثَتِهِ   زَمِنُ المُرُوءَةِ نَاقِصُ الشِّبْرِ(٢)

أعطى الحسن بن على شاعراً ، فقيل له : تعطى من يقول البهتان ، ويعصي

(١) ديوانه ٢/٢٠٨ ، ٢٦٩ ، والبيت الثانى هذا ملفق من بيتين ، والرواية فى الديوان :
قد أنذروا حية فى رأس هضبته   وقد أتتهم به الأخبار والنذر
هنالك قالوا أنام الله حيته   وما يكاد ينام الحية الذكر

(٢) الجعل : دويبة منتنة ، والغثاثة : الإفرازات أو القيح ، وزمن المروءة : مريضها ، وناقص الشبر : القصير القمىء .

الرحمن ؟ فقال : إن خير ما بذلت به من مالك ما وقيت به من عرضك ، ومن ابتغى الخير اتقى الشر . وقد روى عن ابن شهاب مثل ذلك فى شاعر مدحه فأعطاه . وقد كان يقال : إعطاء الشاعر من بر الوالدين .

قال جرير :

وَما حَمَلَتْ أُمُّ امْرِىءٍ فِى ضُلُوعِهَا أَعَقَّ مِنَ الجَانِى عَلَيها هِجَائِيَا(١)

وقال آخر :

اصْحَبِ الأَخْيَارَ وأَرْغَبْ فيهمُ رُبَّ مَنْ صَاحَبْتَهُ مثلُ الجَرَبِ
وَدَعِ النَّاسَ وَلَا تَشْتُمْهُمُ وَإِذَا شَاتَمْتَ فَاشْتُمْ ذَا حَسَبِ
إِنَّ مَنْ سَبَّ لَئِيماً كَالَّذِى يبدِّلُ الصُّفْرَ بِأَعْيانِ الذَّهَبِ(٢)

وقال آخر :

مَالِى أُكَفْكِفُ من سعدٍ [وَتَشْتُمُنِى] وَلَوْ شَتَمْتُ بَنِي سعدٍ لَقَدْ سَكَتُوا(٣)

وقال آخر :

جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنًا عن عَدُوِّهِمُ لَبِئْسَتِ الخَلَّتَانِ الجَهْلُ والجُبُنُ(٤)

(١) البيت للفرزدق لا لجرير ، انظر شرح ديوان الفرزدق ٨٦٩ .

(٢) الصفر : النحاس ، وانظر الأبيات فى الأمالى ٢/٢٠٤ ، لباب الآداب ٢٥ ، وفيه : إن من شاتم وغداً .. الخ .

(٣) وتشتمنى ساقط من ا ، ب ، وفى جـ : لما سكتوا بدل لقد سكتوا .

(٤) فى العقد : بخلا علينا وجبنا عن عدوكم ، وقد نسب البيت فى حماسة البحترى ٣٩٢ إلى ابن أم صاحب الغطفانى ، ونسب فى العقد ١/١٧٨ إلى كعب بن زهير .

قيل للشعبي : فلانٌ يتنقصك ويشتمك . فتمثل بقول كُثيِّر :

هنيئًا مريئًا غير داءٍ مُخامرٍ　　لعزَّةَ من أعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتِ
أسِيئِي بِنَا أو أَحْسِنِي لَا مَلُومَةً　　لَدَيْنَا وَلَا مقْلِيَّةً إنْ تَقَلَّتِ[1]

وقال قيس المجنون :

حَلَالٌ لِلَيْلَى شَتْمُنَا وَانتقاصُنَا　　هنيئًا وَمَغْفورًا لِلَيْلَى ذُنُوبُهَا

وقال آخر :

إذَا ما شِئْتَ سَبَّكَ غيْرُ قَوْمٍ[2]　　وإن كُنتَ المهذب واللُّبَابَا
يهابُكَ كلُّ ذِي حَسَبٍ ودِينٍ　　وأمَّا فِي اللئامِ فَلَنْ تُهَابَا

وقال آخر :

مَنْ شَاتَمَ النَّاسَ رَمَوْهُ بِمَا　　لم يَكُ يَعْتَدُّهُ فِي الحِسَابِ[3]

كأنه أخذه من قول كعب بن زهير :

وَمَن دَعَا النَّـــاسَ إلى ذَمِّه　　ذَمُّوهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ[4]

---

(١) ديوانه ٥٧ ، نهاية الأرب ٣/٧٥ ، التمثيل والمحاضرة ٧٢ ، الكامل ١/٢٣٥ ، هذا وينسب البيتان أيضا لجرير بن عطية انظر ديوانه ٨٨ .

(٢) ب : عند .

(٣) نهاية الأرب ٣/٦٨ .

(٤) البيان ٢/٣٣٩ ، محاضرات الأدباء ١/١٨٩ ، نهاية الأرب ٣/٦٨ ، لباب الآداب ٣٦٠ ، ولقد سبق مع أبيات أخر في ص ٤٠١ .

وقال آخر :

وَلَسْتُ مُشَاتِمًا أَحَدًا لِأَنِّي ... رَأَيْتُ الشَّتْمَ مِنْ عِيِّ الرِّجَالِ

إِذَا جَعَلَ اللَّئِيمُ أَبَاهُ نُصبًا ... لِشَاتِمِهِ فَدَيتُ أبِي بِمَالِي

وقال آخر :

وتَجْزَعُ نَفسُ المرْءِ من شَتْمِ مَرَّةٍ ... وَيُشْتَمُ أَلْفًا بَعْدَ ذَاكَ فَيَصْبِرُ(١)

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ مَا سَبَّ الْأَمِيرَ عَدُوُّهُ ... وَلَكِنَّمَا سَبَّ الْأَمِيرَ الْمُبَلِّغُ(٢)

وقال آخر:

مَنْ يُخَبِّرْكَ بِشَتْمٍ عن أخٍ ... فهو الشَّاتِمُ لَا مَنْ شَتَمَكْ

ذَاكَ شَتْمٌ لَمْ يُوَاجِهْكَ بِهِ ... إِنَّمَا اللَّوْمُ عَلَى مَنْ أَعْلَمَكْ(٣)

وقال آخر :

أبا حَسَنٍ يكفيكَ ما فيك شاتمًا ... لِعِرْضِكَ مِنْ شَتْمِ الرِّجَالِ وَمِنْ شَتْمِي

وقال آخر :

وما يَقِي عنكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائفُهُم ... كَمِثْلِ دَفْعِكَ جُهَّالاً بِجُهَّالِ

---

(١) ا : ويشتم عشراً بعدها ثم يصبر .

(٢) البيت لعبد الصمد بن المعذل ، انظر عيون الأخبار ٢/٢٣ ، نهاية الأرب ٣/٢٩٦ ، فصل المقال ٩٤ .

(٣) المستطرف ١/٦١ ، فصل المقال ٩٤ .

فَاقْعَسْ إِذَا حَدَبُوا وَاحْدَبْ إِذَا قَعَسُوا ... وَوَازِنِ الشَّرَّ مِثْقَالاً بِمِثْقَالِ[1]

وقال آخر :

ثَالَبَنِي عَمْـــرٌو وَثَالَبْتُهُ ... فَقَدْ أُثِمَ الْمَثْلُوبُ وَالثَّالِبُ

قُلْتُ لَهُ خَيْرًا فَقَالَ الْخَنَا ... كُلٌّ عَلَى صَاحِبِهِ كَاذِبُ[2]

(١) القعس : خروج الصدر ودخول الظهر ، والحدب ضده ، والمقصود المزواجة بين اللين والشدة في معاملتهم .

(٢) ثالبه : لامه وعابه ، والخنا : الفحش ، والبيتان لعلي بن معاذ كما في البيان ١ / ٣٨٠ ، وانظرهما في محاضرات الأدباء ١/١٨٧ ، وفيات الأعيان ٦/٦٧ .

بابُ الكِبْرِ وَالعُجْب والتِّيه

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ، حاكيًا عن الله عزّ وجل : « الكبرياء ردائى ، (١ والعظمةُ إزارى ١) ، فمن نازعنى(٢) (١ واحدًا منهما ١) أدخلته النار » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينظر الله عزّ وجلّ إلى من جرّ ثوبه خُيَلَاء » ، وفى حديث آخر : « لا ينظر الله عزّ وجلّ إلى من جرّ ثوبَه بَطَرًا » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما الكبر أن يُسَفَّهَ الحقُّ ، ويُغَمِّصَ النَّاسُ » .

قال محمّد بن علىّ بن حسين : يا عجبًا من المختال الفخور الذى خُلق من نطفة ، ثم يصير جيفة ثم لا يدرى بعد ذلك ما يُفعل به .

قال إسحاقُ بن إبراهيم الموصلى : سمعتُ أحمد بن يوسف يومًا ، وذكر رجلا كان يذهب بنفسه فى التيه ، فقال : يتيه(٣) فلان ، وما عنده فائدة ولا عائدة ولا رأى جميل .

---

(١) ساقط من ا .

(٢) ا : نازعنيه .

(٣) ب : تيه .

قال الشاعر :

يَا مُظْهِرَ الْكِبْرِ إعْجَابًا بِصُورَتِهِ أَبْصِرْ خَلاءَكَ إنَّ الْمَيْنَ تَثْرِيبُ[١]
لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ فيما فى بُطونِهِمُ ما استشعر الكِبْرَ[٢] شُبّانٌ ولاشِيبُ[٣]

قيل لعيسى عليه السلام : طوبى لبطن حملك ، فقال : طوبى لمن علمه الله كتابه ، ولم يكن جباراً .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزالُ الرَّجُل يَذهب بنفسه فى التّيه حتى يُكتب فى الجبّارين ، فيصيبَه ما أصابهم » .

قال مالكُ بن دينار : كيف يتيهُ من أوله نُطْفة مَذِرَة ، وآخره جيفة قَذِرَة ، وهو فيما بين ذلك حاملٌ عَذِرَة .

أخذه أبو العتاهية فقال :

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نطفةٌ وجيفَــةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ
أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا يرجُو ولا تأخير مَا يحذَرُ
وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ إلى غيرِهِ فى كل ما يُقْضَى وما يُقْدَرُ[٤]

---

(١) ا : المين تغريب .
(٢) ب : الناس .
(٣) البيتان فى عيون الأخبار ١/٢٧٢ ، ٢٧٣ وفيه : إن النّتن .. الخ .
(٤) ديوانه ١٠٣ ، الكامل ١/٢٣٦ .

وقال منصور الفقيه :

تتيهُ وَجِسْمُكَ مِنْ نطفةٍ   وَأَنْتَ وِعاءٌ لما تَعْلَمُ[١]

وله أيضاً :

قولُوا لزُوَّارِ الكُنُفْ   وَالمُنشَئِين مِنْ نُطَفْ

يا جِيَفًا مِنَ الجِيَفْ   ما لَكُمْ وِللصَّلَفْ

كان يقال : لولا ثلاثٌ سَلِمَ النّاس : شحّ مُطَاع ، وهَوَى مُتَّبع ، وإعجابُ المرء بنفسه .

قال جعفرُ بن محمد : علم اللهُ عز وجل أن الذنب خير للمؤمن من [٢] العُجْب ، ولولا ذلك ما ابتلى مؤمن بذنب .

قال بلال بن سعيد : إذا رأيتَ الرجل لجوجًا ممارياً فقد تمت خَسَارَتُه .

قال بعض الحكماء : البلية التي لا يُؤجر عليها المبتلى بها : العُجْب ، والنعمة التي لا يُحْسَد عليها : التواضعُ .

كان يقالُ : لا شيءَ أكلم للمحاسن من العُجْب والتيه .

قال نصرُ بن أحمد :

وَمَنْ أَمِنَ الآفاتِ عُجْبًا برأيِهِ   أحَاطَتْ بِهِ الآفَاتُ مِنْ حَيْثُ يَجْهَلُ

---

(١) التمثل والمحاضرة ٤٤٥ .

(٢) ساقطة من ا .

وقال منصور الفقيه :

لَا تحلِفَنَّ بتيَّاهٍ فتحمِلَه عَلَى التَّزَيُّدِ مما يُسْخِطُ اللهَ
واهجُرْهُ لله لا لِلنَّاسِ مبتغيًا ثوابَ رَبِّكَ فِي هِجْرَانِ مَنْ تاهَا

وقال آخر :

إن عيسَى أنفُ أنفِهْ أنفُهُ ضِعْفُ لِضِعْفِهْ
لَوْ تراهُ راكبًا وَالتِّيــــه قَدْ مالَ بِعطفِهْ
لرَأيْتَ الأنْفَ فِي السَّرْ ج وعيسَى مِثْلُ رِدْفِهْ

وقال ابن السلماني :

أتيهُ عَلَى جِنِّ البلادِ وَإنْسِهاَ ولو لم أَجِدْ خَلْقًا لتِهْتُ عَلَى نَفْسِي
أتيهُ فلاَ أدْرِي مِنَ التِّيه من أنَا سِوَى مايقولُ الناسُ فِيَّ وفِي جِنْسِي (١)
فإنْ زَعَمُوا أنِّي من الإنْسِ مِثْلُهم (٢) فَمَا لِيَ عيبٌ غيْرَ أنِّي منَ الإنْسِ (٣)

وقال خلف الأحمر :

لَنَا صاحِبٌ مُولَعٌ بالخِلَافِ كَثِيرُ الخَطَاءِ قَلِيلُ الصَّوابْ
ألجُّ لجاجًا منَ الخُنْفُساءِ وَأزْهَى إذَا ما مَشَى من غُرَابْ (٤)

---

(١) ا : ومن حسى .
(٢) ا : خالس .
(٣) انظر الأبيات فى عيون الأخبار ١/٢٧١ .
(٤) انظر البيتين فى معجم الأدباء ١٤/١٦١ ، الحيوان ٣/٤٠٠ ، فصل المقال ٣٨٧ .

ولأبى العتاهية ، ويروى لمنصور الفقيه :

حَذَّرْتُكَ الكِبْرَ لا يَعْلَقْكَ(١) مِيسَمُهُ   فإنَّهُ مَلْبَسٌ نَازَعْتَهُ اللهَ
يا بُؤسَ حَامِلِ رِجْسٍ لَيْسَ يَغْسِلُه   بالماءِ عَنْهُ إذَا كَلَّمْتَهُ تَاهَا
يَرَى عليك له فَضْلاً وَمنزِلَةً   إنْ نَالَ فى العَاجِلِ السُّلْطَانَ والجَاهَا
مُثْنٍ(٢) عَلَى نَفْسِهِ رَاضٍ بسيرَتِهِ   كَذبتَ يا صَاحِبَ الدُّنيا ومَوْلاهَا(٣)

وقال منصور الفقيه :

قُلْتُ لِلمُعْجَبِ لَمَّا   قَالَ مِثْلِي لَا يُرَاجَعْ
يا قَرِيبَ العَهْدِ بالمخْ   رَجِ لِمْ لَا تَتَوَاضَعْ(٤)

قال علىُّ بن مُحمد : إنما أهلكَ الناسَ العجلةُ والعُجْب ، ولو ثبّتوا ولم يعجلوا لم يهلك منهم أحد .

قال ابن أبى ليلى : ما رأيتُ ذَا عُجْب قطّ إلا اعترانى بعضُ دائه . يريد أنه يبعثه على مكافأته بالتكبر عليه .

قال بعضُ الحكماء : من استطاع أن يمنعَ نفسه أربعًا كان جديرا ألا ينزل به مكروه : العَجَلَة ، واللجاجة ، والتوانى ، والعُجْب .

---

(١) ب : لا يعطفك .
(٢) ب : مبق .
(٣) لم أعثر على الأبيات فى ديوان أبى العتاهية ، وإنما هى فى ديوان أبى نواس ١٩٧ ، وفيه البيت الثانى :
يا بؤس جلد على عظم مخرقة   فيه الخروق إذا كلمته تاها .
(٤) ب : مما تواضع ، وانظرها فى محاضرات الأدباء ١/١٣١ .

وَلإبراهيم بن العبّاس الصولى فى محمد بن عبد الملك الزيات :

أَبَا جَعْفَرٍ عَرِّجْ عَلَى خُلَطَائِكَا ... وأَقْصِرْ قَلِيلاً عَنْ مَدَى غُلَوَائِكَا
فإِنْ كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ بِالأَمْسِ رِفْعَةً ... فإِنَّ رجائى فى غدٍ كرجائِكَا[١]

ولمنصور الفقيه :

قَدْ كنتُ أيام كنتُ مِثْلَكُمُ ... أَرَى الهِلَالَ الخَفِيَّ بِالْمَجَلَهْ
لَوْ مرّ بى تائهٌ على جَمَلٍ ... لم أره الآن قِلَّةً[٢] ولا جُمْلَهْ

---

(١) معجم الأدباء ١/١٧٢ .
(٢) ب : قيله ، عيون الأخبار ١/٢٧٣ وفيها فإن كنت قد أعطيت فى اليوم .

بابُ التَّواضُع والإنصَاف

قال رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلم « ما تواضع عبدٌ لله [1] إلّا رفعهُ الله » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تواضَعُوا يرفعكم الله ، واعفوا يعزكم الله » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : طوبى لمن تواضع من غير مَنْقَصَة ، وذل نفسه من غير مسكنة ، وأنفق مالاً جمعه من غير معصية ، طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريرته ، وكرمت علانيته » .

انتسبَ رجلٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى بلغ عشر آباء ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « لاحَسَبَ إلاّ فى التواضع ، ولا نسبَ إلا بالتقوى ، ولا عمل إلاّ بالنية ، ولا عبادةَ إلا باليقين » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « مَنْ عَظُمَتْ نعمةُ الله عليه فليطلب [2] بالتواضع شكرها ، فإنه لا يكون شكوراً حتى يكون متواضعاً » .

قال بعضُ الحكماء : رأسُ الحكمة طاعة الله ، وتقديم حُسْن النية ، وعُرَاها التواضعُ فى الحقّ ، والإنصافُ فى المناظرة ، والإقرارُ بما يلزم من الحجة ، وثمرتها حفظ الثواب ، فى العاجلة ، والنجاةُ فى العاقبة ، وحقُّها العملُ بها ، وألاَّ تُمْنَع من من مُسْتَحَقّها ، وأن تُوَقّرَ أوعيتُها لوقارها .

---

(١) ساقطة من ا .

(٢) ا : فليتلطف .

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : ما من أحدٍ إلاّ وفى عنقه حكمةٌ موكل بها مَلَك ، يقول الله له : إنْ تَوَاضَعَ عَبْدى فارفَعْه ، وإن ارتفع فضَعْه .

قال بكرُ بن عبد الله المزنى : ما أرى امرءًا إلاّ رأيت له الفضلَ علىّ ، لأنّى من نفسى على يقين ، وأنا من النّاس على شك .

قال عبد الله بن مَسْعود : إن من التواضعِ الرِّضا بالدُّون من شَرَف المجلس ، وأن تُسلِّمَ على مَنْ لَقيت .

قال عبدُ الله بن المبارك : التَعَزُّزُ على الأغنياء تواضع .

كان يقال : بالتواضع تتمُّ النعمة ، وبالتكبر تحق النقمة[١] .

كان سليمان عليه السلام يجىء إلى أوضع مجالس بنى إسرائيل فيجلس معهم ، فيقول : مسكينٌ بين ظَهرَانى مساكين .

كان يقال : ثمرة القناعة الرّاحة ، وثمرةُ التواضع المحبة .

قال لقمانُ لابنه : يا بنىّ تواضع للحقّ ، تكنْ أعقل الناس .

قال أبُو الدَّرْدَاء : ليس الذى يقولُ الحق ويفعَلُه بأفضل من الذى يسمعه[٢] فيقبله .

قال بعضُ الحكماء : إذا نَسَك الشريفُ تَوَاضَع ، وإذا نَسَك الوضيعُ تكبّر.

---

(١) ب : تحق النعمة .

(٢) ا : يضعه .

ولذى الرُّمّة الأُسَدِىّ :

إِذَا اصطَحَبَ الأَقْوَامُ كانَ أَذَلُّهم لأصحابهِ نَفسًا أَبَرَّ وَأَفْضَلَا
وما الفضلُ فِي أنْ يُؤْثِرَ[1] المرءُ نَفْسَهُ ولـكنَّ فضل المرْءِ أنْ يَتَفَضَّلَا[2]

قال سالم بن قتيبة : ما تكبّر فى ولايته[3] إلا من كبرت عنه ، ولا تواضع فيها إلا من كبر عنها .

قال بعض الفلاسفة : أظلم الناس لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب فيمن يبعده .

قال بُزُرْجمهر : وجدنا التواضع مع الجهل والبخل ، أَحْمَدُ من الـكبر مع الأدب والسخاء فَأَعْظِمِ بحسنةٍ سَتَرَتْ من صاحبها سيئتين ، وأَقْبِحْ بسيئةٍ غَطَّتْ من صاحبها حسنتين .

قال عبدُ الملك بن مروان : أفضلُ النَّاس من تواضع عن رفعة ، وزَهَد عن قدرة ، وأنصف عن قوة .

كان يقال : من حقوق الشَّرف أن تتواضعَ لمن هو دونك ، وتنصفَ من هو مثلك ، وتنبلَ على من هو فوقك .

قال ابن السِّماك للرشيد : تَوَاضُعُكَ فى شرفك أَشْرَفُ من شرفك .

---

(١) ا : يذمم .
(٢) ورد البيتان فى ديوان أبى العتاهية ٢١٢ ، ولم أعثر عليهما فى ديوان ذى الرمة .
(٣) ب : ما تـكبر فى ولاية .

قال جعفر بن محمد : من أنصف الناس من نفسه قُضِيَ به حَكَمًا لغيره .

قال معن بن أوس :

إِذَا أَنْتَ لم تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الهِجْرَانِ إِنْ كانَ يَعْقِلُ[1]

قال مالك بن الرَّيْب :

فإِنْ تُنْصِفُونَا يَالَ مرْوَان نَقْتَرِبْ إِلَيكُمْ وَإِلَّا فَأْذَنُوا بِبِعَادِ

فَفِى الأَرْضِ عنْ دارِ المَذَلَّةِ مَذْهَبٌ وكُلُّ بِلَادٍ أُوطِنَتْ كَبِلَادِى[2]

قال العبّاسُ بن عبد المطلب :

أَبَى قَوْمُنَا أَنْ يُنْصِفُونَا فَأَنْصَفَتْ قواطِعُ فِى أَيْمَانِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا

تَرَكْنَاهُمُ لَا يَسْتَحِلُّونَ بعدَهَا لذِى رحِمٍ يومًا من الدَّهْرِ مَحْرَمًا[3]

قال الحكم بن المنذر الجارود فى الإنصاف :

بَنِى عَمِّنَا لَا تَجْزَعُوا مِنْ طَعَانِنَا[4] فَقَدْ كانَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَبْكًى ومَجْزَعَا

وذُوقُوا كما ذُقْنَا منَ الحَرْبِ إِنَّنَا نَرَى شَرَّ أَهْلِ الأَرْضِ مَن قَدْ تَضَعْضَعَا

وَنَادَى منَادٍ يَالَ بَكْرِ بنِ وَائِلٍ ونَادَى بِعَبْدِ الْقَيْسِ نَادٍ فَأَسْمَعَا

فَمَا خَذَلَتْنَا الأَزْدُ إِذْ دَارَتِ الرَّحَى وَلٰكِنَّهُمْ يَحْمُونَ عِزًّا مُمَنَّعَا

---

(١) معجم الشعراء ٤٠٠ ، عيون الأخبار ٣/١٨ ، حماسة أبى تمام ٢/٤ ، حماسة البحترى ٢٨ .
(٢) سبق البيتان فى ص ٢٣٨
(٣) انظر البيتين فى مجموعة المعانى ٥٢ ، عيون الأخبار ١/٧٨ ، حماسة البحترى ٦٠ .
(٤) ب : من طعامنا .

خَلَطْنَا الْبُيُوتَ بِالْبُيُوتِ فَأَصْبَحُوا بَنِى عَمِّنَا مَنْ يَرْمِهِمْ يَرْمِنَا مَعَا[١]

وقال أبو الأسود الدؤلى :

إذا قلتُ أنصِفْنِى وَلَا تَظْلِمَنَّنِى رَمَى كُلَّ حَقّ أَدَّعِيهِ بِبَاطِلِ
فماطلتُهُ حتَّى ارعَوَى وَهْوَ كارِهٌ وقدْ يَرْعَوِى ذو الشَّغْبِ عندَ التجادُلِ
وإنك لم تعطف إلى الحق ظَالِمًا[٢] بمثلِ خصيمٍ عاقِلٍ مُتَجاهِلِ

قالوا : ثلاثة من حقائق الإيمان : الاقتصاد فى الإنفاق ، [والابتداء][٣] بالسلام والإنصاف من نفسك .

وفى سماع أشهب ، قال مالكٌ رضى الله عنه : ليس فى الإنسان شىء أقل من الإنصاف .

قال جعفرُ بن سعد : ما أقلَّ الإنصاف ، وما أكثرَ الخلاف ، الخلافُ[٤] موكلٌ بكلِّ شىء حتى القذاة فى رأس الكوز ، فإذا أردت أن تشرب الماء جاءت إلى فيك ، وإذا أردتَ أن تصب من رأس الكوز لتخرج رجعت .

قال الشاعر :

آخِ[٥] الكرام المُنْصِفِينَ وَصِلْهُمُ وَاقْطَعْ مَوَدَّةَ كلِّ منْ لَا يُنْصِفُ

---

(١) ب : فى حربهم يذهبا معاً ، وقد ورد البيت الأخير فقط فى حماسة أبى تمام ١٥١/١ ، منسوباً إلى الشلم بن رياح بن ظالم المرى .
(٢) ب : طالباً ، وانظر الأبيات فى ديوانه ١٩٠ .
(٣) زيادة من ب .
(٤) ساقط من ب .
(٥) ب : ارج ، وانظر البيت فى البيان ٢١٩/٣ .

وقال أبو العتاهية :

إذا مَا لم يَكُنْ لك حُسْنُ فَهْمٍ   أسَأْتَ إجَابَةً وَأسَأْتَ فَهْمَا(١)

وقال أبو عثمان الشريشي :

لَوْ جَرَحَتْ رَأْسِي يَدَا مُنْصِفٍ   لَمَا تَمَنَّيْتُ بأَنْ أبْرَآ

(١) ديوانه ١٥٨ ، عيون الأخبار ٣/١٩ .

بابُ الرَّأْيِ والمَشُورَة

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ما تَشاوَرَ قومٌ إلاّ هَدَاهم الله لأرْشَدِ أُمُورِهِم » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لَنْ يَهْلكَ امرؤٌ عن مَشُورة » .

قال صلى الله عليه وسلم : « المُسْتَشارُ مؤتمن » .

قال الحسنُ : إن اللهَ لم يأمر نبيَّه بمشاورة أصحابه حاجة منه إلى رأيهم ، ولكنه أراد أن يعرفهم ما في المشورة من البركة .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ نزل به أمر فشاور فيه من هو دونه تَوَاضُعًا منه عُزِمَ له على الرَّشَد » .

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : شاور في أمرك من يخاف اللهَ عز وجل .

قيل لرجل من بني عبس . ما أكثر صوابكم ؟ ! قال : نحن ألفٌ وفينا حازمٌ واحد ، ونحن نشاوره ونطيعه ، فصرنا ألفَ حازم .

قال عامرُ بنُ الظَّرِب[1] : الرأيُ نائم والهوى يقظان ، فلذلك يغلب الهوى الرأى .

---

(١) العدوانى : كان من حكام العرب فى الجاهلية ، وعمر طويلا ، وهو الذى قيل فيه : إن العصا قرعت لذى الحلم ، وذلك أن أولاده خشوا زيغه عن الصواب لكبر سنه ، فكلموه فى ذلك فقال : اجعلوا لى أمارة أعرفها ، فإذا زغت فسمعتها رجعت إلى الصواب ، فكان يجلس قدام بيته ، ويقعد أحد أبنائه من ورائه ، فإذا هنا قرع له الجفنة فانتبه ، وله شعر جيد وكلام مسدد .

كان يقال : بإجالة الفكرة يُستَدَرّ الرأيُ المصيب .

كان عليٌّ بن أبي طالب يقول : رأيُ الشيخ خير من مشهد الغلام .

قال بُزرجمهر : حسبُ ذا الرأي ومن لا رأي له أن يستشير عالماً ويطيعه .

مرّ حارثة بن زيد بالأحنف بن قيس ، فقال : لولا أنك عجلان لشاورتك في بعض الأمر . فقال : يا حارثة أجل ، كانوا لا يشاورون الجائع حتى يشبع ، والعطشان حتى يَنْقَع ، والأسير حتى يُطلَق ، والمُضِلّ حتى يجد ، والراغب حتى ينجح[1] .

كان يقال : استشر عدوّك العاقلَ ، ولا تستشر صديقَك الأحمق ، فإن العاقل يتقي على رأيه الزَّلَل ، كما يتقي الورَع على دينه الحَرَج .

قال ابن المقفع : ثلاثةٌ لا آراء لهم : صاحبُ الخفِّ الضيق ، وحاقنُ البول[2] ، وصاحبُ المرأة السّليطة .

قال بعض البلغاء : لا نتيجةَ لرأي إلا عن طاعة ونصيحة ، ولا نتيجة لمشورة إلا عن محبّة ومودّة .

وقال بعضُهم : لا تترك الأمر مُقْبِلا ، وتطلبه مُدْبِرًا ، فإن ذلك من ضعف العقل[3] وقلة الرأي .

---

(١) ساقط من ا .
(٢) حاقن البول : محتبسه .
(٣) ا : العاقل .

كان يقال : لا تُدْخل فى رأيك بخيلا فَيُقَصِّرَ فِعْلَك ، ولا جبانًا فَيُخَوِّفَكَ مالا تخاف ، ولا حريصًا فيعدك مالا يُرجى .

قال بعض الأعراب :

وَلَوْ أنَّ قَوْمِى أكْرَمُونِى وأتأقُوا   سِجَالاً بِهَا أسْقِى الَّذِين أُسَاجِلُ
كَفَفْتُ الأذَى ما عشتُ عَنْ حُلَمَائِهِمْ   وَنَاضَلْتُ عَنْ أعْرَاضِهم من يُناضِلُ
ولكِنَّ قَوْمِى عَزَّهُمْ سُفَهَاؤُهُمْ   عَلَى الرَّأْىِ حَتَّى لَيْسَ للرأْىِ حَامِلُ[1]

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الحزمُ : فى مُشاوَرَةِ ذَوِى الرَّأى وطَاعَتِهم » .

قال المهلب : إذا كان الرأى عند من يملكه دون من يبصره ضاعت الأمور .

قال الحكماء : إذا كنت مستشيرًا فتوخّ ذا الرأى والنصيحة ، فإنه لا يكتفى برأى من لا ينصح ، ولا نصيحة لمن لا رأى له .

ولبشار بن برد ، وقيل إنها لعنترة[2] ، وقيل : إنها للعجّاج الأسدى :

إذَا بَلَغَ الرَّأْىُ المَشُورَةَ فَاسْتَعِنْ   بِرَأْىِ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةِ حَازِمِ
وَلا تَحْسَبِ الشُّورَى عليكَ غَضَاضَةً   فإنَّ الخَوَافِى رَافِدٌ للقوادِمِ
وأَدْنِ من القُرْبَى المُقَدَّمِ نَفْسَهُ   ولا تُشْهِدِ الشُّورَى امرءًا غَيْرَ كاتِمِ
وَما خيرُ كَفٍّ أمسَكَ الغُلُّ أختَهَا   وما خَيْرُ سَيْفٍ لم يؤيَّدْ بِقائِمِ

(١) أتأقوا : ملأوا ، والسجال : جمع سجل وهى الدلو العظيمة ، وأساجل : أفاخر وأبارى ، وعزهم : غلبهم : وانظر الأبيات فى أمالى القالى ١/ ٨٣ .
(٢) ب : لغيره .

فإنّكَ لا تَسْتَطْرِدِ الهَمَّ بالمُنَى ... ولا تَبْلغِ العَلْيَا بغَيْرِ المَكَارِمِ[1]

أنشدنى الأعرابى :

وَأنفعُ مَنْ شاوَرْتَ من كان ناصحًا ... شفيقًا فأَبْصِرْ بَعْدَها مَنْ تُشاوِرُ

وليس بشافيكَ الصّديقُ[2] ورَأْيُه ... غريبٌ ولا ذُو الرّأْيِ والصّدْرُ واغِرُ

وقال بكر بن أذينة :

ولا أشير على مَن لّا يُشاوِرُنى ... إذَا طَوَى ذَاتَ يومٍ أَمْرَهُ دُونِى

قال أكثم بن صيفى : المشورة مادة الرأى .

قال ابن هبيرة لبعض ولده : ولا تشر على مستبدّ ، ولا على عدوّ ، ولا على متلوّن ، ولا على لجوج ، ولا تكوننّ أوّل مستشار ، ولا أول مشير ، وإياك والرأى الفطير[3] ، وخف الله فى المستشير ، فإن التماس موافقته لؤم ، وسوء الاستماع منه خيانة .

قال سليمان عليه السلام لابنه : يا بنىّ لا تقطع أمرًا حتى تشاور مرشدًا فإنك إذا فعلت ذلك لم تندم .

---

(١) يروى : ولا تجعل الشورى ، و... فريش الخوافى تابع ، ويروى: وأدن من الشوري المكتوم اسره ، ولم يؤيد مكان يوتد ، ويروى : فإنك لا تستدرك الرأى بالمى .

وانظر الأبيات منسوبة لبشار فى : المختار من شعر بشار ٢٠١ ، البيان والتبيين ٣/٢٧٠ ، التمثيل والمحاضرة ٧٤ ، مجموعة المعانى ١٧ ، زهر الآداب ٣/٢٣٦ ، الكامل ٢/٢٨٧ .

(٢) ا : الشفيق ، وانظر البيتين فى عيون الأخبار ١/٣٢ ، المختار من شعر بشار ٢٠٧ .

(٣) ا : الخطير . والفطير : العجول ، وهو المعنى المناسب للسياق .

كان يقال : مَن اجتهد رأيَه وشاور صديقَه ، قَضَى ما عليه .

قال عمرو بن العاص : ما نزلتْ بى قطّ عظيمةٌ فأبرمْتُها حتى أشاورَ عشرةً من قريش مرتين [1] فإن أصبتُ كان الحظّ لى دونَهم ، وإن أخطأتُ لم أرجع على نفسى بلائمة .

قال بعضُ الأعراب :

خليلىَّ ليسَ الرأىُ فى صدرِ واحدٍ أشيرَا عَلَىَّ اليومَ ما تَرَيَانِ
أأَرْكَبُ صعبَ الأمرِ إنَّ ذَلُولَهُ بنجرانَ لا يُقْضَى بحينِ أوَانِ [2]

وأظن هذين البيتين من الأعرابى القائل :

لقد هزئَتْ مِنّى بنجرانَ إذ رأَتْ مَقَامِيَ فِى الْكَبْلَيْنِ أُمُّ أبَانِ
كأَنْ لم تَرَ قَبْلِى أسيرًا مكبَّلًا ولَا رَجُلاً يَرْمِى بهِ الرَّجَوَانِ [2]

وقد تمثل بهذا البيت عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، وكتب به إلى بعض أمرائه وقضاته .

كان يقال : أمرانِ جليلان لا يَصْلُح أحدهما إلاّ بالتفرُّد ، ولا يصلح الآخرُ إلاَّ بالتّعاون ، المُلْكُ والرَّأى ، فإن استقام الملك بالشركاء استقام الرأى بالاستبداد ، وهذا لا يكون أبداً .

---

(١) ساقطة من ب .

(٢) الأبيات الأربعة لعطارد بن قران أحد بنى صعصعة بن مالك ، انظر معجم الشعراء ٣٠٠ ، الأمالى ٤٤/١ ، شرح حماسة أبى تمام ٧٥/١ ، ويرمى به الرجوان معناها لا يعبأ به ، وأصل الرجا الناحية ومثناها الرجوان ، والشىء الذى يلقى فى هذه الناحية ثم يلقى فى الناحية الأخرى شىء لا يعبأ به .

قال صالحُ بن عبد القدوس :

وإن بَابُ أمْرٍ عليك الْتَوَى   فَشاوِرْ لبيباً ولا تَعْصِــهِ
وإن ناصحٌ منك يوماً دَنَا   فَلاَ تَنْأَ عنهُ ولا تُقْصِهِ[1]

قال الأحنف : اضربوا الرأيَ بعضَه ببعض يتولّدُ منه الصّواب ، وتجنّبُوا منه شدةَ الحزم ، واتّهموا عقولكم ، فإن فيها نتائج الخطأ ، وذمّ العاقبة .

كان يقال : خذ الأمرَ مقبلا ، فشرُّ الرأى : الدَّبَرِىّ[2] .

قال الشاعر ، وهو القطامىّ :

وَخيرُ الأمْرِ ما استقبلتَ مِنْهُ   وليْسَ بأَن تَتَبَّعَهُ اتّباعَا[3]

قال بعض العرب :

قَبْلَ الرَّمْى يُرَاشُ السَّهْمُ

وقال سابق :

وَقبلَ أوَانِ الرَّمْى تُملَا الـكَنَائِنُ[4]

وقال الفارسىّ : بادر الفرصة قبل أن تكون غُصَّة ، وأنشد :

تَدَارُكُ الأمْرِ قَبْلَ نَهْبَتِهِ   أبْلَغُ فِيما تُحِبّ مِنْ دَرَكِهْ

---

(١) سبق البيتان فى ص ٢٧٨
(٢) الرأى الدبرى : الذى يسنح بعد فوات الحاجة ، وكذلك الجواب الدبرى .
(٣) ديوانه ٤٠ .
(٤) التمثيل والمحاضرة ١٥٢ ، وفيه : وقبل نزول الحرب ... الخ .

قال بعضُ الحكماء : حقيق أن يُوكَّل إلى نفسه ، من أعجب برأيه .

قال عبدالملك : اللحن هُجْنَةُ[1] الشريف ، والعُجْب آفة الرأى .

قال قتيبةُ بن مسلم : مَنْ أعجب برأيه ، لم يشاور كفيا ، ولم يوات نصيحاً .

قال بُزر جمهر : أفْرَهُ الدّواب لا غنى به عن السَّوط ، وأعفّ النساء لا غنى بها عن الزواج ، وأعقل الرجال لا غنى به عن المشورة .

قال عبدُ الملك بن مروان : لِأن أُخْطِىء وقد استشرتُ أحب إلىَّ من أن أصيب من غير مشورة .

قال قتيبةُ بنُ مُسْلم : الخطأُ مع الجماعة خيرٌ من الصواب مع الفُرْقة ، وإن كانت الجماعة لا تخطىء ، والفُرْقة لا تصيب .

قال المأمونُ : ثلاثٌ لا يعدم المرء الرشد فيهنَّ : مشاورةُ ناصح ، ومداراةُ حاسد ، والتحببُ إلى الناس .

كان عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه يستشيرُ فى الأمر ، حتى إن كان ربما استشار المرأة ، فأبصر فى رأيها فضلا .

كان يقال : ما من قوم تمالئوا على أمرهم ، ثم شاوروا امرأة إلا تَبَّر الله أمرهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفلح قوم وَلَّوْا أمرهم امرأة » .

كان يقال : من طلب الرُّخصة من الإخوان عند المشورة ، ومن الفقهاء عند

---

(١) الهجنة : العيب والنقيصة .

الشبهة ، ومن الأطباء عند المرض ، أخطأَ الرَّأيَ ، وحَمل الوِزْر ، وازداد مرضاً .

قال الشاعرُ ، وأظنها لمنصور الفقيه :

إِذَا الأمرُ أشْكلَ إنفَاذُهُ ... ولم تَرَ مِنْهُ سَبِيلاً فَسِيحاَ
فَشاَوِرْ بِأمْرِكَ فِي سُتْرَةٍ ... أخاكَ اللَّبِيبَ المُحِبَّ النَّصِيحاَ
فَرُبَّتَمَا فَرَّجَ(١) النَّاصِحُون ... وأَبْدُوا مِنَ الرَّأْيِ رَأْيًا صَحِيحاَ
وَلَا يَلْبَثُ المُسْتَشِيرُ الرِّجَالَ ... إِذَا هو شاور أن يَسْتَرِيحاَ(٢)

وقال آخر :

إنَّ اللَّبِيبَ إذا تفرَّقَ أمْرُهُ ... فَتَقَ الأُمُورَ مُنَاظِرًا وَمُشَاوِرَا(٣)
وَأخُو الجَهَالَةِ يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ ... فَتَرَاهُ يعْتَسِفُ الأمورَ مُخَاطِرَا(٤)

وقال آخر :

وعاجزُ الرَّأْيِ مضياعٌ لِفُرْصَتِهِ ... حتَّى إذَا فَاتَ أمْرٌ عاتَبَ القَدَرَا(٥)

وقال آخر :

أَأنتمْ أُناسٌ عِظَامٌ لَا حُلُومَ لَكُم ... لا تعْلَمُونَ أجَاءَ الرُّشْدُ أمْ غَابَا

---

(١) ا : كشف .
(٢) الأبيات في لباب الآداب ٧٥ ، ولم تنسب لقائل .
(٣) زيادة من ب .
(٤) البيتان لمحمود الوراق ، انظر المستطرف ١/٩١ .
(٥) مجموعة المعاني ٢٥ ، العقد ١/٧٥ ، البيان ٢/٣٩١ ، من غير نسبة ، ونسب إلى يحيى بن زياد في معجم الشعراء ٤٩٨ .

لا تبصِرُونَ وُجُوهَ الرَّأْيِ مُقْبِلَةً   وتبصُرونَ إذا ولَيْنَ أَذْنَابَا(١)

قال أبو عُمر : الاستبدادُ مذموم عند جماعة الحكماء ، والمشورةُ محمودة عند غاية العلماء ، ولا أعلمُ أحداً رضى الاستبداد وحمده ، إلاَّ رجل واحد مفتون ، مخادع لمن يطلب عنده لذته فيرقب غرته ، أورجلٌ فاتك يحاول حين الغفلة ، ويرتصد الفرصة ، وكلاَ الرّجلين فاسقٌ مائق ، مثال أحدهما قول عمر بن أبى ربيعة . يخاطب من يخدعه .

لَيْتَ هِنْدًا أَنجَزَتْنَا مَا تَعِدْ   وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدْ
وَاستبدَّتْ مرَّةً وَاحِدَةً   إنَّما العاجِزُ من لّا يَسْتَبِدْ(٢)

ومثال الآخر ، قول سعيد بن ثابت العنبرى الأعرابى (٣) .

إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عينيهِ عَزْمَهُ   وَنكّبَ عن ذِكْرِ العَوَاقِبِ جَانِبَا
ولم يستشرْ فِى رَأْيِهِ غيرَ نَفْسِهِ   ولمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبَا(٤)

سئل الحسنُ البصرىّ ، عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لاتستضيئُوا بنار المشركين» . فقال : أراد لاتستشيروا المشركين فى أموركم ولاتأخذوا برأيهم .

(١) البيتان فى عيون الأخبار ١/٣٥ .
(٢) ديوانه ١/١١٥ .
(٣) ساقطة من ب .
(٤) مجموعة المعانى ٢٣ ، عيون الأخبار ١/١٨٨ ، حماسة أبى تمام ١/٢٥ ، الشعراء ٦٧٨ ، أمالى القالى ٢/١٧٥ ، ونسبت فى الثلاثة الأخيرة إلى سعد بن ناشب من بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

بابُ كتمانِ السِّر وإفشائه

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : « مَنْ أَسَرَّ إلى أخيه سِرًّا لم يَحِلّ له أن يُفْشِيَهُ عليه » .

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : من كتم سره كان الخِيار بيده ، ومن عرَّض نفسه للتُّهمة فلا يلومنّ من أساء الظنّ به .

قال عباسُ بن عبد المطلب لابنه عبد الله رضى الله عنهما : يا بُنيّ ! إن أمير المؤمنين يدنيك — يعنى عمرَ بن الخطاب — فاحفظْ عني ثلاثًا : لا تفشينّ له سرًّا ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا يطّلعَنَّ منك على كِذْبة .

قال أكثم بن صيفي : إن سِرَّك من دمك ، فانظر أين تُريقه .

كان يقال : احفظوا أسرَارَكم كما تحفظون أبصارَكم .

وكان يقال : أكثرُ ما ينم به التدبيرُ الكتمانُ .

قال قيسُ بن الخَطيم :

أَجُودُ بِمَضْمُونِ التِّلَاد وَإِنَّنِى بِسِرِّكَ عَمَّنْ سَالَنِى لَضنينُ
وَإنْ ضيّع الإخْوَانُ سرًّا فإنَّنى كتومٌ لأَسْرَارِ الخَلِيلِ أَمِينُ
يكونُ له عندى إذا ما ائْتُمِنْتُهُ مكانٌ بِسَوْدَاء الفؤَادِ مكِينُ

إذا جَاوَزَ الإِثْنَـيْنِ سِرٌّ فإِنَّهُ بنشرٍ وَإفشاء الحديث قَمِينُ(١)

وفى مثل هذا : إن السرّ لا يسمَّى سرًّا حتى يُسره رجلٌ [واحد](٢) إلى رجل آخر .

قال الصَّلَتَانِ العَبْدى :

وسرُّكَ ما كانَ عندَ امْرِئٍ وسرُّ الثَّلاثةِ غيرُ الخَفِى(٣)

وقال سابق :

فَلاَ تُخْبِرْ بِسِرِّكَ ، كلُّ سِرٍّ إذا ما جَاوَزَ الإثْنَيْنِ فَاشِى(٤)

وقال آخر :

لِكلِّ امرئٍ يَا أُمَّ عَمْرٍو طبيعةٌ وتفضيلُ ما بين الرِّجَالِ الطَّبَائِعُ
فلاَ يَسْمَعَنْ سِرِّى وَسِرَّكِ ثالثٌ أَلَا كلُّ سِرٍّ جَاوَزَ اثنيْنِ ضَائِعُ(٥)
وَكيف يُشِيعُ القلبُ سِرًّا وَفَوْقَهُ حجابٌ ومافوق الحجابِ الأَضالِعُ(٦)

---

(١) يروى : بعضمون ، وبمكنون ، والعشير بدل الحليل ، وما صمنته مكان ائتمه ، ومقر بدل مكان ، وكنين بدل مكين ، وتكثير بدل إفشاء ، ونث مكان نشر .

التلاد : المال الموروث ، سوداء الفؤاد : حبة القلب ، وقين : حري خليق .

والأبيات فى الديوان ٥٥ ، ماعدا الأول فهو فى ذيل الديوان ص٨٢ ، وانظرها فى الأمالى للقالى ٢/١٧٧ ، ٢٠٢ ، لباب الآداب ٢٣ حماسة ابن الشجرى ١٤٢ ، المستطرف ١/٢٤٥ ، والبيت الأخير فى حماسة البحترى ٢٢٦ ، والكامل ٢/١٧ ، وقد نسبه فيه إلى جميل العذرى .

(٢) زيادة من ب .

(٣) يروى : وبين الثلاثة . وانظر البيت فى عيون الأخبار ١/٣٩ ، حماسة أبى تمام ٢/٥٢ ، لباب الآداب ٢٤٠ ، حماسة البحترى ٢٢٦ ونسبها هناك إلى الأشعر الجعفى .

(٤) عيون الأخبار ١/ ٣٩ ، لباب الآداب ٢٤١ .

(٥) ا : شائع .

(٦) زيادة من ب ، وقد سبت الأبيات فى الكامل ٢/١٦ إلى جميل العذرى ، ونسبت فى معجم الشعراء ٣٢٥ إلى قيس بن حدادية الخزاعي ، وفى حماسة أبي تمام ١/٢٢٦ سماه قيس بن منقذ الخزاعي .

وذهبت طائفة إلى أن السرَّ ما أسررته فى نفسك، ولم تبده إلى أحد.

قال عمرو بن العاص: ما استودَعْتُ رجلا سرًّا فأفشاه فلمته، لأنى كنت به أضيق صدراً حين استودعته إياه.

وإلى هذا ذهب القائل حيث قال:

إذا ضَاقَ صَدْرُ المَرْءِ عن سِرِّ نَفْسِهِ فَصدْرُ الّذِى يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ(١)

وأنشد الأصمعى قال: أنشدنى أعرابى:

لَا أَكتُمُ الأَسْرَارَ لـكِنْ أُبثُّهَا ولَا أَدَعُ الأَسْرَارَ تَقْتُلنِى غَمَّا
وإنَّ سَخِيفَ الرَّأْىِ مَنْ بَاتَ لَيْلَهُ حريباً بكِتْمانٍ كَأَنَّ به حُمَّى
وَفِى بَثِّكَ الأَسْرَارَ للقَلْبِ رَاحةٌ وتكشف بالإفشاءِ عن قلبكَ الهَمّا(٢)

وقال سُحَيم الفَقْعَسِىّ:

لَا أَكتمُ الأَسْرَارَ لـكِنْ أذيعُهَا ولَا أَدَعُ الأَسْرَارَ تَغْلِى عَلَى قَلْبِى
وَإِنَّ ضعيفَ العَقْلِ مَنْ بَاتَ لَيْلَهُ تُقَلِّبُهُ الأَسْرَارُ جنبًا إلَى جَنْبِ(٣)

ومثله قول الآخر:

لَا تُفْشِيَنْ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لـكُلِّ نصيحٍ نَصِيحَا

(١) الكامل ٢/١٦، العقد الفريد ١/٧٧، لباب الآداب ٢٤٠، المستطرف ١/٢٤٥.
(٢) محاضرات الأدباء ١/٦٠، مجموعة المعانى ٧١، عيون الأخبار ١/٤١.
(٣) يروى: لكن أنمها، ولا أترك الأسرار، ويروى: وإن أحق الناس بالسخف لامرؤ. انظر الكامل ٢/١٨، حماسة أبى تمام ٢/٣٧١، المستطرف ١/٢٤٦.

فإنّى رأيتُ غُواةَ الرِّجالِ	لا يتركُون أديمًا صحيحاً (١)

وقال رجل من بنى سعد :

إذا ما ضاقَ صدرُكَ عن حديثٍ	فأفشته الرِّجالُ فمَنْ تلُومُ
إذا عاتبتُ مَنْ أفشى حديثى	وسرِّى عندَهُ فأنا الظَّلُومُ
وإنِّى حينَ أسأمُ حَمْلَ سِرِّى	وقد ضمَّنْتُه صدرِى (٢) سَؤُومُ
ولستُ محدِّثًا سِرِّى خليلاً	ولا عِرْسِى إذا خطرَتْ هُمُومُ
وأطوِى السِّرَّ دُونَ النَّاسِ إنِّى	لِمَا استُودِعْتُ مِنْ سِرٍّ كَتُومُ (٣)

وقال المتنبى :

رِضَاكَ رِضَاىَ (٤) الَّذِى أُوثِرُ	وسِرُّكَ سِرِّى فَمَا أُظْهِرُ
كَفَتْكَ الْمُرُوءَةُ ما تَتَّقِى	وآمنكَ الوُدُّ مَا تَحْذَرُ
وسِرُّكُمُ فِى الحَشَا مَيِّتٌ	إذا انْتَشَرَ السِّرُّ لا يُنْشَرُ (٥)

وقال حارثة بن بدر الغُدَانى :

خليلىَّ لَوْلَا حُبُّ زينبَ لم أُسَلْ	أَفِى الْيَوْمِ لُقِّيتُ الْمَنِيَّةَ أَمْ غَدَا

---

(١) انظر البيتين فى مجموعة المعانى ٧١ ، عيون الأخبار ١/٣٩ ، لباب الآداب ٢٤٠ ، العقد الفريد ١/٧٦ ، الكامل ٢/١٥ ، حماسة البحترى ١٠٦ .
(٢) ا : سرى .
(٣) عيون الأخبار ١/٣٩ ، لباب الآداب ٢٤٣ ، ونسبه فيه إلى رجل من عبد شمس بن سعد .
(٤) ا : رضائى .
(٥) ديوانه ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، وفيه : إذا أنشر السر ، وقد نسبت أيضا إلى أبى العتاهية . ووردت فى ديوانه ٩١ .

خليليَّ إنْ أُفشيتُ سِرِّي إليكُما فلا تجعلا سِرِّي حديثًا مُبَدَّدا
فإنْ أنتما أفشيتماه فلا رأتْ عيونكما يومَ الحسابِ محمَّدا

وقال آخر :

إذا أنت لم تحفظْ لنفسِكَ سِرَّها فسِرُّكَ عندَ النَّاسِ أفشى وأَضْيَعُ(١)

وقال ابنُ مَيَّادَة واسمه الرَّمَّاح :

يَا خليليّ هَجَرَا كَيْ تَرُوحَا(٢) هجْتُمَا لِلرَّوَاحِ قلْبًا قَرِيحَا
إنْ تَرُوحَا(٣) لِتَعْلَمَا سِرّ سُعْدَى تَجِدَانِي بسرِّ سُعْدَى شَحِيحا
إنّ سُعْدَى كَمُنْيَةِ المُتَمَنِّي جَمعتْ عِفَّةً وَوَجْهًا صَبِيحَا
كلّمتني وذاكَ ما نلتُ منها إنَّ سُعْدَى تَرَى الكلامَ رَبِيحَا

قيل لرجل : كيف كتمانك للسر(٤) ؟ قال : أجحد المُخْبِر . وأحلف للمُسْتَخْبِر .

أسر رجل إلى رجل سرًّا ، فلما فرغ قال له : حفظت ؟ قال : (٤ لا . بل ٤) نسيت .

قال أبو محجن الثقفي :

قَدْ أَركبُ الهَوْلَ مَسْدُولا سَتَائِرُهُ وأَكتُمُ السِّرَّ فيه ضَرْبَةُ العُنُقِ(٥)

---

(١) عيون الأخبار ١/٤٠ ، لباب الاداب ٢٤٢ . حماسة البحترى ٢٢٤ .
(٢) ا : هجراني خروجاً .
(٣) ب : روحا .
(٤) ساقطة من ا .
(٥) ساقط من م ، وهو في ديوانه ٢٦ ، وصدر البيت فيه : وقد أجود وما مالي بذي فنع ، والفنع : الفضل ، وفي العقد ١/٧٨ : قد أطعن الطعنة النجلاء عن عرض ، وانظره في عيون الأخبار ١/٣٨ .

وقال مسكين الدرامى :

وإنّى امرؤٌ مِنّى الحياءُ الّذى ترَى ... أَعيشُ بأَخْلَاقٍ قليلٌ خِدَاعُهَا
أُوَاخِى رِجالاً لستُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ ... عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّى جِمَاعُهَا
يَظلّونَ شتّى فى البلاد وَسِرُّهُمْ ... إِلَى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرِّجَالَ انْصِدَاعُها[1]

وقال آخر :

وَلَو قَدَرْتُ عَلَى نِسْيَانِ ما اشْتَمَلَتْ ... منّى الضُّلوعُ من الأَسْرَارِ والخَبَرِ
لكنتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سَرَائِرَهُ[2] ... إِذَا كُنْتُ مِنْ نَشْرِهَا يوماً عَلَى خَطَرِ[3]

قال أبو الشّيص :

ضَعِ السِّرَّ فِى صَمَّاءَ لَيْسَتْ بِصَخْرَةٍ ... صَلُودٍ كما عاينتَ من سَائِرِ الصَّخْرِ
ولكنّها قلبُ امرِئٍ ذى حفيظةٍ ... يَرَى ضَيْعَةَ[4] الأَسْرَارِ شرًّا من الشَّرِّ
يموتُ وما ماتَتْ كَرَائِمُ فِعْلِهِ ... فَيَبْلَى وَما يَبْلَى ثَنَاهُ عَلَى الدَّهْرِ

كان يقال : لا تطلعوا النّساء على سِرّكم ، يصلح لكم أمركم .

قال الشاعر :

خَتَمْتُ الفُؤَادَ عَلَى حُبِّهَا ... كَخَتْمِ الصَّحِيفَةِ بالخاتَمِ

---

(١) الأبيات فى مجموعة المعانى ٧١ ، الأمالى ٢/١٧٦ ، الحماسة ١/٤٧٣ ، وفيها البيت الثانى : وفتيان صدق .
(٢) ب : ضمائره .
(٣) لباب الآداب ٢٤١
(٤) ا : شيعة .

هَوَتْ بِىَ فِى حُبِّها نَظْرَةٌ هَوِىَّ الفَرَاشَةِ فِى الجَاحِمِ[١]

وقال آخر :

فإنْ تَكُ لَيْلَى حَمَّلَتْنِى أَمانَةً فلا وأَبِى ليلَى إذاً لا أَخُونُهَا

حفظتُ لها السِّرَّ الّذِى كان بيننا ولا يحفظُ الأسرارَ إلا أَمِينُهَا[٢]

كان يقال : كل شىء تكتمه عن عدوك ، فلا تُظْهِر عليه صديقك .

وقال آخر :

إذا كَتم الصديقُ أخاه سِرًّا فما فضلُ الصَّدِيقِ عَلَى العَدُوِّ[٣]

وقال آخر :

وأبثثتُ عمراً بعضَ مافِى جوانحى وجَرَّعْتُهُ من مُرِّ ما أَتَجَرَّعُ

ولا بدَّ من شكوى إلى ذِى حَفِيظَةٍ إذا جعلتْ أسْرَارُ نَفْسِى تَطَلَّعُ[٤]

وقال أبو الشيص :

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى سِرِّى وسِرِّكُمُ غَيْرِى وغيْرَكَ أَوْ طَىَّ القَرَاطِيسِ[٥]

وقال ابن وكيع :

إذا كنتَ ذَا سِرٍّ تخافُ مِنَ العِدَا عليهِ ظُهُورًا فاطْوِهِ دونَ ذِى الوُدِّ

---

(١) ا : للجاحم .

(٢) عيون الأخبار ١/٤٢ ، الأمالى للقالى ٧١ ، وفيه : فلا وأبى أعدائها لا أخونها .

(٣) البيان ٣/٣٨٠ .

(٤) انظر البيتين فى محاضرات الأدباء ٢/٥٤ ، البيان والتبيين ٣/٣٨٠ ، من غير نسبة ، وهما لبشار بن برد ، كما فى المختار من شعره ١٤٥ ، وفيه : وأودعت عمرا .

(٥) عيون الأخبار ١/٤٢ ، شرح المختار من شعر بشار ١٥٧ .

فيا رُبَّ خِلٍّ حَالَ عمَّا عهدتهُ ... فظل لما قد كنتُ أودعتُه يُبْدِي

وقال شبيب بن البَرْصَاء :

وإنّى لأكْمُنُ السرَّ عندى وإن أتى ... لذلك من عَهْدِ الأمانةِ حينُ[1]

كُمُونَ النَّوَى لا يَشْعُرُ النَّاسُ أنَّهُ ... ثوَى فِي رُفَاتِ الْأَرْضِ وهْو دَفِينُ

وقال آخر :

تَبُوحُ بِسِرِّكَ ضيقًا بِهِ ... وتَبْغِي لسِرِّكَ مَنْ يَكْتُمُ

وكِتمانُكَ السِّرَّ مِمَّنْ تَخَافُ ... ومن لَا تَخَوَّفُهُ أحزَمُ[2]

وقال آخر :

أُدَارِى خَلِيلِي مَا اسْتَقَامَ بوُدِّهِ ... وأَمْنَحُهُ وُدِّى إذا يتحبَّبُ

ولست ببادِى صاحبِى بقطيعةٍ ... ولا أنا مُبْدِي سِرَّهُ حين أغْضَبُ

ومما أنشده الرِّياشي رحمه الله :

بديهتُه قَبْلَ تدبيرِهِ ... متَى رُمْتَهُ فهْوَ مُسْتَجْمِعُ

وفي كفّه للغنى مطلبٌ ... وللسِّرِّ فِي صَدْرِهِ مَوْضِعُ[3]

---

(١) ا : بين .

(٢) البيتان للحسين بن على بن أحمد النقيبى ، انظر معجم الأدباء ١٠/١٣٠ ، وانظرهما فى لباب الآداب ٢٤٢ ، محاضرات الأدباء ١/٥٩ .

(٣) البيتان لأشجع بن عمرو السلمى ، انظر الشعر والشعراء ٨٥٩ ، وفيه : بديهته مثل تدبيره .

بابُ الحَرْبِ والشَّجَاعَةِ والجُبْن

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « لا تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدوّ ، وإذا لقيتموهم فاثبُتُوا » .

قال أبو بكر الصّدّيق رضى الله عنه فى كتابه إلى خالد بن الوليد : احرصْ على الموت تُوهبْ لك الحياة . أخذه الشاعر فقال :

تأخرتُ أستَبقِى الحياةَ فلم أجدْ ... لِنَفْسِى حياةً مثلَ أنْ أتقدَّمَا[1]

ومن هذا قول الخنساء :

نُهينُ النفوسَ وهونُ النُّفو ... سِ عند الكَريهة أوقَى لَهَا[2]

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه لبعض بنى عبس : كم كنتم فى يوم كذا ؟ قال : كنا مائة ، لم نكثر فتتوا كل ونفشل ، ولم نقلّ فنذلّ . قال : فبم كنتم تظهرونّ على أعدائكم ، ولستم بأكثر منهم ؟ قال : كنا نصبرُ بعد الناس هنيهة .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، لابنه الحسن ، وقد قيل لابنه محمد : يا بنى ! لا تدعون أحداً إلى البِراز ، فإنه بَغْى[3] ، ولا يدعونّك أحد إليه إلا أجبته .

قدم وفد على عمر بن الخطاب بفتح ، فقال : متى لقيتم عدوكم ؟ قالوا : أول

---

(١) نسب البيت فى حماسة أبى تمام ١/٦٨ إلى الحصين بن حمام المرى ، ونسبه فى الأغانى مرة إلى الحصين ١٢/٢٦٢ ، ومرة إلى شبيب بن البرصاء ١٢/٢٨١ ، ونسب فى عيون الأخبار ١/١٢٥ إلى يزيد بن المهلب بن أبى صفرة .

(٢) الديوان ٢١٥ ، شرح الحماسة للمرزوقى ١/١٣٥ ، محاضرات الأدباء ١/١٤٥ ، عيون الأخبار ١/١٢٥ .

(٣) ب : نبى ، وما أثبتناه موافق لرواية العقد ، وبعدها فيه : والباغى مصروع .

النهار . قال : فمتى انهزموا ؟ قالوا : آخر النهار ، فقال : إنا لله ! أوقام الشرك للإيمان من أول النهار إلى آخره !! والله إنْ كان هذا إلاَّ عن ذنب أحد تموه بعدى[١] ، أو أحدثته بعدكم . ولقد استعملتُ يَعْلَى بن أُمَيَّة على اليمن أستنصر لكم بصلاحه .

قيل لعنترة : كم كنتم يوم الفروق[٢] ؟ قال : كنا ألفاً مثل الذهب الخالص ، ليس فينا غيرنا ، لم نكثر فنتواكل[٣] فنفشل ، ولم نقل فنذل .

لم يكن قَبيل فى العرب [٣] ألف فارس [٣] إلا ثلاث قبـــائل : مرّة وعبس وبنو الحارث بن كعب .

[٣] قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، لعَمْرو بن مَعْدِى كَرِب [٣] : أخبرنى عن السِّلاح . قال : سلْ عما شئت . قال : الرُّمح ، قال : أخوك وربما خانك[٤] . قال : النّبل ؟ قال : منايا تخطىء وتصيب . قال : التُّرْس ، قال : ذلك المِجَنّ وعليه تدورُ الدوائر . قال : الدّرع ، قال : مَشْغَلة[٥] للرَّاجل متعبةٌ للفارس ، وإنها لحصنٌ حصين . قال : السيف ؟ قال : قارعتكَ أُمُّك على الثُّكل . قال عمر : بل أُمُّك . قال : أخبرنى عن الحرب ، قال : مُرَّة المذاق ، إذا قَلَصَت عن ساق ، من صَبَر لها عُرِف ، ومن ضعف عنها تلِف ، وهى كما قال الشاعر :

الحربُ أوّلَما تكونُ فتيَّةً[٦] ... تسعَى بزينتها لكلِّ جَهُولِ

---

(١) ب : أجرمتموه .

(٢) الفروق : موضع بديار بنى سعد ، كان فيه يوم من أيام حروب عبس وذبيان . وفى العقد ١/١٢١ ، كنا مائة بدل ألف .

(٣) ساقط من ب .

(٤) فى العقد : وربما خانك فانقصف .

(٥) فى العقد : مثقلة ، وانظر هذه المحاورة فى عيون الأخبار ١/١٢٩ وفى العقد ١/١٢١ حيث ساقها بصورة أخرى .

(٦) روى ابن الأثير المصرع الأول فى النهاية ٣/٤١٢ . وضبط فتية بضم الفاء وفتح التاء ، على التصغير . قال : ورواه بعضهم بالفتح .

حتّى إذا اشتعلَتْ وشبَّ ضِرامُها　　عادتْ عجوزًا غيرَ ذاتِ خَليلِ
شمطاءَ جَزَّتْ رأسَها وتنكرتْ[(١)]　　مكروهةً للشَّمِّ والتقبيلِ[(٢)]

قال حذيفة بن اليمان: الفتنة تُلْقَح بالنجوى، وتُنْتَج بالشكوى. أخذ نصر بن سيار[(٣)] قول حذيفة هذا، والله أعلم، حين قال:

وإنّ الحرب أوّلُها الكلامُ

وهى أبيات كتبها إلى مروان بن محمد:

أرى خَللَ الرَّمادِ وميضَ نارٍ　　ويوشِكُ أن يكونَ لهَا ضِرَامُ
فإنّ النَّارَ بالعُودَيْنِ تُذْكَى　　وإنَّ الحربَ أوّلُهَا الكلامُ
فقلتُ من التَّعجُّبِ ليت شِعْرِى　　أأيقاظٌ أميّـــةُ أمْ نِيَامُ[(٤)]

بلغ أبا الأغرّ[(٥)] أن أصحابه، وقع بينهم شر، فوجه ابنه الأغر[(٦)]، وقال له: يا بنى كن يداً لأصحابك على من قاتلهم، وإياك والسيف، فإنه ظل الموت، واتق الرمح، فإنه رسالة المنية، ولا تقرب السهام، فإنها رسل لا تؤامر من يرسلها، قال: فبم أقاتل؟ قال: بما قال الشاعر:

---

(١) ا: تكرهت.
(٢) العقد ١/١٠٩، وفى هامشه أنها نسبت لامرىء القيس فى العقد الثمين من دواوين الشعراء الستة الجاهليين، وانظرها فى الشعر والشعراء ٣٢٣، عيون الأخبار ١/١٢٨، محاضرات الأدباء ٢/٧٦.
(٣) ا: سنان.
(٤) العقد الفريد ١/١١٠، وفيات الأعيان ٢/٣٢٧، عيون الأخبار ١/١٢٨، ونسبها لأعرابى يدعى أبا مريم فى محاضرات الأدباء ٢/٧٥.
(٥) ب: الغر، والصحيح ما أثبتناه كما فى العقد وغيره.
(٦) ب: الآخر.

جَلاميدُ أَمْلَاءِ الأَكُفِّ كَأَنَّهَا   رءوس رجالٍ حُلِّقَتْ بِالْمَوَاسِمِ

وهذا الشعر هو :

تُغَطِّى نُمَيْرٌ بالْعَمَائِمِ لُؤْمَهَا   وكيف يُغَطِّى اللؤْمَ طَيُّ الْعَمَائِمِ
فإِنْ تَضْرِبُونَا بالسِّيَاطِ فإِنَّنَا   ضربناكُمُ بالمُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ
وإن تحلقوا منَّا الرؤوسَ فإِنَّنا   حلقنا رءوساً باللِّحَى والغَلَاصِمِ
وإن تمنعوا منَّا السِّلَاحَ فعِنْدَنا   سلَاحٌ لنَا[1] لا يُشترى بالدَّراهِمِ
جلاميدُ أمْلَاءِ الأكفِّ كأنَّها   رءوسُ رجالٍ حُلِّقَتْ بالْمَوَاسِمِ[2]

ومن أحسن ما قيل فى الصبر على الحرب قول نَهْشَل بن حَرّى بن ضَمْرَة :

ويومٍ كأنّ الْمُصْطَلِينَ بحرِّهِ   وإن لَم يكن نارٌ قيامٌ على الجمْرْ
صبرنا له حتَّى تَقَضَّى وإنّما   تُفَرَّجُ أيامُ الكَرِيهَةِ بالصَّبْرْ[3]

ومثله قول الآخر :

بكى صاحبى لما رأى الموتَ مُوقِناً   مُطِلًّا كإِطْلَالِ السَّحَابِ إذا اكْفَهَرّْ
فقلتُ له : لا تبكِ عَيْنُكَ إنّما   يكونُ غداً حسنُ الثناء[4] لمن صَبَرْ
فما أخَّرَ الإِحجامُ يوماً مُقَدَّمًا   ولا عجَّلَ الإِقدامُ ما أخَّرَ القَدَرْ

---

(١) ساقطة من ا .

(٢) الأبيات لجرير ، ديوانه ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، البيان ٣/١٢ ، العقد الفريد ١/٢١٣ ، محاضرات الأدباء ٢/٧١ ، الكامل ١/٣٤٤ ، ونسبت فى ذيل الأمالى ١١٦ ، ١١٧ ، إلى نافع بن خليفة الغنوى وانظر البيت الأخير فى عيون الأخبار ١/١٣١ وفيها : علائن بد أملاء .

(٣) يروى : وإن لم يكن له نار وقوف ، ويبوخ مكان تقضى . انظر البيتين فى شرح الحماسة للمرزوقى ١/٣٦٣ ، عيون الأخبار ١/١٢٨ ، العقد ١/١٢٥ ، الشعر والشعراء ٦١٩ .

(٤) ب : إلينا ، والأبيات فى عيون الأخبار ١/١٢٥ .

ومن أحسن ما قيل فى النظم فى الصبر على الحرب[١] ، قول قَطَرِىّ بن الفُجاءة التميمى الخارجى :

أقول لها وقد طارتْ شعاعًا … من الأبطالِ ويْحَكِ لن تُرَاعِى
فإنكِ لو سألتِ بقاءَ يومٍ … على الأجَلِ الذى لك لم تُطاعِى
فصبرًا فى مجال الموتِ صبرًا … فما نيلُ الخلودِ بمُسْتَطاعِ
ولا ثوبُ البقاءِ بثوبِ عزٍّ … فَيُطْوَى عن أخِى الْخَنْعِ اليَرَاعِ
سبيلُ الموتِ غايةُ كلِّ حىٍّ … وداعيهِ لأهلِ الأرضِ داعِى
ومن لم يُعْتَبَطْ يهرَمْ ويَسْقَمْ … وتُسْلِمْه المَنُونَ إلى انْقطاعِ[٢]

وقال أصرم بن حميد :

حَرَامٌ عَلَى أرماحِنا طَعْنُ مُدْبِرٍ … وَيَنْدَقُّ قُدْمًا فى الصُّدُور صُدُورُهَا
مسلّمةٌ أعجازُ خيلِىَ فى الوَغَى … ودامِيَةٌ لَبَّاتُهـــا ونُحُورُهَا[٣]

وقول الآخر :

وقد يلتقى الجمعانِ والموتُ فيهما … فيُقْتَل من ولّى ويَسْلَمُ مَنْ ثَبَتْ

وقد ذكرتُ فى « باب الاعتذار » أحسنَ ما قيل فى النظم ، فى الاعتذار من الفرار .

---

(١) ب : فى التحريض على القتال .

(٢) الخنع : الذل والخضوع ، واليراع : القصبة الفارغة تهتز من الريح يشبه بها الجبان ، ويعتبط : يمت شابا من غير علة ، والأبيات فى شرح الحماسة للمرزوقى ١/٩٦ ، وفيها : يسأم ويهرم بدل يهرم ويسقم ، وانظر وفيات الأعيان ٣/٢٥٢ ، لباب الآداب ٢٠٤ ، عيون الأخبار ١/١٢٦ حيث تختلف الرواية بعض الاختلاف .

(٣) يروى : وتغرق منها بدل يندق قدما ، ويروى صدر البيت الثانى : محرمة أكفال خيلى على القنا ، والبيتان فى العقد الفريد ١/١٠٧ ، وقد نسبا فى مجموع المعانى ٣٧ إلى أبي تمام .

ومن أحسن ما قيل فى الإنصاف فى صفة الحرب ، واللقاء والصدق فى ذلك ، قول عبد الشارق بن عبد العزى الجهنى :

تنادَوْا يَالَ بُهْثَةَ يَوْمَ صَبْرٍ[1] فقلنا : أَحْسِنِى ضَرْبًا جُهَيْنَ
سمعنا دعوةً عن ظهر غيبٍ فجُلْنَا جولةً ثم ارْعَوَيْنَا
فلما أنْ تواقَفْنَا قليلاً أنَخْنَا للكَلاكلِ فارتَمَيْنَا[2]
ولما لم نَدَعْ قَوْسًا وسَهْمًا مشينَا نَحْوَهُمْ ومَشَوْا إلَيْنَا
تَلأْلُؤَ مُزْنَةٍ بَرَقَتْ لأُخْرَى إذا جادوا بأسيافٍ رَدَيْنَا[3]
شددْنَا شَدَّةً فقتلتُ منهم ثلاثةَ فتيةٍ وقتلتُ قَيْنَا
وشدُّوا شَدَّةً أخرى فَجَرُّوا بأرجلِ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُوَيْنَا
وكان أخِى جُوَيْنٌ ذَا حِفَاظٍ وكانَ القَتْلُ للفتيان زَيْنَا
فآبُوا بالرِّمَاحِ مُكَسَّرَاتٍ وأُبْنَا بالسُّيُوفِ قد انحَنَيْنَا
فباتوا بالصَّعِيد لهم أُحَاحٌ ولوخَفَّتْ لنَا الكَلْمَى سَرَيْنَا[4]

---

(١) ى ا ، م : يا لهيبة قوم صبر ، وفى حماسة أبي تمام : يا لبهثة إذ رأونا ، ورواية حماسة البحتري : يا لبهثة إذ لقونا ، فقالوا أحسنى .

(٢) ب : فارقينا .

(٣) ا : وجينا .

(٤) آل بهثة : قبيلة العدو ، وارعوينا : تراجعنا ، وردينا : سرنا بخطو فوق الحجلان ، ورواية حماسة أبى تمام لهذه الشطرة : إذا حجلوا بأسياف ردينا ، فالحجلان : تقارب الخطو كمشى المقيد ، والرديان : مشية فوق الحجلان ، وقتلت قينا : أى فارسهم المدعو قين ، أو هو عبد من عبيدهم ، والأحاح : الغيظ وحزازة الهم . والكلمى : الجرحى . وانظر الأبيات فى حماسة أبي تمام ١٧٧/١ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، وقد نسبت فى حماسة البحترى ٦١ إلى سلمة بن الحجاج .

وقال العُدَيْلُ(١) العِجْلى :

إذا ما حَمَلْنَا حملةً ثَبَتُوا لنَا ... بِمُرْهَفَةٍ تَفْرِى السَّوَاعِدَ من بُعْدِ
وإنْ نحنُ نازَلْناهُمُ بصوارمٍ ... رَدَوْا فى سَرَابِيلِ الحديدِ كما نَرْدِى(٢)

وقال آخر :

نَصِلُ السُّيوفَ إذا قَصُرْنَ بِخَطْوِنَا ... قُدُمًا ونُلْحِقُها إذا لم تُلْحَقِ(٣)

وقال آخر :

إنَّ الرِّمَاحَ نَصِيرةٌ بالجَاسِرِ

وقال آخر :

وَقلتُ لنفسِى إنَّما هو عامرٌ ... فلا تَرْهَبِيهِ وَانْظُرِى أيْنَ يَرْكَبُ(٤)

قال قَطَرِىٌّ بن الفُجَاءة :

لا يركَنَنْ أحدٌ إلى الإحْجَامِ ... يَوْمَ الوَغَى مُتَخَوِّفًا لِحِمَامِ
فلقد أرَانِى للرِّمَاحِ دَرِيئَةً ... مِنْ عَنْ يَمِينِى مَرَّةً وَأَمَامِى
حتَّى خَضَبْتُ بما تحدَّرَ من دَمِى ... أحنَاءَ سَرْجِى بل عِنَانَ لِجَامِى

---

(١) ب : الهذيل ، وهو تحريف ، فهو العديل بن الفرخ العجلى، شاعر إسلامى أموى يلقب بالعباب من رهط أبى النجم العجلى ، انظر حماسة أبى تمام ١/٣١١ .

(٢) فى الحماسة : مثلوا بدل ثبتوا ، وتذرى مكان تفرى ، وصعد بدل بعد ، ومعنى ردوا فى سرابيل الخ : هرولوا إلينا كما نهرول إليهم . وانظر البيتين فى حماسة أبى تمام ١/٣١١ .

(٣) نسب البيت فى حماسة أبى تمام ١/١٠٦ ، ١٢٤ إلى بشير بن عبد الرحمن بن كعب ، ونسب فى الأغانى ١٥/٣٠ ، الشعر والشعراء ٣٤٢ ، الكامل ١/٦٨ إلى كعب بن مالك الأنصارى ، وانظره فى البيان ٢/٢٣ من غير نسبة .

(٤) البيت لمكرز بن حفص القرشي ، انظره فى حماسة البحترى ١٢ ، والرواية هناك : وانظرى أى مركب .

ثم انصرفتُ وَقد أصبتُ وَلم أُصَبْ ... جَذَعَ البَصِيرَةِ قارِحَ الإِقْدَامِ[1]

قال عمر بن الخطاب : الجُرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء ، فالجبان يفر عن أهله وولده ، والجرىء يقاتل عمن لا يؤوب به إلى رحله .

ومن شعر لأبى يَعْقُوب الخُرَيمى :

يَفِرُّ جبان القوم عَنْ عِرْسِ نَفْسِهِ ... وَيَحْمِي شُجَاعُ الْقَوْمِ مَن لّا يُنَاسِبُهْ
وَيُرْزَقُ مَعْرُوفَ الجْوادِ عَدُوُّهُ ... وَيُحْرَمُ معروفَ البخيلِ أَقَارِبُهْ[2]

وقال قَطَرِىّ بن الفُجاءة :

يا رُبَّ ظِلٍّ عُقَابٍ قد وَقَيْتُ بِهَا ... مُهْرِى من الشَّمْسِ وَالأبطالُ تَجْتَلِدُ
وَربَّ يوم حمًى أرْعَيْت عَقْوَتَهُ ... خيلى اقتساراً وَأطرافُ القَنَا قِصَدُ
وَيوم لَهْوٍ لأهلِ الخفض ظلَّ بِهِ ... لَهْوِى اصطلاء الوَغَى أو نارُهُ تَقِدُ
مُشَهَّرًا موقفي وَالحربُ كاشـفةٌ ... عنها القِنَاعَ وَبحرُ الموت مُطَّرِدُ
وَربّ هاجرةٍ تَغْلِى مَرَاجِلُهَـا ... مَخَرْتُهـا بِمَطَايا غارَةٍ تَخِدُ
تجْتَابُ أودية الأفْزاع آمنـةً ... كأنّها أسـدٌ يقتادُها أسـدُ
فإن أمُتْ حَتْفَ أنفي لا أمُتْ كمداً ... على الطِّعَانِ وَقَصْرُ العاجزِ الكَمَدُ[3]

---

(١) شرح الأبيات : الدريئة : الهدف ، أو الحلقة التى يتعلم عليها الطعن : والأحناء : الجوانب ، ويروى بدلها الأكناف ، وجذع البصيرة : فتى الاستبصار ، أى وأنا على بصيرتى الأولى ، وقارح الإقدام ، متناه فى الجرأة . والأبيات فى شرح الحماسة للمرزوقى ١/ ١٣٠، والحماسة طبعة بيروت ١/ ٤٤ ، الأمالى للقالى ٢/ ١٩٠ .

(٢) فى عيون الأخبار ١/ ١٧٢ : عن أم رأسه ، وفى العقد الفريد ١/ ١٦٣ : عن أبيه وأمه ، وفى محاضرات الأدباء ١/ ١٣١ ، ٢/ ٥٧ : عن أم نفسه .

(٣) العقاب : طائر ، وتجتلد : تتقاتل ، والعقوة : شجر ، وقصد : قاطعة أو متكسرة من الطعان ، مخرتها : قطعتها ، ويروى مكان مخرتها : نجزتها . وتخد : تسير سيراً حثيثاً ، وقصر : أى حسب . والأبيات فى شرح الحماسة للمرزوقي ١/ ١٣٢ ، لباب الآداب ٢٢٥ ، الأمالي ١/ ٢٦٥ .

وقالت الخنساء :

وَمن ظنّ مِمَّنْ يُلاَقِى الحُرُوبَ ... بألّا يُصابَ فقد ظَنَّ عَجْزَا[١]

وقال حبيب الطائى :

وَدنَوْنَا وَدَنَوْا حتَّى إِذَا ... أمكنَ الضَّربُ فمن شاءَ ضَرَبْ

تركوا القَاعَ لنا إذْ كَرِهُوا ... غمراتِ الموتِ وَاختارُوا الهَرَبْ[٢]

وقال دُرَيْدُ بن الصِّمَّة ، ويقال : إنها لعَمْرِو بن مَعْدِى كَرِب :

أعاذلُ إِنَّما أفْنَى شَبَابِى ... رُكُوبِى فى الصَّرِيخِ إلى المُنَادِى

مع الفِتْيَانِ حتَّى سُلَّ جِسْمِى ... وَأقرحَ عاتِقِى حَمْلُ النِّجَادِ[٣]

وقال آخر :

قوم إذا اشْتَجَرَ القَنَا ... جَعَلُوا القُلُوب لهاَ مَسَالِكْ

اللَّابِسِين قُلُوبَهُمْ ... فوقَ الدُّرُوعِ لدَفْعِ[٤] ذَلِكْ[٥]

ومن أحسن ما قيل فى صفة[٦] الطعن ، قول الحارث بن حِلِّزَةَ :

فرَدَدْنَاهُمُ بضربٍ كما يَخْ ... رُجُ من جرْبَةِ المَزَادِ المَاءُ

وَفعلنا بهم كما عَلِمَ اللَّـ ... ـهُ وَمَا إنْ للخائنين دِمَاءُ

---

(١) الديوان ١٤٦.

(٢) الديوان ١١/٢ .

(٣) ب : سل عظمى . والبيتان فى عيون الأخبار ١٣٣/١ ، العقد الفريد ١٤٤/١ ، ١٤٢ ، وفيه : لإجابتى الصريخ ، وانظر البيت الأول فى معجم الشعراء ٢٠٩ .

(٤) ا : لوقع .

(٥) البيتان فى أمالى القالى ٦٥/١ .

(٦) ب : صحه .

وقال الفِنْدُ الزِّمَّانى[1] :

وطعنٍ كفمِ الزِّقِّ غَـــذَا وَالزِّقُّ مَلْآنُ

وقال آخر :

وَمِثلِكَ قد كسرتُ الرُّمْحَ فيه فآبَ بِدائِهِ وَشفيتُ دائِى

وقالت بنت المنذر بن ماء السماء[2] :

وقالوا : فارسُ الهيجاءِ ، قُلْنا : كذاكَ الرُّمْحُ يَكْلَفُ بالكَرِيمِ

وقال آخر :

ضممتُ إليه بالقَنَاةِ قميصَهُ فخرَّ صريعًا لليَدَيْنِ وَللفَمِ[3]

وقال عنترة :

فشككتُ بالرُّمْحِ الطويلِ ثيابَهُ ليسَ الكريمُ على القَنَا بمحرَّمِ[4]

وقال آخر:

صراعنا طريفاً بأرماحنا ولا تأكل الحَرْبُ إلاّ السّمِيناَ

---

(١) اسمه شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان الحنفى ، كان سيد بكر بنى وائل وقائدها وفارسها وسمى الفند لعظم خلقته ، تشبيها بفند الجبل أى القطعة منه ، مات نحو سنه ٧٠ قبل الهجرة ، والبيت مع أبيات أخرى فى حماسة أبى تمام ١/١٦، حماسة البحترى ٧٥ وفيها : «وهى» مكان غذا ، والأمالى للقالى ١/٢٦٠ . والزق : وعاء الخمر ، وغذا : سال .

(٢) فى الحماسة أن قائلته هى بنت فروة بن مسعود من شعر قالته فى رثاء أبيها فروة وعمها قيس ابنى مسعود وكانا قتلا مع المنذر ذى القرنين يوم عين أباغ ، والمنذر هو ابن امرىء القيس وأمه ماء السماء النمرية ، ورواية الحماسة للبيت : وقالوا ماجداً منكم قتلنا كذاك ... الخ ، انظر حماسه أبى تمام ١/٢٧١ .

(٣) البيت لربيعة بن مكدم ، الكامل ٢/١٧١ .

(٤) ديوانه ٢٦ ، جمهرة أشعار العرب ٩٧ .

وقال علىُّ بنُ محمد[1] العلوى ، المعروف بالمُبَرْقَع [2] ، صاحب الزَّنْج :

يثنى الصَّارِمُ المُهَنَّدُ وَالرُّمْ   حُ الرُّدَيْنِىُّ وَالشُّجَاعُ الجَرِىُّ
حيثُ لا أنثنِى وَلا يَتَثَنَّى   بِيَدِى صارمٌ وَلا سَمْهَرِىُّ
مَن رآنى فقد رَأى مَشْرَفِيًّا   ماضيًا[3] فى يَمِينِه مَشْرَفِىُّ
شأنِىَ الفارسُ المدجَّجُ فى النَّقْ   عِ إذا نَازَلَ الـكَمِىَّ الـكَمِىُّ
وَرأيتُ الفَضاءَ أضْيَقَ ما يُسْ   عَى به حتى كأنَّه مَطْوِىُّ
يا ابنة العمِّ أوقدى النَّار فى اللّيْ   لِ فإنِّى لـكل آتٍ أتِىُّ[4]
أكْرِمُ الضيفَ ما استَطَعْتُ لأنِّى   مطعمى حاضرٌ وكأسِى روىُّ
كيف لا تُزْهقُ النفوسُ لشَخْصِى   حِينَ أغشى الوغى[5] وَجَدِّى عَلِىُّ
ذو التُّقَى والنُّبْلِ وَذو العِلْمِ والحِلْ   مِ ومن خيرِ طينة والوَصِىُّ
والَّذِى قَالَ إنَّه اليَوْمَ مِنِّى   مثلُ هارُونَ من أخيه النَّبِىُّ

وقال عبيدة بن هلال :

يَهوِى وتَرْفَعُه الرِّماحُ كأنه   شِلْوٌ تَنَشَّبَ فى مَخالب ضَارِ

---

(١) فى ا : على بن أحمد وهو خطأ ، فهو على بن محمد الورزنينى العلوى ، الملقب بصاحب الزنج ، من كبار أصحاب الفتن فى العهد العباسى ، ظهر فى أيام المهتدى بالله العباسى سنة ٢٥٥ هـ ، والتف حوله سودان أهل البصرة ورعاعها ، حتى بلغ جيشه ٣٠٠ ألف مقاتل ، وعجز عن قتاله الخلفاء حتى استطاع الموفق بالله فى أيام المعتمد سنة ٢٧٠هـ أن يقتله . انظر الطبرى ١١/١٧٤ ، الأعلام ٥/١٤٠ .

(٢) زيادة فى ا فقط ، وليس هذا اللقب له بل هو لثائر آخر .

(٣) ساقط من ب .

(٤) ا : آب أبى .

(٥) ساقطة من ب .

فيُرى صَرِيعاً وَالرِّماح تنوشُه ... إن السَّرَاةَ قصـــيرة الأعمارِ

وقال مهلهل :

لَمْ يُطيقُوا أن ينزلُوا ونَزَلْنَا ... وأخو الحَرْبِ مَن أطَاق النُّزُولَا(١)

وقال (٢ ابن مقروم ٢) الضبي :

ودَعَوْا نَزَالِ فكنتُ أولَ نازلٍ ... وعَلَامَ أَرْكَبُهُ إذا لم أنْزِلِ

وقال أعشى همدان :

أبلغ يزيدَ بنى شيبانَ مَأْلُكَةً ... أَنَّ الكتائبَ لا يُهْزَمْنَ بالكُتُبِ

إنّ الوعيدَ بظهرِ الغيب مَعْجَزَةٌ ... فإنْ أردتَ قتالَ القوم فاقتربِ

من ها هنا والله أعلم أخذ حبيب :

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكُتُبِ ... فى حده الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ(٣)

وقال آخر :

وَخارجٍ أخرجَهُ حبُّ الطَّمَعْ ... فرَّ من الموتِ وَفى الموتِ وَقَعْ

من كان يَهْوَى أهلَهُ فلا رَجَعْ(٤)

---

(١) ب : النزالا ، والبيت فى محاضرات الأدباء ٢/٥٧ .

(٢) ساقط من ا ، وابن مقروم هو ربيعة بن مقروم الضبى ، شاعر مخضرم شهد القادسية وجلولاء أيام عمر ، ويعد من شعراء مضر المجيدين . والبيت فى عيون الأخبار ١/١٢٦ ، حماسة أبى تمام ١/٢٣ ، ويروى : أركبها بدل أركبه .

(٣) البيت فى ديوانه ٤٥ .

(٤) الشعر والشعراء ٧٥٣ ، العقد الفريد ١/١٦٩ ، عيون الأخبار ١/١٨٣ وفيه : من كان ينوى أهله ... الخ .

قال السموءل بن عادياء اليهودى :

يقرِّبُ حبُّ الموتِ آجالَنا لنا وتكْرَهُهُ آجالُهُم فتطُولُ(١)

كان معاوية رضى الله عنه يتمثل بهذين البيتين :

كأنَّ الجبانَ يَرَى أنه سيُقتلُ قبل انقضاءِ الأَجَلْ

وقد تُدْرِكُ الحادثاتُ الجبانَ ويسلم منها الشُّجَاعُ البَطَلْ(٢)

أشـــعار الجبناء

قال أيمن بن خُرَيم :

إنَّ للفتنةِ ميلاً بَيِّنًا فرُوَيْدَ الميلَ مِنْها يَعْتَدِلْ

فإذا كان عطاءٌ فأَقِمْ(٣) وإذا كان قتال فاعتزِلْ

إنَّما يُسْـــعِرها جهالُهَا حطبَ النَّارِ فدعْها تشتَعِلْ(٤)

وقال آخر :

أضحت تشجِّعُنِي هندٌ وقد علمتْ أنّ الشَّجاعة مقرونٌ بها العَطَبُ(٥)

للحرب قوم أضلَ الله سعيَهُمُ إذا دعتْهُمْ إلى نيرانِهـــــا وَثَبُوا

(١) حماسة أبى تمام ١/٣٨ ، البيان ٢/٢٨١ .
(٢) عيون الأخبار ١/١٦٥ .
(٣) ب : فأتهم .
(٤) الأبيات فى العقد الفريد ١/١٦٧ ، نهاية الأرب ٣/٧١ ، عيون الأخبار ١/١٦٣ ، وفيها كلها : ميطا بدل ميل وهما بمعنى ، وفى العقد فانتهز بدل أقم ، وفى عيون الأخبار فأتهم ، وهى موافقة للنسخة ب.
(٥) ساقط من ا . وفى العيون فقلت لها إن الشجاعة ، وفيها : إلى حوبائها بدل نيرانها .

وَلستُ منهمْ ولا أُبغى فعالَهمُ   لا القتلَ يعجبُنى منهم ولا السَّلَبُ(١)

لا وَالذى جعل الفِرْدَوْسَ جنَّته(٢)   ما يشتهى الموتَ عندى من له أربُ(٣)

وقال أبو الغمر المدنى كاتب الحسن بن زيد :

قَدْ هانَ عِنْدِى لِسانُ العَارِ والعذلِ   فلسْتُ آنفُ من جُبْنٍ ولا فشلِ

إنِّى بخلتُ بنفسٍ لا يُجادُ بهـــا   وَلستُ بالمالِ أفْديها من البخلِ

هيهاتَ تأبَى لِىَ التَغْرِيرَ فلسفةٌ   ترَى حُضُورَ الوَغَى من أكثر الزَّلَلِ

متى رأيتَ شجاعاً مات بالأجَلِ   ونال من لَذَّةِ الدُّنْيَا مَدى الأَمَلِ

كأنَّ آجالَ شُجْعان الوَرَى خُلِقَتْ(٤)   فى أنفس البيضِ والخَطّيةِ الذُّبُلِ(٥)

وقال أيضاً :

إنى أضنّ بنفسٍ لا يُجـــاد بها   وَالجودُ بالنّفس أقْصَى غاية السَّرَفِ

ما أبعدَ القتلَ من نفسِ الجبان وما   أحلَّه بالفَتَى الحامِى عن الشَّرَفِ(٦)

وقال أيمن بن خُرَيم :

يقول لِىَ الأميرُ وقد رآنى   تقدَّمْ حين جدَّ بنا المِرَاسُ

---

(١) ب : لا الجند يعجبنى منها ولا اللعب .

(٢) فى العقد : لا والذى منع الأبصار رؤيته ، وفى العيون : لا والذى حجبت الأنصار كعبته .

(٣) الأبيات لأبى الغمر محمد بن أبى حمزة الطهوى ، انظرها فى عيون الأخبار ١/١٦٤ ، العقد الفريد ١/١٦٦ ، مجموعة المعانى ٤٤ ، محاضرات الأدباء ٢/٦٢ ، ٧٩ .

(٤) ب : جعلت .

(٥) المحاسن والمساوىء ٢/٢٤٥ .

(٦) معجم الشعراء ٢٦٩ ، وفيه : إنى بخلت .. الخ .

فمالى إن أطَعْتُك غير نفسِى ومالى غير هذا الراسِ رُاس [١]

وقال الهذلى يصف جبانًا :

تَحُولُ قُشَعْرِيرَاتُه [٢] دُونَ لَوْنِه فرائصُه من خيفةِ المَوْتِ تُرْعَدُ [٣]

وقال آخر :

وَكتيبةٍ لَبَّسْتُهَا بكتيبةٍ حتَّى إذا التَبَسَتْ نَفَضْتُ لهَا يَدِى
فتركتُهُمْ تَقِصُ الرِّماحُ ظهورَهُمْ من بين مُنْجَدِلٍ وآخَرَ مُسْنَدِ
ما كان ينفَعُنِى مَقَالُ نِسَائِهِمْ ـ وقُتِلْتُ دونَ رجالهم ـ لَاتَبْعَدِ [٤]

وروينا أن مروان بن الحكم ، دعا أيمن بن خُرَيم إلى القتال بمرج راهط ، فقال له : إن أبى وَعمى شهداء بدر ، وَعهدا إلىَّ ألا أقاتل مسلما ، ثم أنشأ يقول :

وَلستُ بقاتلٍ رَجُلاً يُصَلِّى على سُلْطَانِ آخَرَ مِنْ قُرَيْشِ
له سُلْطَانُهُ وعَلَىَّ إثْمِى معاذَ اللهِ من سَفَهٍ وَطَيْشِ
أأقتلُ مسلماً فى غير جُرْمٍ فلستُ بنافِعِي ما عشتُ عَيْشِى [٥]

---

(١) فى الكامل أنهما لحبيب بن المهلب بن أبى صفرة ، وقيل إنهما للأعور الشنى ، وقد وردا فى حماسة أبى تمام ٢/٣٦٥ بغير نسبة ، وفيها : بغير جرم مكان وقد رآنى ، ومن حياة مكان غير نفسى ، وفى محاضرات الأدباء ٧٩/٢ : بغير نصح . وفى مجموعة المعانى ٤٣ : بغير علم .

(٢) ب : تشعر برأته .

(٣) البيت لساعدة بن جؤية الهذلى ، ديوان الهذليين ٢/٢١٨ .

(٤) يروى : من بين منعفر الجبين ومسند ، ومن بين مقتول ، ويروى : هل كان بدل ما كان ، وهل ينفعنى أن نقول نساؤهم ... الخ . ومعنى نفضت لها يدى أى أعرضت عنها ، وتقص : تكسر ، ومنجدل : مقتول . والأبيات للفرار السلمى (حيان بن الحكم) كما فى حماسة أبى تمام ٦٥/١ ، عيون الأخبار ١/١٠٤ ، وانظرها أيضاً فى حماسة البحترى ٥٠ ، العقد الفريد ١/١٦٤ ، محاضرات الأدباء ٧٩/٢ .

(٥) الشعر والشعراء ٥٢٧ .

وقد روى أن هذه القصة جرت لأيمن بن خُرَيم مع عبد الملك بن مروان .

وَلأبى الغمر كاتب الحَسن بن زيد أمير المدينة :

لستُ غَدَاةَ الكرِّ بالكرَّارِ ولا عَلَى الطِّعَانِ بالصبَّارِ
هانت عَلَيَّ سَبَلَاتُ العَارِ وما أبالى قبلوا اعْتِذَارِى
أو وَسَمُونى سِمَةَ الغَدَّارِ(١) أنا طليق الرَّكْضِ والفِرَارِ
فديتُ نَفْسِى منه بالإضْمارِ فلَوْ تَرَانى أو تَرَى إِحْضَارِى(٢)
لا أعرفُ اللَّيْلَ من النَّهَارِ خِلْتَنِى عَجْلَانَ ذا انشِمارِ(٣)
طِرْفاً(٤) نجا من وَخزَةِ البيطَارِ أُحْكِمَ منه الصُّنْعُ فى المِضْمَارِ
أو عَدْوَ عَيْرٍ غَيْرَ ما عِثَارِ أو كَنَجاءِ النِّقْنِقِ الطَّيَّارِ(٥)

قيل لأسلم بن زُرعة : إن انهزمت من أصحاب مرداس غضب عليك الأمير عبيد الله بن زياد فقال : لأن يغضب عَلَيَّ وأنا حيّ ، أحب إلَيَّ من أن يرضى عنى وأنا ميت .

وأسلمُ بن زُرْعة هذا هو القائل(٦) ، وَقد عبأ جيشاً عظيما ليفزع به الخوارج ،

---

(١) ب : الفرار . (٢) ب : إحصار .
(٣) ب : إنسار . (٤) ب : طربا .
(٥) شرح الكلمات : السبلات : جمع سبل بالتحريك ، وهو السب والشتم ، والإضمار : إعطاء الفرس القوت بعد السمن لتهزل وتستطيع دخول السباق . والإحضار : ارتفاع الفرس فى العدو ، وانشمر : مر جاداً فى عمله ، والطرف : الفرس الكريم ، والبيطار : معالج الدواب ، والمضمار : موضع إضمار الخيل ، والنقنق : الظليم ، أو النافر أو الخفيف .
(٦) ب : يقول .

فلما رآهم لم يفزعوا ، وَجعلوا يقبلون إليه ، قال لهم : عزمتم [١] خارَ الله لنا وَلكم ، ثم ضرب وجوه أصحابه وانصرف عنهم ، ولما هزمه مِرْدَاس قال شاعرهم — وكانوا أربعين — وَأسلم بن زُرْعة فى ألفين :

أَأَلْفَا مُؤْمِنٍ منكمْ زَعَمْتُمْ ... وَيَهْزِمُهُمْ رجالٌ أَرْبَعُونَا
كَذَبْتُمْ لَيْسَ ذلكمُ كَذَاكُمْ ... وَلكنَّ الخوَارِجَ مُؤْمِنُونَا
هُمُ الفِئَةُ القليلةُ قد عَلِمْتُمْ ... على الفِئَةِ الكثيرةِ يُنْصَرُونَا [٢]

وَجه أبو جعفر المنصور ، رَوْحَ بن حاتم إلى قتال بعض الخوارج ، فلقيه أبو دلامة ، فقال له روح : يا أبا دلامة ! لو خرجت معنا فى هذا الوجه ، فقاتلت فأبليت ، فذكرت بالشجاعة كما ذكرت بالشعر ، فضحك ، وَقال : اسمع أبا خالد ، قال : هات ، فأنشأ يقول :

إنّى أعوذُ برَوْحٍ أن يُقَرِّبَنِي ... إلى القِتَالِ فيَشْقَى بي [٣] بنُو أَسَدِ
إن الدُّنُوَّ من الأعْدَاءِ تَعلَمُهُ ... مما يفرِّقُ بين الروحِ وَالجسَدِ [٤]

قال : فضحك وَأمر له بجائزة .

وَقال أبو الغَمْر :

ظلَّتْ تُشَجِّعُنِي ضَلًّا بتضْلِيلِ [٥] ... وَللشَّجاعَةِ خَطْبٌ غيرُ مَجْهُولِ

---

(١) ساقطة من ا .

(٢) الأبيات لعيسى بن فاتك الخطمي ، أحد بنى تيم الله بن ثعلبة ، كما فى الكامل ٢/١٨٥ ، وفى العقد الفريد ١/١٧٣ ورد البيت الأول : أألفا مؤمن لستم كذاكم ولكن الخوارج ... الخ ، وفيه : غير شك بدل قد علمتم . وانظر عيون الأخبار ١/١٦٣ وفيها : بآسك أربعونا .

(٣) ب : فيسفو إلى .

(٤) البيتان فى نهاية الأرب ٤٢/٤ ، وفيه : فتخزى بى بنو أسد ، وانظر معجم الأدباء ١١/١٦٧ .

(٥) ب : ظلا بتظليل تحريف ، وضلا بتضليل دعاء عليها بالضلال .

هل غير أنْ عَذَلُونِي أَنَّنِي فَشِلٌ ... فَكُلُّ هَذَا نعمْ فاغْرُوا بِتَعْذِيلِي
الحربُ تُعْقِبُ من يَصْلَى بِهاحَزَنًا[1] ... يُتْمَ البنِينَ وَإرمالَ[2] المثاكيلِ
وَاللهِ لو أَنّ جبرِيلاً تكفَّلَ لِي ... بالنَّصرِ خفتُ على عِلمِي بِجِبْرِيلِ
اللهُ خلَّصَنِي منهم وَفلسفَتِي ... حتَّى تخلصتُ مخضُوبَ السَّرَاوِيلِ[3]

وَله أيضاً :

لستُ بداءِ الحربِ بوقّافِ ... وَلا على القِرْنِ بِعَطَّافِ
قد أمَّنَ اللهُ عَدُوِّى فما ... يخافُ أَرْمَاحِي وَأَسْيَافِي
إذا رأيتُ الحَرْبَ من فَرْسَخٍ ... خَذْرَفَتْ رِجلى أىّ خِذْرَافِ[4]

---

(١) ب : جربا .
(٢) ا : آمال .
(٣) المحاسن والمساوىء ٢/١٤٤ ، ١٤٥ .
(٤) الخذروف : السريع الجرى ، وانظر الأبيات فى المحاسن والمساوىء ٢/١١٥ ،

باب الاعتـــذار

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَن اعْتَذر إليه أخُوه المسلمُ فليَقْبَلْ عذره، مالم يعلمْ كذبه » .

قال عمرُ بنُ الخطّاب : لا تَلُمْ أخاكَ على ما يكون العُذْرُ فى مثله .

قال الأحنفُ : إيّاكَ وما يُعتَذَر منه ، فإنّه قَلّما اعتذر أحدٌ فسلِمَ من الـكذب .

قال الحسن بن علىّ رضى الله عنهما : لو أنّ رجلا شتمنى فى أذنى هذه ، واعتذر إلى فى أذنى هذه لقبلت عذره .

ومن النظم فى معناه :

قِيلَ لى قَدْ أسَا إليك فُلَانٌ   وقُعُودُ الفَتَى عَلَى الضَّيْمِ عَارُ
قلتُ : قد جَاءنَا فأحْدَثَ عُذْرًا   دِيَةُ الذَّنْبِ عِنْدَنَا الاعْتِذَارُ

وقال الأحنف : إذا اعْتَذَرَ إليك معتذر ، فلتَلْقَه بالبِشر .

اعتذر إلى قتيبةَ بنِ مُسْلِم رجل فقبل منه ، ثم قال : لا يَدْعُوَنَّكَ أمرٌ قد تخلصت منه إلى الدخول فيما لعلّك لا تتخلص منه .

قال صالح بن أبى النجم :

ولَرُبَّمَا جَاءَ الفَتَى بِدنيَّةٍ   وَوَرَاءهَا عُذْرٌ لَهُ لمْ يُفْهَمِ

وكان يقال : اعتذار بمنع خير من وعد ممطول .

وقال صالح بن عبد القدوس :

يَلومُنِي النَّاسُ فِيماَ لَوْ أُخبِّرُهُمْ بِالعُذْرِ مِنِّىَ فِيهِ لَمْ يَلُومُونى

قال البحترى :

اقبَلْ مَعاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِرًا إِنْ بَرَّ عِنْدَكَ فِيما قَالَ أَوْ فَجَرَا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره وقد أجلك من يعصيك مستترا[١]

وله أيضاً :

إذا مَحاسِنِىَ اللَّاتى أُدِلُّ بِهـــــا عُدَّتْ ذُنوبِى فقُلْ لِى كَيْفَ أَعْتَذِرُ ؟[٢]

وقال محمودُ بن داود القِياسِى :

الْعُذْرُ يَلْحَقُهُ التَّحْوِيفُ[٣] والـكَذِبُ ولَيْسَ فى غَيْرِ ما يُرْضِيكَ لِي أَرَبُ
فإِنْ أَسأْتُ فَبِالنُّعْمَى الَّتِي سَلَفَتْ لَمَّا مُنِيتُ بِعَفْوٍ مَالَهُ سَبَبُ

وقال أبو على البصير :

لَمْ أَجْنِ ذَنْبًا فإِنْ زَعَمْتَ بِأَنْ جَنَيْتُ ذَنْبًا فغَيْرُ مُعْتَمِدِ
قَدْ تَطْرِفُ الْـكَفُّ عَيْنَ صاحِبِهَا فلا يَرَى قَطْعَهَا مِنَ الرَّشَدِ[٤]

---

(١) البيتان فى ديوانه ١/٥٨ .
(٢) ديوانه ١/٦٣ .
(٣) ب : التحريف .
(٤) نهاية الأرب ٢/١١٥ .

وقال عليُّ بن الجَهْم :

إنَّ ذُلَّ السُّؤالِ والإعْتِذَارِ   خطَّةٌ صَعْبَةٌ عَلَى الأَحْرَارِ
لَيْسَ جَهْلاً بِهاَ تَوَرَّطَهَا الحُـــرُّ ولـكِنْ سَوَابِقُ الأَقْدَارِ
ارضَ للسَّائِلِ الخُضُوعَ وللْقَا   رِفِ ذنباً مذَلَّةَ الإعْتِذَارِ [1]

وقال آخر :

وما كنتُ أخْشى أن تُرَى لى زَلَّةٌ   ولـكِنْ قضاءُ اللهِ مَا عَنْهُ
إذا اعتذرَ الجانى مَحَا العُذْرُ ذَنْبَهُ   وكلُّ امْرِىءٍ لاَ يَقْبَلُ العُذْرَ مُذْ

كان يقال : مَنْ وُفِّقَ لحسن الاعتذار خَرَجَ من الذنب .

اعتذر رجلٌ إلى أبى عبيد اللهِ الوَزير الـكاتب [2] ، فأساء الاعتذار
أبو عبيد الله : ما رأيت اعتذارًا أشبه باستئناف ذنبٍ من هذا .

وللشَّافعى رضى الله عنه ، وقد قيل : إنما تمثَّل بها :

يَالَهْفَ نَفْسِى عَلَى مالٍ أُفَرِّقه   عَلَى المُقِلِّين من أَهْلِ الْمُ
إن اعتذارِى إلى مَنْ جاء يَسْأَلُنِى   ما ليسَ عِنْدِىَ من إحدى الْمُ

---

(١) ديوانه ١٤٩ ، العقد الفريد ١/٢٨٧ ، وفيه : إن بين السؤال ... الخ .
(٢) فصل المقال ٦٩ ، العقد الفريد ٢/١٤٣ .
(٣) هو معاوية بن عبيد الله بن يسار ، وزير المهدى ، كان أوحد الناس فى عصره حذقا وخبرة مات سنة ١٧٠هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٣/١٩٧ ، الوزراء والكتاب ١٤١ وما بعدها .

ومما يُنْشد للفراء مِنْ قوله :

أردتُ لكيْما لا تُرى لى عَثْرَةٌ ومَنْ ذَا الذى يُعطَى الكَمالَ فيَكْمُلُ[١]

وقال محمود الوراق :

أرانى إذا ما زِدْتُ مالاً ورفعةً وخيرًا إلى خيرٍ تزيَّدْتُ فى الشَّرِّ

فكيف بشكر اللهِ إذ كنتُ إنما أقومُ مقامَ الشكر لله بالكفر

بأى اعتذارٍ أم بأية حجةٍ يقولُ الذى يدرى من الأمر : ما أدرى؟

إذا كان وجهُ العُذْرِ ليس بواضحٍ فإنَّ اطِّراحَ العُذْرِ خيرٌ من العُذْرِ[٢]

قال أبو بكر الصولى ، أخبرنى أبو بكر بن عبدالله ، قال : سألنى أبو سليمان الشّاشيّ حاجة فاعتذرت بشغل فى تأخيرها ، فكتب إلىّ :

سَكَنَتْ نَفْسِيَ لَمّا الْ تَفَ حَبْلِي بِحَبالِكْ

إنما أطلبُ منْ جاَ هِكَ نفعاً لا بِمالِكْ

لا تصيِّر شُغْلَكَ اليوْ مَ اعتِذارًا لِطلابِكْ[٣]

لو تفرّغتَ من الشُّغْـ لِ استَوَيْنا فى المَسالِكْ[٤]

وهذا عندى مأخوذ من قول أبى العتاهية :

ليسَ ذَا الشُّغْلُ عاذِرٌ لك عندى إنَّما تُرْتَجَى إذا كان شُغْلُ[٥]

---

(١) ينسب البيت أيضاً لثروان العكلى ، انظر أمالى القالى٢/٤٣ .

(٢) الكامل ١/٣٣٨ ، زهر الآداب ١/٩٠ ، محاضرات الأدباء ١/١١٦ ، نهاية الأرب ٣/٨٥ .

(٣) ب . لا تصير ... لمطالك .

(٤) محاضرات الأدباء ١/٢٦٦ .

(٥) ديوانه ٢١٦ .

وقال آخر :

ولا تعتذرْ بالشُّغْلِ عنَّا فإنّما ... تُناطُ بك الآمالُ ما اتَّصلَ الشُّغْلُ

ولا ترتفع عنَّا بشيءٍ وُليتَه ... كما لم يُصغِّرْ عندنا شأنَك العَزْلُ[١]

وقال آخر :

وقد علمتُ لوَ انَّ العِلْمَ يَنْفَعُني ... أنّ انطلاقِي إلى الحجَّاجِ تغْرِيرُ

لئن رحلتُ إلى الحجَّاجِ مُعْتَذِرًا ... إنّي لأحمقُ من تجْرِى به العِيرُ[٢]

وقال آخر :

لا تَرْجُ توبةَ مذنبٍ ... خَلَطَ احْتجاجًا[٣] باعتذار

وقال ابن الدُّمينة :

بنفسِي ومالِي من إذا عَرَضُوا له ... ببعضِ الأَذى لم يَدْرِ كيف يُجيبُ

ولم يعتذرْ عُذْرَ البريءِ ولم يزل ... به سكتةٌ حتّى يُقال مُرِيبُ[٤]

وقال آخر :

فلا تَعْذِرَانِى[٥] فى الإسَاءةِ إنّه ... شِرَارُ الرِّجالِ من يُسِيءُ ويُعْذَرُ[٦]

---

(١) نسب البيتان فى معجم الشعراء ٣١٤ إلى أبى على البصير ، وانظرهما فى زهر الآداب ٢٠٦/١ ، عيون الأخبار ٨٧/١ ، نهاية الأرب ٨٩/٣ .

(٢) البيتان للأقيبل القينى ، كما فى المؤتلف والمختلف ٢٤ .

(٣) ب : الندامة ، والبيت لكلثوم بن عمرو العتابى كما فى الكامل ٣٢٨/٢ ، وانظره فى المحاضرات ١١٢/١ ، عيون الأخبار ١٠١/٣ .

(٤) ديوانه ١٢ ، البيان ٢١٥/١ ، حماسة أبى تمام ١١٢/٢ ، الشعر والشعراء ٧١٠ ، لباب الآداب ٣٧٢ ، وفيات الأعيان ٤١٢/٥ .

(٥) ب : تعذلانى .

(٦) البيان ٢٠٥/١ ، عيون الأخبار ١٠١/٣ .

وقال آخر :

وما حَسَنٌ أن يَعْذِرَ المرءُ نفْسَهُ ... وليس له من سَائِرِ النَّاس عَاذِرُ(١)

وقال آخر :

هى المقاديرُ فلُمنى أو فَذَرْ ... إن كنتُ أخطاتُ فما أخطأ القَدَرْ(٢)

وقال آخر :

وعاجزُ الرأى مضياعٌ لفُرصته ... حتى إذا فات أَمْرٌ عَاتَبَ القَدَرَا(٣)

وقال آخر :

إذا عُيِّرُوا قالوا مقاديرُ قد جَرَتْ ... وما العارُ إلاّ ما تَجُرُّ المَقَادِرُ(٤)

قال بعض الحكماء : إياك وما يَسْبق للقلوب إنكارُه ، وإن كان عندك اعتذارُه .

قال محمود الوراق :

أَرَانِى مَعَ الأَحْيَاء حَيًّا وأَكْثَرِى ... على الدَّهْرِ مَيْتٌ قد تَخَوَّنَهُ(٥) الدَّهْرُ

فما لم يَمُتْ(٦) منّى لما مات مَيِّتٌ ... وبعضٌ لبعضٍ قبلَ قَبْرِ البِلَى قَبْرُ

فيا رَبِّ قد أَحْسَنْتَ بدءًا وعَوْدَةً ... إلىّ فلم ينهضْ بإحسانِكَ الشُّكْرُ

فمن كان ذا عذرٍ لَدَيْكَ وحُجةٍ ... فعُذْرِىَ إقْرَارِى بأن لَيْسَ لِى عُذْرُ

(١) حماسة أبى تمام ٢/١٥ ، لباب الآداب ٣٧٢ ، مجموعة المعانى ١٣ ، ٢٦ .

(٢) البيت من مزدوجة أبى العتاهية ، انظر ديوانه ٣٤٦ ، التمثيل والمحاضرة ٣٢٩ ، معجم الأدباء ٧/١٢٧ ، عيون الأخبار ٢/١٤١ .

(٣) العقد ١/ ٧٥ ، البيان والتبيين ٢/٣٩١ ، معجم الشعراء ٤٩٨ .

(٤) الأمالى ١/٣١ ، عيون الأخبار ٢/١٤١ .

(٥) ا : تخوفه .

(٦) ا : يهب .

وفى الأشعار فى الاعتذار من الفرار

قال الأصمعى : أحسنُ ماقيل فى الاعتذار من الفرار ، قول الحارث بن هشام المخزومى :

اللهُ يَعْلَمُ ما تركتُ قِتَالَهم … حتَّى عَلَوْا مُهْرِى بِأَشْقَرَ مُزْبِدِ
وعلمتُ أنّى إنْ أُقاتِلْ وَاحِدًا … أُقْتَلْ ولا يُحْزِنْ عَدُوِّى مَشْهَدِى
فصددْتُ عنهم والأَحِبَّةُ فِيهِمُ … طَمَعًا لهم بعقابِ يَوْمٍ مُفْسِدِ[1]

وقال خلفُ الأحمر : أحسن ما قيل فى الاعتذار فى الفرار ، قول هبيرة بن أبى وهب المخزومى :

لعَمْرُكَ ما وليتُ ظَهْرِى مُحَمَّدًا … وأصحابَهُ جبنًا ولا خيفة القَتْل
ولكنَّنِى قلَّبْتُ أمرى فلم أجِدْ … لسيفى غناء إن ضربتُ ولا نَبْلِى
وقفتُ فلما خفتُ ضَيْعَةَ موقِفِى … رجعتُ لعَوْدٍ كالهِزَبْرِ أبى الشِّبْلِ[2]

فر ابن مطيع[3] يوم الحَرّة ، وسار إلى ابن الزبير ، فلما قوتل ابن الزبير ، جعل يجتهد معه فى القتال ، ويقول :

---

(١) يروى : علوا فرسى ، ولا يضرر عدوى ، ويوم مرصد أبى معلوم . وانظر الأبيات فى حماسة أبى تمام ١/٦٤ ، عيون الأخبار ١/١٦٩ ، حماسة البحترى ٥٠ .

(٢) يروى: خشية بدل خيفة ، وغناء لسيفى ، ويروى البيت الثالث :

وقفت فلما لم أجد لى مقدما … صددت كضرغام هزبر أبى الشبل

انظر حماسة البحترى ٥٠ ، محاضرات الأدباء ٢/٧٨ .

(٣) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود الكعبي القرشى ، كان على قريش يوم الحرة (حرة واقم ، انظر فى خبرها : معجم البلدان المجلد الثانى ٢٤٩) فلما انهزم أصحابه فر واختبأ ، ثم انضم إلى عبد الله بن الزبير ، ولم يزل معه حتى قتلا سنة ٧٣هـ ، انظر الإصابة ترجمة ٦١٨٧ ، تهذيب التهذيب ٦/٣٦ . وتروى الشطرة الأخيرة فيما يلي: لابأس بالكرة بعد الفرة ، وانظر البيتين في العقد١/١٧٥ ، وحماسة البحتري ٥٣ ، عدا الشطرة الأخيرة .

أنا الّذِى فررتُ يَوْمَ الحَرَّه　　والحُرُّ لا يفرُّ إلا مَرَّهْ
فاليومُ أجزِى فرّة بكَرّه　　يا حبّذا الكرّةُ بعد الفرّهْ

وقال أوس بن حجر :

أتَوْنَا فردُّوا حَافَتَيْنَا بزَاعِقٍ(1)　　من الضَّرْبِ ضَرْمَ النَّارِ فى الحَطَبِ اليَبْسِ
وما بفرارِ اليَوْم عارٌ على الفَتى　　إذا عُرِفَتْ منه الشَّجاعةُ بالأَمْسِ(2)

قال الأحنفُ بنُ قيس : أسرعُ النَّاس إلى الفتنة ، أقلُّهم حياءً من الفرار .

وقال آخر(3) :

العبدُ يذنِبُ والمَوْلَى يُقَوِّمُه　　والعبدُ يَجْهَلُ والمَوْلَى يُعَلِّمُهُ(4)
إنّى ندمتُ على ما كان من زلَلٍ　　وزلّةُ المرء يَمْحُوهَا تَنَدُّمُهُ

---

(1) ب : براعن . والزاعق : الشديد الذى لا يحتمل .
(2) نسب البيتان فى شرح الحماسة للتبريزى ٢/٢ ٢ وفصل المقال ٢٥١ لأوس ، ونسبا فى العقد ١٧٢/١ لعمرو بن معدى كرب ، ونسبهما فى محاضرات الراغب ٧٨/٢ إلى عبد الله بن غلفاء .
(3) ساقط من ب .
(4) ب : والمولى تعلمه .

بابُ المَوَاعِيد

أثنى اللهُ عز وجل على إسماعيل عليه السَّلام ، فقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ ﴾[1] ، قال كعبٌ : كان لا يعدُ أحداً إلا أنجزه ، وقال : انتظرَ رجلا وَعَده سنة كاملة .

وروى أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم انتظر رجلاً وعده في موضع من طلوع الشمس إلى غروبها .

وروى عنه عليه السلام : أنه انتظره ثلاثاً ، وَالمُنْتَظَر عبد الله بن أبى الحَمْساء[2] .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من وَعده الله على عمل ثواباً فهو منجز له ما وَعده ، ومن أوعده على عمل عقاباً فإن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له » ، وعن ابن عباس مثله[3] .

وَقال المثنى بن حارثة الشّيبانى : لأنْ أموتَ عطشاً أحبّ إلى من أن أخلف موعداً .

قال بعضُ الحكماء : وعدُ الكريم نَقْد ، ووعدُ اللئيم تَسْويف .

---

(١) سورة مريم الآية ٥٤ .

(٢) عبد الله بن أبى الحمساء العامرى ، له صحبة ، سكن البصرة ، وقيل مصر . انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٩٣/٥ .

(٣) ساقط من ب .

كان يحيي بن خالد يقول : المواعيدُ شِبَاكُ الكرام يصيدون بها محامد الإخوان ، ألا تراهم يقولون : فلانٌ ينجز الوعد ، ويفي بالضمان ، ويَصْدُق في المقال ، ولولا ما تقدم من حُسن موقع الوعد ، لبطل حُسْن هذا المدح .

وكان يحيي بن خالد ، يقول : إنّ الحاجةَ إذا لم يتقدمْها وعدٌ تنتظر نُجْحه ، لم تتجاوَب الأنفس سُرُورها ، فدَع الحاجةَ تختمرُ بالوعد ، ليكون لها عند المُصْطَنَع حسنُ موقعٍ ولطفُ مَحَل .

ومن كلام يحيي بن خالد بن برمك أيضاً : (لا) الكريم أنجح من (نعم) اللئيم ، لأنّ (لا) الكريم ، ربما كانت في وقت غضب ، وإبّان سآمة ، (ونعم) اللئيم تصدر عن تصنع وفساد نيَّة وَقبح مآل .

أنشد أبو عمرو بن العلاء :

ولا يرهبُ ابنُ العمِّ ما عشتُ صَوْلَتِي ... وَيَأْمَنُ مِنِّي صَوْلَةَ المُتَهَدِّدِ
وإنّي وإنْ أوْعَدْتُهُ أو وَعَدْتُه ... لمخلِفُ إيعادِي ومنجزُ مَوْعِدِي[1]

وقال آخر :

لسانُكَ أحْلَى من جَنَى النَّحْلِ وَعْدُهُ ... وكفَّاكَ بالمَعْرُوفِ أضْيَقُ من نَعْلِ
تُمَنِّي الّذي يأتيك حتَّى إذا انتهى ... إلى أملٍ ناوَلْتهُ طَرَفَ الحَبْلِ[2]

---

(١) محاضرات الأدباء ٢٧١/١ ، عيون الأخبار ٤٤/١ ، من غير نسبة ، ووردت منسوبة لعامر بن الطفيل في العقد ٢٨٤/١ .

(٢) البيتان لصالح اللخمي ، انظر المستطرف ٢٣٤/١ ، عيون الأخبار ١٤٨/٣ . وفيهما : أضيق من قفل .

وقال زياد الأعجم :

لله دَرُّكَ من فتىً ... لو كنتَ تفعلُ ما تقولْ
لا خيرَ في كَذِبِ الجوا ... دِ وحبّذا صِدْقُ البخيلْ(١)

وقال آخر :

وإن جُمِعَ الآفاتُ فالبُخلُ شَرُّها ... وشرٌّ من البخل المواعيدُ والمَطْلُ(٢)

قال ابن عيينة : وعد رجلٌ ابنَ شُبْرمة عدة فمطله بها ، فكتب إليه ابن شبرمة :

الخيرُ أنفعُه للنَّاس أعْجَلُهُ ... وليسَ يَنْفَعُ خيرٌ فيه تطويلُ

ومثل هذا قول سابق :

وتأخيرُ ما يُرْجَى بلاءٌ مُبَرِّحٌ ... وأفضلُ ما يُرْجَى من الخيرِ عاجِلُهْ

وقال كعبُ بن زهير :

كانتْ مواعيدُ عُرْقوبٍ لها مثلًا ... وما مَوَاعيدُهَا إلّا الأباطيلُ(٣)

وقال الأشجعيّ :

وعَدْتَ وكان الخُلْفُ منك سَجِيَّةً ... مواعيدَ عُرْقُوبٍ أخَاهُ بِيَتْرَبِ(٤)

قال ابن مُنبّه : هكذا قرأته على البصريين بيترب(٥) بالتاء ، وفتح الراء .

---

(١) عيون الأخبار ١٤٦/٣ ، الشعر والشعراء ٣٩٩ ، العقد ٢٨٧/١ .
(٢) البيت لصالح بن جناح العبسي ؛ انظر مجموعة المعاني ٣١ .
(٣) ديوانه ٨ ، فصل المقال ١٠٣ ، حماسة البحتري ٨٣ ، الشعر والشعراء ١٤٧ ، عيون الأخبار ١٤٧/٣ ، نهاية الأرب ١٢٢/٢ .
(٤) عيون الأخبار ١٤٧/٣ ، فصل المقال ١٠٢ .
(٥) ساقطة من ب .

قال ابن الكلبي ، عن أبيه : كان عُرقوبٌ رجلا من العماليق ، فأتاه أخ له يسأله شيئًا ، فقال له عرقوب : إذا طَلَع نخلى[١] ، فلما طلع أتاه فقال له : إذا بَلَح ، فلما بلح أتاه ، فقال : إذا زَهَى[٢] ، فلما زهى أتاه ، فقال : إذا أرطب ، فلما أرطب أتاه ، فقال: إذا تَمِر ، فلمّا تمر جَذّه ليلا ، ولم يُعطه شيئًا ، فضربتْ به العربُ المَثَل فى خلف الوعد .

وقال غيره : عُرقوب جبل مكلَّل بالسحاب أبداً ، ولا يمطر شيئًا .

قال الحكماء : من خاف الكذب ، أقلّ المواعيد .

وقالوا : أمران لا يسلمان من الكذب ، كثرةُ المواعيد ، وشدةُ الاعتذار .

قال الأصمعى : سمعتُ أعرابيا يقول : أنا والله منه فى مواعيد تُهيض العظم[٣] ، وخُلْفٍ يذكر العدم ، ولكنه إذا وعد الحريص علق نفسه لديه وأتعب رجليه ، وأنشد :

أمّلتُ منك نوالاً لستُ أُدْرِكُهُ ... متى[٤] أقولُ الّذى أمَّلْتُ يأتينى
أفى حياتِى فأرْجُوَهُ ويَنْفَعَنِى ... أم فى مماتى فإنّ المَوْتَ يُغْنِينى[٥]

وقال الشاعر :

فلا تَعِدْ عِدَةً إلّا وفيتَ بِهاَ ... ولا تكنْ مُخْلِفًا يومًا لما تَعِدُ

---

(١) طالع النخل : أول ما يبدو من ثمرته .
(٢) زهى : تلون بسره .
(٣) ا : تهبط العصم .
(٤) ا : من أين .
(٥) محاضرات الأدباء ١/٢٦٨ .

وأظن هذا من قول المثقب العبدي :

لا تقولنّ إذا ما لم تُرِدْ أن يتمّ الوَعْدُ في شيء نَعَمْ
وإذا قلتَ نَعم فاصبرْ لها بنجاحِ الوَعْدِ إنّ الخُلْفَ ذَمْ[1]

وروى لعمار الكلبي، وأظن من شعره هذا :

قم لوجه اللهِ بالحقّ وكُنْ صَادِقَ الوَعْدِ فَمَنْ يُخْلِفْ يُلَمْ

وقال آخر :

إذا قلتَ في شيء نعم فأتِمّهُ فإنّ نَعَمْ دَيْنٌ على الحُرِّ وَاجِبُ
وإلّا فقُلْ لَا واسْتَرِحْ وَأَرِحْ بها لئلّا يقول النّاسُ إنّكَ كاذبُ[2]

وقال آخر :

إنَّ الكريمَ إذا حَبَاكَ بِمَوْعِدٍ أعطاكَهُ سَلِساً[3] بغير مِطَالِ[4]

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

ليتَ هندًا أنجزَتْنَا ما تَعِدْ وشَفَتْ أَنْفُسَنَا مما تَجِدْ
واستبدَّت مَرَّةً وَاحِدَةً إنّمَا العاجزُ من لّا يَسْتَبِدْ[5]

---

(١) ورد البيتان للمثقب العبدي أيضاً في حماسة البحتري ٢٢٢ ، وأوردهما في العقد الفريد ١/٢٨٤ لابن أبي حازم ، وانظرهما والبيت التالي الذي نسبه المصنف لعمار الكلبي في محاضرات الأدباء ١/٢٦٩ .

(٢) محاضرات الأدباء ١/٢٦٩ .

(٣) ا : أعطاك سلسلة .

(٤) البيت لأبي العتاهية ، ديوانه ٢٠١ ، وفيه : إن الشريف ... الخ .

(٥) سبق البيتان في ص ٤٥٧

وقال آخر :

تمنيتُ ما أرجُوهُ من حُسْنِ وَعْدِكُمْ ... فكنتُ كَمَنْ يَرْجُو مَنَالَ الفَرَاقِدِ

هَبُونِيَ لم أستأهِلِ العُرْفَ مِنْكُمُ ... أَما كُنْتُمُ أَهْلًا لصِدْقِ المَوَاعِدِ

وقال عباس بن الأحنف :

ما ضرَّ مَنْ قَطَعَ الرَّجاءَ بِبُخْلِهِ ... لو كان عَلَّلَنِي بوعدٍ كاذبِ[1]

وقال آخر :

إن لم يكنْ وصلٌ لديك لِمَا[2] ... يَشْفِي الصَّبَابَةَ فليَكُنْ وَعْدُ

وقال آخر :

فإنْ تَدعِي[3] نَجْدًا أَدَعْهُ وَمَنْ بِهِ ... وَإِنْ تَسْكُنِي نَجْدًا فيَا حَبَّذَا نَجْدُ

وإن كان يومُ الوَعْدِ يومَ لقائنا ... فَلا تَعْذِلِينِي أن أقولَ مَتَى الوَعْدُ[4]

وقال محمد بن مُنَاذر :

أَنِلِ المَالَ وَلا تَبْخَلْ بِهِ ... فإذَا أعْسَرْتَ بالمَالِ فَعِدْ

لا تَعِدْ شرًّا وَعِدْ خَيْرًا وَلا ... تُخْلِفِ الوَعْدَ وَأَنْجِزْ مَا تَعِدْ

---

(١) ديوانه ٣٦ ، عيون الأخبار ٣/١٤٦، العقد الفريد ١/٢٨٥، وفيه . ماضر من شغل الفؤاد... الخ .

(٢) ب : لنا .

(٣) ب : تدعى .

(٤) محاضرات الأدباء ٢/١٦ ، الكامل ١/٦٤ .

بابُ عُيُونٍ من المَدْح

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أرحمُ أمّتى بأمّتى أبو بكر ، وأقواهُم على دين الله عمرُ ، وأصدقُهم حياءً عثمان ، وأقضاهُم علىّ بن أبى طالب ، وأقرأُهم أُبَىّ ابن كعب ، وأفرَضُهم زيد بن ثابت ، وأعْلَمُهم بالحلال والحرام معاذُ بنُ جَبَل ، وما أظلت الخضراء ولا أقلّتِ الغبراء من ذى لهجةٍ أصدقَ من أبى ذَرّ ، ولكلّ أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجَرّاح » .

مدح رسول الله صلى الله عليه وسلّم الأنصارَ ، فقال : « إنكم لتقلّون عند الطَّمَع ، وتكثرون عند الفَزَع » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « خيرُ دُورِ الأَنصار دُورُ بنى عبد الأشهل ، وفى كل دور الأنصار خيرٌ » .

وقال عليه السلام : « إن الله اختارنى ، واختار لى أصحابًا وأنصاراً ، وجعل لى منهم وزراءَ وأصهاراً » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « خيرُ نساءٍ رَكِبْنَ الإبل نساءُ قريش ، أحْنَاهُنّ على ولدٍ فى صغره ، وأرعاهن لبعلٍ فى ذات يده » .

ذُكر أبو بكر الصديق عند ابن عباس ، فقال : كان والله بالمسلم حفيا ، وعلى الكافر قسيا ، وعن اللذة سليا ، يتواضع حيث لا تُوهن نُصْرَته(١) ، ويعلو حين

---

(١) ب : يؤمن بقربه .

لا تخاف سطوته ، القرآن قائده ، والموت إمامه ، لأن الأمر بين عينيه ، وعاقبته بين يديه ، رحمه الله وأحسن عنا مجازاته .

ذكر ابن عباس أبا بكر رضى الله عنهما ، فقال : كان ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، وثانى اثنين فى العريش ، وثانى اثنين فى القبر .

قال الشَّعبيّ : لما مات على بن أبى طالب رضى الله عنه ، قام ابنه الحسن على قبره ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، واستغفر الله لأبيه ، ثم قال : نِعْمَ أخُو الإسلام كنتَ يا أبى ، جواداً بالحق ، بخيلا بالباطل عن جميع الخلق ، تغضب حين الغضب ، وترضَى حينَ الرِّضا ، عفيفَ النظر ، غضيضَ الطَّرْف ، لم تكن مداحاً ولا شتاماً ، تجودُ بنفسك فى المواطن التي تبخل بها الرجال ، صبوراً على الضّراء ، مشاركاً فى النّعماء ، ولذلك ثَقُلْتَ على أكتاف قريش .

ذكر على بن أبى طالب عند ابن عباس رضى الله عنهما ، فقال : كان والله يُسْكِنُه الحِلْمُ ، ويُنْطِقُه العِلْم .

ذكر على بن أبى طالب عند صَعْصَعَةَ بنِ صُوحانَ العَبْدِىّ ، فقال : هو بالله عليم ، واللهُ فى عينيه عظيم .

قال معاوية لِضِرار الصُّدَائى : صف لى عليًّا . قال : اعفنى يا أمير المؤمنين . قال : لتصفنّه . قال : أَمَا إذْ لا بد من صفته ، فكان والله بعيد المدى ، شديد القُوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلا ، يتفجّر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة عن نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبرة ،

طويل الفِكْرَة ، يقلب كَفه ويحاسب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، يعظم أهل الدين ، ويقرب المساكين(١) ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، كان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحن والله مع تقريبه إيانا ، وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ، وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد تمثل فى محرابه قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم(٢) ، ويبكى بكاء الحزين ، يقول : يا دنيا ! غُرّى غيرى ، أَإِلىّ تعرضْتِ ؟ أم إلىّ تشوقت ؟ هيهات، هيهات ، قد بايَنْتُك ثلاثاً لا رجعة لى فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك قليل ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

فبكى معاوية ، وقال : رحم الله أبا حسن ، كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال حزن من ذُبح واحدها فى حجرها .

سئل عبد الله بن عباس عن علىّ بن أبى طالب ، فقال : ما شئت من ضرس قاطع فى العلم بكتاب الله ، والفقه فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت له مصاهرة النبى صلى الله عليه وسلم ، والتبطن فى العشيرة ، والنجدة فى الحرب ، والبذل للماعون .

نظر علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، إلى زيد بن صوحان مقتولا ، فقال : والله لقد كنتَ ما علمتُ : عظيم المعونة ، خفيف المؤونة .

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ب : السقيم ، والسليم ، الملدوغ وسمى بذلك تيمنا بشفائه .

وقف عليّ على قبر طلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما ، فقال :

وما تَدْرِى إذا أزْمَعْتَ أمرًا بأىِّ الأرْضِ يُدْرِكُكَ المَقِيلُ(١)

ثم قال :

فتًى كان يُدْنِيهِ الغِنَى من صديقه إذَا مَا هُوَ استَغْنِى ويُبْعِدُه الفَقْرُ(٢)

وقال أبو خراش فى الذى ألقى على أبيه رداءه(٣) :

ولم أدْرِ من أَلْقَى عليه رِدَاءَهُ ولـكنّه قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضِ

ولأعرابى فى يحيى بن خالد :

سألتُ النَّدى هل انت حرٌّ فقال لا ولـكنّنِي عبدٌ ليَحْيَى بنِ خَالِدِ

فقلتُ : شراءً ؟ قال : لا . بل وراثةً تَوَارَثَها عن والدٍ بعْدَ وَالِدِ(٤)

وقال آخر :

إنّ للنَّاسِ غايةً فى المَعَالِى وَقَفُوا عِنْدَهَا وَأنتَ تَزِيدُ

قد تناهيتَ فى المكارمِ والمَجْـ ـدِ وحُزْتَ العُلَى فأيْنَ تُرِيدُ

---

(١) البيت لأحيحة بن الجلاح ، انظر مجموعة المعانى ٦ ، حماسة البحترى ١٨٦ .

(٢) البيت لسلمة بن يزيد الجعفى ، فى رثاء أخيه قيس بن يزيد ، حماسة أبى تمام ٦/٤٠٥ ، أمالى القالى ٢/ ٧، وقال فى الكامل ١/١٣٦ ما نصه : يقول بعضهم: إنه للأبيرد الرياحي . هذا وورد البيت فى حماسة البحترى مرتين ٩٨ ، ٤٣٢ ونسبه فى الأولى لسلمة بن يزيد ، وفى الثانية لليلى بنت سلمة ترثى أخاها ، وانظره فى عيون الأخبار ٢/ ٦٧ .

(٣) أبو خراش : خويلد بن مرة الهذلى ، وقد ذكر المصنف ها هنا أنه قال البيت فى رثاء أبيه ، وذكر أبو تمام فى الحماسة أن المقتول أخوه عروة بن مرة وانظر ديوان الهذليين ٢/ ١٥٨ ، الحماسة ١/ ٣٣٣ ، وفيه : على أنه بدل لـكنه ، وانظر البيت أيضاً فى معجم الأدباء ٣/ ٢٥٨ ، زهر الآداب ٣/ ١٥٨ .

(٤) المستطرف ١/ ١٩٣ ، العقد الفريد ١/ ٣١١ .

ولحبيب ويروى لإسحاق الموصلى :

إن يكنْ شَىْءٌ جَمِيلٌ حَسَنٌ ... فَهُوَ فى دُورِ بَنى عَبْدِ الْمَلِكْ
عُقِدتْ أَلْسُنُهُمْ عَنْ قَوْلِ لَا ... فَهِىَ لَا[1] تحْسِنُ إِلَّا هُوَ لَكْ

ومن عيون ما قيل فى المدح نظماً ، قول حسان بن ثابت فى بنى جفنة :

يُغْشَوْنَ حَتَّى ماتهِرُّ كِلابُهُمْ ... لا يَسْأَلُونَ عن السَّوَادِ المُقْبِلِ
بِيضُ الوُجُوهِ أعِفَّةٌ أحْسَابُهُمْ ... شُمُّ الأُنُوفِ من الطِّرَازِ الأَوَّلِ[2]

قال جبلة بن الأيهم لحسان بن ثابت : أين أنا من النعمان ؟ فقال : والله لشمالك أندى من يمينه ، وقفاك أحسن من وجهه ، ولأمك أكرم من أبيه .

وقول الأعرابى فى عمر بن عبد العزيز كأنه[3] مأخوذ من قول حسان هذا ، وذلك قوله حين دخل عليه ، وهو خليفة ، فقال :

وأنتَ الَّذِى كِلْتَا يَدَيْكَ مُفِيدةٌ ... شِمالُكَ خيرٌ من يَمِينِ سِوَاكَا
بلغتَ مَدَى الجَارِينَ قَبْلَكَ إِذْ جَرَوْا ... ولم يَبْلُغِ الجَارُون بعدُ مَدَاكَا[4]
فجدّاكَ لا جَدَّيْنِ أكْرَم مِنْهُمَا . هنالكَ تناهَى المجـــدُ ثمَّ هُنَاكَا

---

(١) ساقط من ب ، وهما لأبى تمام كما فى ديوانه ١١٨ يمدح أبا موسى الحسن بن عبد الملك ، والرواية هناك للشطر الأول : إن يكن فى الأرض شىء حسن ، وفيه لا تعرف مكان لا تحسن .

(٢) ديوانه ١٥٦ ، النوادر للقالى ١١٧ ، نهاية الأرب ١٨٩/٤ ، المستطرف ٣٠/٢ ، زهر الآداب ٢١٥/٤ .

(٣) ب : كله .

(٤) ساقط من ب .

وَقال لقيط بن زرارة :[١]

وَإنّى مِنَ القَوْمِ الّذِين عَرَفْتَهُمْ ... إذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهْ

نجومُ سَمَاءٍ كلّما غَارَ كَوْكَبٌ ... بدا كوكبٌ تأوى إليهِ كَوَاكِبُهْ

أضاءتْ لهم أحسابُهم وَوجوهُهم ... دُجَى اللّيْل حتّى نظّم الجَزْعَ ثاقِبُهْ

وَقال طُفَيْل الغَنَوِىّ :

نجومُ ظلامٍ كلّما غابَ كوكبٌ ... بَدَا سَاطِعًا فى حِنْدِسِ اللّيْل كوكبُ

وَقال آخر :

دَرَارِى نُجُومٍ كلّما انقَضّ كَوْكَبٌ ... بدا كوكبٌ تَرْفَضُّ[٢] عَنْهُ الكَوَاكِبُ

وَقال الخُرَيمى يمدح بنى خُرَيم من آل شيْبان بن حارثة :

بقيّة أقوامٍ من الغُرِّ لو خَبَتْ ... لظَلّتْ مَعَدٌّ فى العُلَا[٣] تتَسَكّعُ

إذا قمرٌ منهـا تغوّرَ أوْ كَبَا ... بدا قمرٌ فى جانب الأفق يَلْمَعُ

وَمدح بعض بنى عمرو إخوته فقال[٤] :

خَبِّرْ ثَنَاءَ بنى عَمْـرٍو فإنّهُمُ ... أولُو فُضُولٍ وأَنْفَالٍ[٥] وَأخْطَارِ

---

(١) الصحيح أن الأبيات لأبى الطمحان القينى (حنظلة بن الشرقى) ، انظر الكامل ١/٣١ ، وفيه : ولنى من القوم الذين هم هم ، وانظر الشعر والشعراء ٣٤٨ ، وفيات الأعيان ١/٤٣ ، المستطرف ١/١٥٧ ، وانظر البيت الأخير فى حماسة أبى تمام ٢/٢٥٨ ، لباب الآداب ٣٦٧ .

(٢) ترفض : تتوارى أو تتكسر .

(٣) ا : الدجى .

(٤) قبل الأول البيت فى الكامل ١/٤٨ قوله :

بل أيها الراكب المفنى شبيبته ... يبكى على ذات خلخال وأسوار

(٥) ب : وأثقال .

إنْ يُسْأَلُوا الخَيْرَ يُعْطُوه وإنْ جَهِدُوا ... فالجَهْدُ يُخْرِجُ منهم طِيبَ أَخْبارِ

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ بَنُو يُسُرٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ إِيسَارِ

مَنْ تَلْقَ مِنْهُم فَقَدْ لاقَيْتَ سَيِّدَهُمْ ... مِثلَ النجومِ التي يَهْدَى بِهَا السَّارِى

لا يَنطِقُونَ عن العَمْياءِ إنْ نَطَقُوا ... ولا يُمَارُونَ إن مارَوْا بِإِكْثَارِ[1]

وقد قيل : إن هذا الشعر لبعض بني كلاب[2] يمدح بعض بنى غَنِيّ ، وكان أبو عبيدة ينكر هذا ، ويقول : محال يمدح كلابى غنويًّا[3]

قالت الخنساء :

أَشَمُّ أَبْلَجُ يَأْتَمُّ الهُـــداةُ بِهِ ... كأنَّهُ عَلَمٌ فى رأسِهِ نَارُ[4]

وقال آخر :

إذا قيل أَىُّ فَتًى تَعْلَمُونَ ... أَهَشُّ إلى الطَّعْنِ بالذَّابِلِ

---

(١) يروى : بنو كرم ، و .. تقل لاقيت ، ويسرى مكان يهدى ، وعن الفحشاء بدل عن العمياء ، ويروى البيت الثانى :

إن يسألوا الخير يعطوه وإن شهدوا ... كشفت أذمار حربه غير أغمار

والمعنى : الأيسار جمع يسر من الميسر بالقداح ، والعرب تتمدح بذلك باعتباره من علامات البذل والكرم ، وسواس مكرمة : يروضون المكارم ويلون أمرها ، والمماراة : اللوم والعيب .

والأبيات بتمامها فى الكامل ٤٨/١ ، وورد بعضها فى معجم الشعراء ٣٠٦ ، زهر الآداب ٦٧/٤ .

(٢) هو العرندس الكلابى كما فى الأمالى وزهر الآداب ومعجم الشعراء ، أو ابنه عبيد بن العرندس كما فى الكامل ، يمدح بنى عمرو الغنويين .

(٣) أما السبب فى هذا كما ذكره أبو عبيد البكرى فى التنبيه على أوهام القالى فى الأمالى صفحة ٧٣ ، فهو أن فزارة كانت قد أوقعت ببنى بكر بن كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة ، ثم أدركتهم غنى فاستنقذتهم ، وحدث بعد ذلك أن قتلت طيىء قيس الندامى الغنوى ، وقتلت عبس صريم بن سنان الغنوى أيضا ، فاستغاثت غنى ببنى بكر وبنى محارب ليكافئوهم بيدهم عندهم ، فقعدوا عنهم ولم يجيبوهم . فلم يزالوا متدابرين .

وهذا هو ما استند إليه أبو عبيدة معمر بن المثنى فى استحالة نسبة البيت إلى كلابى ولكن ما الذى يمنع من أنه قالها قبل أن يحدث التدابر بين القبيلتين ؟ خاصة وأنى لم أجد اختلافا بين الرواة فى نسبتها .

(٤) الديوان ٨٠ ، التمثيل والمحاضرة ٢٥٣ .

وأَضْرَبُ للقِرْنِ في مَفْرِقٍ(١) ... وأطعمُ في الزَّمَنِ الماحِلِ
أَشارَت إليكَ أكفُّ الورَى ... إشارةَ غَرْقَى إلى ساحِلِ(٢)

ومن أحسن ما قيل في المدح أيضاً في النظم ، قول أبي الجهم العدوي في معاوية رضي الله عنه :

نُقَلِّبُهُ لتَخْبُرَ حالَتَيْهِ ... فنَخْبُرَ منهما كرماً ولينَا
نميلُ على جوانبهِ كأنَّا ... نميل إذا نميلُ على أبينَا(٣)

وفي هذا الشأن قول زهير في هرم بن سنان :

إنْ تَلْقَ يَوْمًا على علّاته هَرِمًا ... تَلْقَ السَّماحَةَ مِنْهُ والنَّدَى خُلُقَا
أغرُّ أبيضُ فيّاضٌ يُفَكِّكُ عَنْ ... أيْدِي العُنَاةِ وعن أَعْنَاقِهَا الرِّبَقَا(٤)

وقوله أيضاً :

أخو ثقة لا تُذْهِبُ الخمرُ مالَهُ ... ولكنَّهُ قد يُذْهِبُ المالَ نائِلُهْ
تراهُ إذا ما جئْتَهُ مُتَهَلِّلاً ... كأنَّكَ تعطيه الَّذِي أنْتَ سائِلُهْ(٥)

---

(١) ا : مضيق .
(٢) الأبيات لابن هرمة ، البيان ٣/٣٢٧ ، العقد ١/٢٦٤ .
(٣) يروى : إذا ملنا نميل ، البيان ٢/٢٢٣ ، العقد الفريد ١/٦١ ، مجموعة المعاني ٤٥ ، معجم الأدباء ١/٣٢٧ ، وفي الأمالي للقالي ١/٢٣٧ ما نصه : قال أبو الجهم بن حذيفة لمعاوية : نحن عندك يا أمير المؤمنين كما قال عبد المسيح لابن عبد كلال : نميل على جوانبه .. الخ .
(٤) ديوانه ١٩ وفيه : أشم بدل أغر ، والعناة : الأسرى واحدها عان ، والربق : حبل من ليف يوضع في عنق الأسير .
(٥) ديوانه ١٣٢ ، الشعر والشعراء ١٠١ .

وقوله أيضاً :

عَلى مُكْثِريهِمْ رِزقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ　　وعند المقلّين السَّمَاحَةُ والبَذلُ(١)

وقول جرير :

أَلستُمْ خَيْرَ من ركِب المطَايَا　　وأَنْدَى العالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ(٢)

وقول القاسم بن أمية بن أبي الصلت الثقفي :

قومٌ إذا نزل الغريب بدارِهِمْ　　رَدُّوهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وقِيَانِ

وإذا دعوتَهُمُ ليومِ كَرِيهَةٍ　　سَدُّوا شُعَاعَ الشَّمس بالفُرْسَانِ

لا ينقُرُون الأرضَ عندَ سُؤَالِهِمْ　　لِتَطَلُّبِ العِلَّاتِ بالعِيدَانِ

بل يبسُطُونَ وجوهَهُم فترَى لهم　　عند اللِّقَاءِ(٣) كأَحْسَنِ الأَلْوَانِ(٤)

والجيّد من النظم لا يُحصى كثرة ، وحَسْبنا أن نأتي منه بما يقرب حفظه للمذاكرة ، ويقوم ببهاء مورده في المجالسة .

قال عمرُو بن أمية الضَّمْرِيّ(٥) للنجاشي ، حين وجَّهه إليه رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم : أيّها الملك ! كأنك في الرَّأفة علينا منّا ، لم نَرْجُك قطّ لأمرٍ إلا نلناه ، وَلم نَخَفْكَ قطّ على أمرٍ إلا أمنّاه .

---

(١) ديوانه ١١٥ ، زهر الآداب ٤/٢١٧ .

(٢) الديوان ٩٨ ، زهر الآداب ٤/٢١٤ .

(٣) ا : طلب العلاء .

(٤) لباب الآداب ٢٧٥ ، الشعر والشعراء ٤٣٣ ، والبيت الأول في العقد الفريد ١/١٢٦ .

(٥) ا : عمر بن الخطاب ، وهو خطأ واضح ، انظر الطبري ٢/٢٢٩ .

ووقف حيّان بن مالك بن جعفر على قبر عامر بن الطُّفَيل ، فقال : كان والله لا يضل حتى يَضل النّجم، ولا يَعْطش حتى يعطش البعير، ولا يهاب حتى يهاب السيل.

مدح أعرابيٌّ رجلا فقال : كان يغنى فى طلب المكارم غير ضال فى مصالح طريقها ولا متشاغل عنها بغيرها .

وذكر أعرابى جَلَد أخيه ، فقال : ما بعثته فى سواد إلّا جَلّاه ومحاه ، ولا فى بياض إلا أزكاه وأضاءه .

وصف أبو مهديّة الأعرابى قوماً ، فقال : أدبتهم الحكمة ، وأحكمتهم التجربة ، ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة ، ورحل عنهم التسويف الذى قطع الناس به مسافة آجالهم ، فذلت ألسنتهم بالوعد ، وانبسطت أيديهم بالإنجاز ، فأحسنوا المقال وشفعوه بالفعال .

ومدح أعرابيٌّ رجلا فقال : كالمِسْك إن تركته عَبِق ، وَإن خبّأته عَبِق .

قال محمد بن زياد الحارثى :

تَخَالُهُمُ للحِلْمِ صُمًّا عَنِ الخَنَا وخُرْساً عن الفَحْشَاءِ عِنْدَ التَّفَاخُرِ
ومَرْضَى إذا لَاقَوْا حَيَاءً وعِفَّةً وعند الحِفَاظِ كاللُّيُوثِ الكَوَاسِرِ
لهم ذلُّ إِنْصَافٍ ولِينُ تَوَاضُعٍ بِهِمْ وَلَهُمْ ذَلَّتْ رِقَابُ العَشَائِرِ
كأنّ بِهِمْ وَصْمًا يَخَافُونَ عَارَهُ[1] وما وَصْمُهُمْ إلا اتّقَاءُ المَعَايِرِ[2]

---

(١) ا : غارة .

(٢) الأبيات فى أمالى القالى ١/٢٣٨ ، العقد الفريد ٢/١٨٥ ، وفيه : الخوادر مكان الكواسر ، وما ذاك إلا لاتقاء مكان وما وصمهم إلا اتقاء ،

وقال آخر :

لو قيلَ لابْنِ مُحَمَّدٍ : ياذا النَّدى قل لا ، وأنت مُخَلَّدٌ ما قالَهَا
إنّ المَكَارِمَ لم تَزَلْ معقُولَةً حتَّى حَلَلْتَ براحتَيْكَ عِقَالَها[1]

مدح أعرابى رجلا ، فقال : كان إذا خرست الألسن عن الرأى حذق بالصواب كما يحذق الأريب .

أثنى عمرو بن زياد العَتَكِىّ على الحجاج بن يوسف عند عبد الملك بن مروان فقال : يا أمير المؤمنين ! هو سيفك الذى لا ينبو ، وَسهمك الذى لا يطيش ، وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم . وكان الحجاج يقصيه فلما قال ذلك أدناه .

قال ابن شهاب : قال لى سعيد بن المسيب : ما مات من ترك مثلك .

ومن أحسن ما قيل فى المدح نظماً ، وإن كان الحسن منه كثيراً جدا ، ما ذكره أبو على البغدادى رواية عن شيوخه : أن علىّ بن الحسين بن على بن أبى طالب رآهُ هشام بن عبد الملك وَهو خليفة فى حجة حجها ، وعلىّ يطوف بالبيت وَالناس يفرجون له عند الحَجَر تعظيما له ، وَ ينظرون إليه مبجلين له ، فغاظ ذلك هشامًا ، فقال : من هذا ؟ كأنه لم يعرفه ، فقال الفرزدق منكرًا لقول هشام ، وَمادحًا لعلى بن حسين :

هذا الَّذِى تعرفُ البَطْحَاء وطأَتَهُ والبيتُ يَعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

---

(١) البيتان لربيعة بن ثابت الرقى فى مدح العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، انظر معجم الأدباء ١١/١٣٥ ، وانظر معاضرات الأدباء ١/٢٧٩ ، ٢٨٧ .

هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كُلِّهِمُ هذا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ العَلَمُ
إذا رأَتْهُ قريشٌ قال قائِلُهَا إلى مكارِمِ هذا يَنْتَهِي(١) الكَرَمُ
يَنْمِي(٢) إلى ذروةِ العِزِّ التي قَصُرَتْ عن نيلِهَا عَرَبُ الإسْلَامِ والعَجَمُ
يكاد يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ رُكْنُ الحَطِيمِ إذا ما جاء يَسْتَلِمُ
يُغْضِي حياءً ويُغْضَى من مَهَابَتِهِ فلا يُكَلَّمُ إلّا حينَ يَبْتَسِمُ
بِكَفِّهِ خيزُرَانٌ رِيحُهَا عَبِقٌ مِنْ كَفِّ(٣) أَرْوَعَ في عِرْنِينِهِ شَمَمُ
مُشْتَقَّةٌ من رسولِ اللهِ نَبْعَتُه طابَتْ عناصِرُهُ والخِيمُ(٤) والشِّيَمُ
ينجابُ ثوبُ الدُّجَى(٥) عن نورِ غُرَّتِهِ كالشَّمس ينجابُ عن إشراقِهَا الظُّلَمُ(٦)
حَمَّالُ أثقالِ أقوامٍ إذا فُدِحُوا(٧) حُلْوُ الشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نِعَمُ
هذا ابنُ فاطِمَةٍ إن كنتَ جاهِلَهُ بجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللهِ قَدْ خُتِمُوا
فليس قولُك من هذا بضائِرِهِ العُرْبُ تعرفُ مَن(٨) أنكرتَ والعَجَمُ
اللهُ فَضَّلَهُ قِدْمًا وَشَرَّفَهُ جَرَى بِذَاكَ لَهُ في لَوْحِهِ القَلَمُ
مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضلُ الأَنْبِيَاءِ لَهُ وفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الأُمَمُ
سَهْلُ الخليقَةِ لا تُخْشَى بَوَادِرُهُ تَزِينُهُ خَلَّتَانِ الحِلْمُ(٩) والكَرَمُ
مُصَدَّقُ الوَعْدِ(١٠) ميمونٌ نقيبَتُهُ رَحْبُ الفِنَاءِ أَرِيبٌ حينَ يَعْتَزِمُ

---

(١) ب : ينتهى .
(٢) ب : ينهى .
(٣) ا : فى كف .
(٤) ا : والجسم .
(٥) ب : الهدى .
(٦) ب : القتم .
(٧) ا : مدحوا .
(٨) ب : ما .
(٩) ا : الخلق .
(١٠) ا : الخلق أيضا .

أيُّ الْقَبَائِلِ ليست فى رِقابهم لأوَّلية هـــذا أَوْ لَهُ نِعَمُ
مَنْ يَعرفِ اللهَ يَعرفْ أوليةَ ذَا فالدِّين من بيتِ هذا ناله الأُمَمُ

وفيها أبيات لم أذكرها لأنى أظنها مضافة مفتعلة ، وقد أنشد بعض هذا الشعر حبيب فى الحماسة(١) للحر بن عبدالله الليثى(٢) فى على بن الحسين بن على بن أبى طالب. هذا وذكر الفاكهى فى أخبار مكة(٣) ، قال : حدثنى أبو سعيد عبد الله بن شبيب ، قال حدثنى ابن عائشة ، قال : أخبرنى أبى ، قال : دخل الفرزدق مكة ، فإذا هو بعلىّ بن عبيد الله بن جعفر يطوف بالكعبة فى حُلَّةٍ وهو محرم ، فقال : ويحكم يا معشرَ أهل مكة ، من هـذا الرجل الذى يطوف بالبيت ، فوالله ما رأيت أحسن من وجهه ، ولا من حُلّته ، فقالوا : هذا على بن عبيد الله بن جعفر بن أبى طالب ، ولفاطمة(٤) بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشأ يقول هـذه الأبيات (٥) التى ينشدها الناس (٥) .

---

(١) ورد فى الحماسة ٢٦٩/٢ ، الأبيات : الأول والثالث والخامس والسادس والسابع وما قبل الأخير ، مع اختلاف فى الترتيب .

(٢) فى ا : السبتى ، وهو تحريف ، ولم أعثر على هذا الاسم المثبت فى النص فى الحماسة أو غيرها ، والأبيات منسوبة فى الحماسة إلى الحزين الكنانى ، واسمه عمرو بن عبيد بن وهب بن مالك أحد بنى عبد مناة بن كنانة وهو ليثى أيضاً كما فى اللباب ٥٣/٢ ، وكذلك نسب للحزين البيتان السادس والسابع فى الأغانى ٧٤/١٤ ، والآمدى ٨٩ ، والبيان ٣٤٨/١ ، ونسب البيتان فى لباب الآداب ١٠٨ إلى المتوكل بن عبد الله الليثى فى مدح عبد العزيز بن مروان . ويبدو أن الاسمين قد تداخلا والتبسا على الناسخ فأثبت منهما : الحر بن عبد الله الليثى ، ولكن ما دام المصنف يذكر ما ورد فى الحماسة فيجب أن تكون صحة الاسم : الحزين بن عبيد الكنانى الليثى ، وتصرف فيه الناسخ إلى ما ترى .

(٣) الفاكهى : أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهى ، كتب سنة ٢٧٢هـ / ٨٨٥م تاريخ مكة ، نشر المستشرق فستنفلد منتخبات من الجزء الثانى منه مع تاريخ مكة المشرفة للأزرقى فى ليبزج سنة ١٨٥٩ ، انظر تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ٢٣/٣ .

(٤) ب : وفاطمة .

(٥) ساقطة من ا .

هٰذَا الَّذِى تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ   وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

فذكر هذه الأبيات ولم يتمَّها ، قال الفاكهىّ : ويقال إن الرجل الذى قال فيه الفرزدق هذا هو محمد بن علىّ بن حسين ، قال : وحدثنى أبو سعيد ، قال : [١] حدثنى الزبير ، قال [١] : قيل هذا الشعر فى قُثَم بن العباس ، قاله بعض شعراء أهل المدينة[٢] ، وزاد فى الشعر بيتين أو ثلاثة منها قوله :

كم صارخٍ بِكَ مَكْرُوبٍ وصارِخَةٍ   يَدْعُوكَ يا قُثَمَ الخيراتِ يا قُثَمُ

وأما قوله فى الخبر الأول : ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن علىَّ بن عبد الله أمه زينب بنت علىّ بن أبى طالب ، وأمّها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقولُ من قال : إن هذا الشِّعر قيل فى علىّ بن عبيد الله بن جعفر ، أو فى محمد بن على بن حسين أصح عندى من قول من قال : إنه فى علىّ بن حسين ، لأن على بن حسين توفى سنة ثلاث أو أربع وتسعين ، وهشام بن عبدالملك إنما ولى الخلافة سنة خمس ومائة ، وعاش خليفةً عشرين سنة ، وجائز أن يكون الشعر للحر بن عبد الله[٣] فى محمّد بن على بن حسين ، وممكن أن يكون للفرزدق فى محمد ابن على بن حسين بن أبى جعفر — وإن كان له فى أبيه على بن حسين — فلم يكن هشامٌ يومئذ خليفةً كما قال أبو علىّ فى روايته ، وأما قول الزبير : إنه قيل فى قثم ابن العباس ، فليس بشىء ، وإنما ذاك شعر قيل فى قثم على قافية هذا الشعر وعروضه ليس هو[٤] هذا .

---

(١) ساقط من ا .

(٢) هو داود بن سلم ، أو خالد بن يزيد مولى قثم ، وقد ورد البيت فى البيان ١/٣٤٨ :

كم صارخ بك من راج وراجية   فى الناس ، يا قثم الخيرات يا قثم

(٣) انظر التعليق رقم ٢ فى الصفحة السابقة .

(٤) ساقطة من ب .

قال عبدةُ بنُ الطبيب في قيس بن عاصم المنقري :

عليك سَلامُ اللهِ قَيْسَ بنَ عَاصِمٍ ورحمتُــــهُ ما شَاءَ أَن يَتَرَحَّمَا
تحيّةَ من أَوْلَيْتَه منْكَ نعمةً إذا زار عن شَحْطٍ مَزَارَكَ[1] سَلَّمَا
فما كان قيسٌ هُلْـكُهُ هُلْكُ وَاحِدٍ ولـكنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا[2]

وقال آخر :

كريمٌ يَغُضّ الطَّرْفَ فَضْلُ حَيَائِهِ[3] وَيدنُو وأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِ
وكالسَّيْفِ إِنْ لايَنْتَهُ لَانَ مَتْنُهُ وَحدّاهُ إِنْ خَاشَنْتَهُ خَشِنَانِ[4]

وللخُرَيْمي :

يُلامُ أَبُو الفَضْلِ في جُودِهِ وهلْ يَقْدِرُ البَحْرُ أَلّا يَفِيضَا[5]

وَقال أَبو جعفر محمد بن مناذر :

أتانا بنو الأَمْلَاكِ من آلِ بَرْمَكٍ فيا طيبَ أَخْبارٍ وَيا حُسْنَ مَنْظَرِ
لهم رحلةٌ في كلِّ عامٍ إلى العِدَى وأُخْرَى إلى البيتِ الحرام المُسَتَّرِ[6]
إذا نزلُوا بطحاءَ مكَّةَ أَشْرَقَتْ بيحيَى وَبالفَضْلِ بن يَحيَى وجَعْفَرِ

---

(١) بلادك .
(٢) نسبت الأبيات في وفيات الأعيان ١٢٦/١ إلى أبي تمام ، وهو خطأ ، انظر الحماسة لأبي تمام ٣٣٤/١ ، البيان ٣٩٤/٢ ، نهاية الأرب ٢١٥/٤ ، الشعر والشعراء ٧٠٧ .
(٣) ا : في كل حالة .
(٤) في حماسة البحتري ١٦٢ : لان مسه ، وانظرهما في حماسة أبي تمام ٢٦٥/٢ ، البيان ١٩٤/٢ ، التمثيل والمحاضرة ٢٦ ، لباب الآداب ٧٥ .
(٥) محاضرات الأدباء ١٠٧/٢ .
(٦) ا : العتيق المطهر .

فَتَظْلِمُ بغدادٌ ويجلو لنا الدُّجى ... بمكَّةَ ما حجُّوا ثلاثةُ أَقْمُرِ

فما خُلِقَتْ إلا لجودٍ أكُفُّهُمْ ... وأَقْدامُهُمْ إلّا لأعْوادِ منـــبرِ

إذا راضَ يَحْيَي الأمرَ ذلّت صِعَابُهُ ... وناهيك من راعٍ له ومُدَبِّرِ

ترى النّاسَ إجلالاً لهم وكأنّهم ... غرانيقُ ماءٍ تحتَ بازٍ مُصَرْصِرِ[1]

وقال آخر فى ابن شُبرمة القاضى :

إذا سألتَ الناسَ أينَ المكْرُمَهْ ... والعِزُّ والجُرْثُومَةُ المُقدَّمه

وأينَ فارُوقُ الأمُورِ المحْكَمه ... تتابَعَ النّاسُ عَلَى ابْنِ شُبْرُمَه[2]

وقال آخر :

ما لقينا من جودِ فَضْلِ بنِ يَحْيَي ... صـــيَّر النّاسَ كُلَّهُمْ شُعَرَاءِ[3]

أنشد الأصمعى :

كلُّ يومٍ كأنّهُ يَوْمُ أضْحَى ... عنـدَ عَبْدِ العَزِيزِ أو يَوْمُ فِطْرِ

وهذا عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، وله يقول نصيب :

لعبد العزيز على قَوْمه ... وغيرهِمُ نِعَمٌ غَامِرَهْ

---

(١) الغرانيق جمع غرنوق بكسر أوله أو ضمه وهو طائر مائى أسود وقيل أبيض ، والبازى : ضرب من الصقور ، ومصرصر أى يصيح صياحاً شديدا . انظر الأبيات ٣ ، ٤ ، ٥ فى معجم الأدباء ٥٧/١٩ ، وكلها ما عدا الأخيرين فى وفيات الأعيان ٢٦٩/٥ .

(٢) البيتان ليحيى بن نوفل كما فى البيان ٢٤٠/١ .

(٣) البيت لنصيب الأصغر ، أبو الحجناء مولى المهدى ، انظره فى الوزراء والكتاب ١٩٥ ، معجم الأدباء ٢١٦/٧ ، وفيات الأعيان ٣ ٢٠٤ .

فَبَابُكَ[١] أَلْيَنُ أَبْوَابِهِمْ ودَارُكَ مأهُولَةٌ عَامِرَهْ
وكلبُكَ آنَسُ بالمُعْتَفِينَ من الأُمِّ بالإبْنَةِ الزَّائِرَهْ
وكَفُّكَ حين تَرَى السَّائلي نَ[٢] أَنْدَى من اللَّيْلَةِ[٣] المَاطِرَهْ
فمنك العطاءُ ومنِّى الثَّنَاءُ بكلِّ مُحَبَّرَةٍ سَـائِرَهْ[٤]

وذكر رجل عند الحسن ، فقال : كان له خشوع الصابرين[٥] وبهاء الملوك .

ومن المدح :

له خُلُقَانِ لم يَدَعَا له مالاً ولا نَشَبَا
سخاءٌ لَيْسَ يَمْلِكُه وحِلْمٌ يَمْلِكُ الغَضَبَا

وَقال آخر[٦] :

فلو كنتَ يوماً كنتَ يومَ سعادةٍ تُرَى شَمْسُهُ وَالمُزْنُ تَهْضِبُ بالقَطْرِ
ولو كنتَ ليلاً كنتَ ليلةَ صَيِّبٍ[٧] من المُشْرِقَاتِ[٨] البيضِ فى وَسَطِ الشَّهْرِ

وقال آخر :

بديهتُه وفكرته سَوَاءٌ إذا ما نَابَهُ الحَدَثُ الكَبِيرُ

---

(١) ا : هباتك .
(٢) ا : معتافاً فأندى .
(٣) ا : القيلة .
(٤) انظر الأبيات فى معجم الأدباء ١٩/٢٢٩ ، الشعر والشعراء ٣٧٤ ، الأغانى ١/٣٢٣ .
(٥) ب : العابدين .
(٦) ساقط من ب .
(٧) ب : صيف .
(٨) ب : المشرقات .

وأُحزَمُ ما يكون الدَّهرَ رأيًا إذا عَمِيَ[١] المُشاوِرُ والمُشيرُ
وصدرٌ فيه للهمِّ اتّساعٌ إذا ضاقتْ عن الهمِّ الصُّدورُ[٢]

وقال حمزة بن بيض فى مخلد بن يزيد بن المهلب :

بلغتَ لعشرٍ مَضَتْ من سنِيِّ ـك ما يبلغُ السَّيِّدُ الأشيَبُ
فهمُّكَ فيها جَسِيمُ الأُمُورِ وهَمُّ لِدَاتِكَ أنْ يَلْعَبُوا[٣]

وقال ذو الرمة :

عطاءُ فتًى بَنَى وَبَنَى أبوهُ فأعْرَضَ في المَكَارِمِ وَاسْتَطَالا[٤]

قال أبو اليقظان : ولّى الحجاجُ محمدَ بن القاسم بن محمّد بن القاسم بن محمد بن الحكم الثقفى ، قتال الأكراد فأبادهم ، ثم ولاه السند والهند ، وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر :

إنّ السَّماحَةَ والمُرُوءَةَ والنَّدَى لمحمَّدِ بن القاسِمِ بنِ مُحمّدِ
قادَ الجيوشَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يا قُرْبَ سَوْرَةِ سُؤْدُدٍ من مَوْلِدِ[٥]

قال أبو اليقظان : وهو الذى جعل شيراز معسكرا ومنزلا لولاة فارس .

---

(١) ا : غى .
(٢) الأبيات لسلم الخاسر أو أبى نواس ، انظر مجموعة المعانى ١٧ ، الوزراء والكتاب ٢٠٣ .
(٣) نسب البيتان أيضا إلى الكميت بن زيد الأسدى ، البيان والتبيين ٢/١١٠ .
(٤) ديوانه ٤٤٧ ، الشعر والشعراء ١٩٢ .
(٥) الشعر لزياد الأعجم ، انظره فى محاضرات الأدباء ١/٧٦ ، عيون الأخبار ١/٢٢٩ ، المستطرف ٤١/٢٧ ، وسورة السؤدد ، علامته أو ارتفاعه .

قال الحطيئة :

أولئك قومٌ إن بَنَوْا أحسَنُوا البِنَا ... وإنْ عاهَدُوا أَوْفَوْا وإنْ عَقَدُوا شَدُّوا
أَقِلُّوا عليهِمْ لا أبَا لأَبِيكُمُ ... من اللَّوْمِ أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا[1]

وقال أبو الغُول الطُّهَوِيّ يمدح قومه :

فدتْ نفسي وما ملكتْ يميني ... فوارسَ صَدَّقُوا فيهم ظُنُونِي
مَعاشرَ لا يَمَلُّونَ المَنايا ... إذا دارتْ رحَى الحربِ الزَّبُونِ
ولا يَجْزُونَ من حَسَنٍ بِشَرٍّ ... ولا يَجْزُونَ من غِلَظٍ بِلِينِ
ولا تَبْلَى بَسالَتُهُمْ وإنْ هُمْ ... صَلُوا بالحربِ حِينًا بعد حِينِ
هُمُ مَنَعُوا حِمَى الوَقَبَى بِضَرْبٍ ... يُؤَلِّفُ بين أشتاتِ المَنُونِ
فنكَّبَ عنهمُ ظُلْمَ الأعادي ... وداوَوْا بالجُنُونِ من الجُنُونِ[2]

وقال آخر :

بديهتُهُ مِثْلُ تدبيرِهِ ... متى رُمْتَهُ فهْوَ مُسْتَجْمِعُ
وفي كفِّه للغِنَى مَطْلَبٌ ... وللسِّرِّ في صَدْرِهِ مَوْضِعُ[3]

---

(١) ديوانه ١٤٠ ، التمثيل والمحاضرة ٦٣ ، أمالي القالي ٢/١١٨ ، نهاية الأرب ٣/٦٩ .

(٢) يروى : فوارس مكان معاشر ، وبسيء مكان بشر في البيت الثالث .
والزبون في الأصل الناقة التي تزبن (تدفع) حالبها ، شبهت بها الحرب لأنها تدفع الرجال لشدة هولها .
والوقبى : ماء لبني مالك بن مازن على طريق المدينة من ناحية البصرة .
انظر الأبيات في حماسة أبي تمام ١/١٧ ، ١٨ ، أمالي القالي ١/٢٦٠ .

(٣) سبق البيتان في ص ٤٦٥ .

وباب المديح أوسع[١] الأبواب ، لا يحيط به كتاب ، والاختصار أولى بنا فيه على ما شرطنا من الإكثار .

قال عبد الله بن مسعود : لا تعجلن بمدح أحد ولا بذمه ، فإنه رب من يسرك اليوم يسوءك غدا .

قال النَّجاشيُّ الشاعر ، واسمُه قيسُ بن عَمْرو الحارثى ، [٢] من بنى الحارث ابن كعب [٢] .

إنّى امْرُؤٌ قلَّ ما أُثْنِى على أَحدٍ ... حتَّى أَرَى بَعْضَ ما يأْتِى وَمَا يَذَرُ
لا تحمدنَّ امْرءا حتَّى تُجَرِّبَهُ ... ولا تَذُمَّنَّ مَنْ لَمْ تَبْلُهُ الخبرُ[٣]

قال علىُّ بن حُسَين: إذا قال فيك رجلٌ ما لا يعلم من الخير ، أَوشك أَن يقول فيك ما يعلمُ من الشَّر.

---

(١) ب : واسع . (٢) ساقط من ا .
(٣) حماسة البحترى ٢٣٣ ، الشعر والشعراء ١٩٠ ، والثاني في عيون الأخبار ٣/١٧٠ .

باب عيُون من الذّمّ

قالت عائشةُ رضى الله عنها : استأذن رجلٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا معه فى البيت ، فقال : « ائذنوا له فبئسَ ابنُ العشيرة ، أو قال : بئسَ أخُو العشيرة ، ثم قال : إنَّ من شرارِ النَّاس من اتّقاه الناسُ لشرِّه ، أو تركه الناس لشره » . هذا حديث ابن عيينة ، عن المنكدر ، عن عروة ، عن عائشة ، وليس بلفظ حديث مالك المرسل .

قال الحَسَن : ذمُّ الرجل نفسَه فى العلانيه مدحٌ لها فى السرّ .

كان يقال : من أظهرَ عيب نفسه فقد زكّاها .

ذمّ بعضُ البلغاء رجلا ، فقال : ما الحمامُ على الإصْرار[1] ، والدَّيْن على الإقتار ، وَشدة السُّقم[2] فى الأسفار ، بآلم[3] من فلان[4] .

قيل لأعرابىّ : ما تنقم من أميرك ؟ قال : يقضى بالعَشْوة[5] ، وَيأكل الرِّشْوة ، وَيطيل النَّشْوة .

قال ثعلبُ : النَّشوة بالفتح : السُّكْر ، وَالنِّشوة بالكسر : الريح .

---

(١) ب : الأضرار .
(٢) ا : المسلم .
(٣) ب : بألأم .
(٤) وردت العبارة فى الأمالى ٢/١٠٦ قريبة مما أثبتناه ونصها هناك : ما الحمام على الإصرار ، وحلول الدين على الإقتار ، وطول السقم فى الأسفار بآلم من لقائه .
(٥) ب : بالعشيرة ، ويقضي بالعشوة أى يتخبط فى قضائه ويحكم على غير هدى .

ذمّ رجلٌ رجلا ، فقال : كان وَالله سيء الرَّوية ، قليل التقية ، شديد السعاية ، ضعيف النكاية .

ذم خالدُ بن صفوان شبيبَ بنَ شَيْبة ، فقال : ليس له[1] صديقٌ فى السِّرّ ، وَلا عدوٌّ فى العَلانية .

وَذم أعرابىٌّ رجلا ، فقال : أنْتَ وَالله ممن إذا سأل ألحف ، وَإذا سُئِل سَوَّف ، وَإذا حَدّث حَلَف ، وَإذا وَعَدَ أخْلَف ، تَنْظُر نظرَ حَسُود ، وتعْرِضُ إعراض حَقُود .

قال حسان بن ثابت :

أبُوكَ أبُوكَ وَأنْتَ ابْنُهُ ... فَبِئْسَ البُنَىُّ وبِئْسَ الأبُ
وأُمُّكَ سَوْدَاءُ نُوبِيَّةٌ ... كَأنَّ أنَامِلَهَا العُنْظَبُ
يَبِيتُ أبُوكَ بِهَا مُعْرِسًا ... كما ساوَرَ المُهْرَةَ الثعلبُ[2]

وقال أعرابىٌّ :

أكثر ما يأتى على فِيهِ الكذبْ ... وإنَّما الشَّاعِرُ مجنونٌ كَلِبْ
حَيَّاكُمُ اللهُ فإنّى منقلب[3]

مر سفيانُ الثَّورىّ رضى الله عنه ، بقوم فى السوق ، أو غيرها ، فقال لمن معه

---

(١) ا : لا صديق ...
(٢) ساقط من ب ، والأبيات فى ديوانه ١٤ . والعنظب : ذكر الجراد أو الأصفر منه .
(٣) ورد البيتان الاولان من هذا الرجز والثانى قبل الأول فى عيون الأخبار ٢/٢٧ .

أمَا ترون النعمة عند غير أهلها ، كأنها مسخوطٌ عليها ، أخذه الشاعر فقال :

يا حجة اللهِ في الأَرْزَاقِ والنّعَمِ   يا محنة لِذَوِى الأخْطَارِ والهِمَمِ
ما نَرَاكَ أصبحتَ في نَعْمَاء ظَاهِرَةٍ   إلّا ورَبُّكَ غضبانٌ عَلَى النِّعَمِ (١)

قال بعض البلغاء : كفانى سقوطُ فلان إسقاطَه(٢) .

ذم رجل رجلا فقال : ذلك أعيا ما يكون عند جلسائه ، أبلغ ما يكون عند نفسه .

لعمر بن سليمان البجلى ، فى إسماعيل بن عبد الله أخى خالد بن عبد الله القسرى :

لو كنتَ مَاء كنت مَاء آسِنًا   أو كنتَ مَرْعًى لَمْ يردكَ الوُرَّدُ
أو كنتَ من شجرٍ لكنتَ إلَاءَةً   أو كنتَ من وَرِقٍ نفاكَ النّاقِدُ(٣)

قال الجِرْمَازِىّ :

قُبّحتمُ آلَ فُقَيْمٍ عَدَدَا   لو كُنْتُمُ قَوْلاً لَكُنْتُم فَنَدَا
أو كنتمُ ماء لكنتُمْ زَبَدَا   أو كنتمُ شيئًا لَكُنْتُمْ نَقَدَا
أو كنتمُ لحمًا لكُنْتُمْ غُدَدَا(٤)

النَّقَدُ : المَعْزُ ، وفى المثل : لهو أذل من النَّقَد .

---

(١) محاضرات الأدباء ١/٢٤٥ .

(٢) ساقطة من ا .

(٣) الألاء : شجر مر ، والورق : الذهب والفضة ، والناقد : مميز الدراهم .

(٤) الفند : الخطأ فى القول والكذب ، والغدة : كل عقدة فى الجسم أطاف بها شحم ، وكل قطعة صلبة بين العصب .

قال أبو عثمان العَرُوضى :

لو كان حَرْفًا كان لا مَعْنًى له أو كان ظرفًا لم يَكُنْ إلاَّ مَتَى[١]

وقال آخر :

لو كنتَ ماءً كنتَ غَيْرَ عَذْبِ . أو كُنْتَ سَيْفًا كُنْتَ غَيْرَ عَضْبِ
أو كنتَ لحمًا كنتَ لحمَ كلبِ أو كُنْتَ عيراً كُنْتَ غَيْرَ نَدْبِ[٢]

وقال آخر :

لو كنتَ بَرْدًا كنتَ زَمْهَرِيرًا أو كنتَ ريحًا كانَتِ الدَّبُورَا
أو كنتَ غيماً لم تكنْ مطيرًا أو كنتَ ماءً لم تكنْ طَهُورَا
أو كنتَ مُخًّا كنتَ مُخًّا رِيرًا[٣]

ومما أنشده ثعلب :

لِلَّهِ دَرُّكَ أَيمَا رَجُلٍ يَبْنِى أَبُوكَ وشَأْنُكَ الهَدْمُ
لو كنتَ تصعَدُ فى السماء كما تنحطُّ قَصَّرَ دُونَكَ النَّجْمُ

مرَّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بقوم يَتْبَعُون رجلا قد أُخذ فى ريبة ، فقال : لا[٤] مرحباً بهذه الوجوه التى لا ترى إلا فى الشر .

---

(١) ا : لشئ ، ب : فيه شيء بدلا من إلا متى

(٢) وردت البيت الأول فى الكامل ٢/٥٧ : لو كنت ماء لم تكن بعذب ، وانظر الأبيات أيضاً فى محاضرات الأدباء ١/١٥٤ .

(٣) الأبيات فى محاضرات الراغب ١/١٥٤ ، الكامل ٢/٥٧ ، وتأتى الشطرة الأولى فيه فى آخرها ، والمخ الرير : الذائب أو الرقيق .

(٤) ساقطة من ب .

قال القطامى :

ألا إنّما نيرانُ قيس إذا اشْتَوَوْا لِطَارِقِ ليلٍ مِثْلُ نَارِ الحَبَاحِبِ (١)

يقال : نارُ الحَبَاحِبِ ، ونار أَبى الحُباحب ، لكل نارٍ تراها العينُ ولاحقيقة لها

قال دُرَيْدُ بن الصِّمَّة :

يا آلَ سفيانَ ما بالى وَبَالُكُمُ أنتم كثيرٌ وفي الأحْلَامِ عُصْفُورُ

وخير من هذا ، قول حسان بن ثابت يذم قوماً :

لا عَيْبَ فى القومِ من طولٍ ومن عِظَمٍ جسمُ البِغَالِ وأحلامُ العَصَافِيرِ (٢)

وقال آخر :

قَبُحَتْ مَنَاظِرُهُمْ فحِينَ خَبَرْتُهُمْ حَسُنَتْ مَنَاظِرُهُمْ لِقُبْحِ المَخْبَرِ (٣)

وقال آخر :

له صُورَةٌ تُعْمِى العُيُونَ سَمَاجَةً وإنْ تَخْتَبِرْ يَوْماً فأَقْبَحُ مَخْبَرِ

وقال محمد بن مناذر ، فى خالد بن طليق قاضى البصرة :

جُعِلَ الحَاكِمَ يا للنَّـــاسِ مِنْ آلِ طَلِيقْ

حاكمٌ يحكم فى النّا سِ بحكم الجاثَلِيقْ

(١) البيت فى ديوانه ٩ ، زهر الآداب ٧٢/٣ .

(٢) ديوانه ٤٦ .

(٣) المحاسن والمساوئ ١٩٢/١ .

يَدَعُ الحقَّ ويَهْوِى   فى ثنيَّاتِ الطَّرِيقْ
أىُّ قاضٍ أنت لِلنَّقْـ   ـصِ وتَعْطِيلِ الحُقُوقْ
يا أبَا الهَيْثم ما أَنْـ   ـتَ لِهَذا بِخَلِيقْ
لَا ولَا أَنْتَ بِماَ حُمِّـ   ـلْتَ مِنْهُ بِمُطِيقْ
حَبْلُه حَبْـ   ـلُ غُرُورٍ عَقْدُهُ غَيْرُ وَثِيقْ (١)

وله فيه أيضاً :

قل لأميرِ المُؤْمِنِين الَّذِى   فى هاشِمٍ سِرُّهاَ واللُّبَابْ
إنْ كنتَ للسُّخْطَة عاقَبْتَنا   بخـالدٍ فهْوَ أشَدُّ العِقَابْ
أَصَمُّ أَعْمَى عَنْ طَرِيقِ الهُدَى   وقَدْ ضَرَبَ النَّوْكُ عليْهِ الحِجاَبْ
كانَ قَضَاءُ اللهِ فيماَ مَضَى   مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وهَذَا عَذَابْ
يا عجبًا مِنْ خَالِدٍ كيفَ لا   يُخْطِىءُ فينَا مَرَّةً بالصَّوَابْ (٢)

قال أبو العتاهية :

وَلَيْسَ بحاكمٍ مَنْ لَا يُبَالِى   أَأَخْطَأَ فى الحُكُومةِ أمْ أَصَابَا (٣)

وقال آخر :

فإنْ تُصِبْكَ مِنَ الأَيَّامِ دَاهِيَةٌ   لَمْ نَبْكِ مِنْكَ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينِ (٤)

---

(١) ساقط من ب ، وانظر الأبيات فى البيان ٢/٢٨٩ ، عيون الأخبار ١/٦٤ ، وما عدا الأخيرين فى الشعر والشعراء ٦ ٨٤٤ .
والجاثليق : كبير النصارى فى بلد الإسلام ، أو هو صاحب رتبة دينية تقل عن البطريرك .
(٢) الأبيات الخمسة ساقطة من ب ، وانظرها كلها فى عيون الأخبار ١/٦٣ ، ٦٤ .
(٣) ديوانه ١٤ .
(٤) البيت لأبى وجرة مولى عبد الله بن الزبير ، انظر العقد الفريد ٦/١٧٦ .

وقال آخر :

إِذَا مَا لَقِيتَ بَنِى عَامِرٍ   لَقِيتَ جَفَاءً وَنَوْكًا كَثِيرًا
نَعَامٌ تَجُودُ[(١)] بِأَعْنَاقِهَا   وَيَعْنَعُهَا نَوْكُهَا أَنْ تَطِيرَا

وقال آخر :

وَإِنَّكَ إِنْ حَلَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ   رَحَلْتَ بِخِزْيَةٍ وَتَرَكْتَ عَارَا[(٢)]

وقال آخر :

خَنَازِيرُ نَامُوا عَنِ الْمَكْرُمَاتِ   فَنَبَّهَهُمْ[(٣)] قَدَرٌ لَمْ يَنَمْ
فَيَا قُبْحَهُمْ فِى الَّذِى خُوِّلُوا   وَيَا حُسْنَهُمْ فِى زَوَالِ النِّعَمْ[(٤)]

وقال آخر :

لَخَيْرٌ مِنْكَ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ   وَخَيْرٌ مِنْ زِيَارَتِكَ الْقُعُودُ

وقال آخر :

وَمَا يَنْفَعُ الْأَصْلُ مِنْ هَاشِمٍ   إِذَا كَانَتِ النَّفْسُ مِنْ بَاهِلَهْ[(٥)]

وقال آخر :

كَأَنَّ رِيحَهُمُ مِنْ قُبْحِ فِعْلِهِمُ   رِيحُ الْكِلَابِ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ

(١) ب : تجير

(٢) البيت لجرير ، ديوانه ٢٨١ .

(٣) ب : فثبتهم .

(٤) البيتان لجرير ، ديوانه ٥٦٥ ، ونسبا فى محاضرات الأدباء ٨٦/١ إلى محمود الوراق .

(٥) البيت فى التمثيل والمحاضرة ٤٥٦ ، محاضرات الأدباء ١٦٢/١ من غير نسبة .

وقال خلف الأحمر :

إِذَا انْتَسَبُوا فَفَرْعٌ من قُرَيْشٍ   ولـكنَّ الفِعَال فِعَال عُـكْلِ[١]

وقال أبو على البصير :

لَعَمْرُ أَبيكَ ما نُسِبَ المُعَلَّى   إلى كَرَمٍ وَفى الدُّنْيَا كَرِيمُ
ولـكنَّ البِلَادَ إِذَا اقْشَعَرَّتْ   وصَوَّحَ نَبْتُهَا رُعِيَ الهَشِيمُ[٢]

وللحطيئة فى أمّه ، لا عفا الله عنه :

تَنَحَّيْ فاقعُدِى مِنّى بعيداً   أَرَاحَ اللهُ منك الْعَالَمِينَا
أَلَمْ أُوضِحْ لكِ الْبَغْضَاءَ مِنّى   ولـكن لا إخَالُكَ تَعْقِلِينَا
أَغِرْبَالًا إذَا اسْتُودِعْتِ سِرًّا   وَكَانُونًا عَلَى المُتَحَدِّثِينَا
جزاكِ اللهِ شَرًّا من عَجُوزٍ   ولقَّاكِ العُقُوقَ من البَنِينَا[٣]

وللفقيه أبى عمر بن عبد البر :

وَاصلتَ فى شُرْبِ الشَّمُولِ[٤] سفاهَةً   حتّى غدوْتَ كأنَّ أَنْفَكَ دُمَّلُ

قال أعرابىّ : أتيتُ بغـداد فإذا ثيابُ أجوادٍ على أَلْأَمِ أَجْسَاد ، إقبالُ حظّهم إدبارُ حظوظ الـكرام ، شجرٌ فروعه عنـد أصوله ، شَغلهم عن المعروف رغبتهم فى المنكر .

---

(١) سبق البيت مع أبيات أخرى فى باب الهدية .

(٢) البيتان فى معجم الأدباء ٣/٨٩ ، التمثيل والمحاضرة ٩١ ، نهاية الأرب ٣/٨٦ ، معجم الشعراء ٣١٤ ، الـكامل ٢/٢٨٧ ، واقشعرت البلاد : أجدبت ، وصوح النبت : يبس وتشقق .

(٣) ديوانه ٢٧٧ .

(٤) الشمول : الخمر ، أو الباردة منها .

قال أبو العتاهية :

أذمُّ بَغْدادَ وَالْمُقَامَ بها ... من بَعْدِ ما خبرةٍ وتجريبِ
ما عند أمْلَاكِها لمرتَغبٍ[١] ... رِفْدٌ ولا فُرْجَةٌ لمكروب
خَلَّوْا سَبيلَ العُلَا لغَيْرِهِمُ ... وَنَازَعُوا في الفسُوقِ وَالحُوب
يحتاج راجى النّوال عندهمُ ... إلى ثلاث من غير تكذيبِ
كنوزِ قارونَ أن تكونَ له ... وعمرِ نوحٍ وَصَبْرِ أيوبِ[٢]

وقال آخر :

أما لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ كانَ[٣] علماً ... إذًا لنَفَذْتَ في علم الغيُوبِ
ومالك فى الغريب يدٌ ولكن ... تعاطيك الغريبَ من الغريبِ[٤]

وقال الناشىء :

لو كما تجهل تَدْرِى ... كنتَ للهِ[٥] رَسُولَا

وقال حماد بن الزبرقان[٦] فى حمّاد عَجْرَد :

نعم الفتى لو كان يَعْرِفُ ربَّه ... وَيقيمُ وقتَ صَلَاتِهِ حَمَّادُ
هدَلت[٧] مَشَافِرَهُ الشَّمُولُ فأَنْفُهُ ... مثلُ القَدُومِ يَسُنُّهَا الحَدَّادُ

---

(١) ب : لمرتقب .
(٢) لم أعثر على هذه الأبيات فى ديوانه المطبوع .
(٣) ا : عاد .
(٤) البيتان لأبى تمام ديوانه ٢٧ .
(٥) ب : والله .
(٦) ب : الزبير .
(٧) ب : هرلت . والأبيات فى الشعر والشعراء ٧٥٤ . وفيه : الدنان مكان الشمول .

وابيضَّ مِنْ شُرْبِ المُدَامَةِ وَجْهُهُ   فبياضُهُ يَوْمَ الحِسابِ سَوَادُ

وقال رَافِعُ بن إبْرَاهِيم اليَرْبُوعى :

ألستُم أقلَّ النَّاسِ تحتَ لوائِهِم   وأكْثَرَهُمْ عند الذبيحَةِ والقِدْر
وأمْسَاهُ بالشَّىْءِ المُحَقَّرِ بَيْنَهُم   وأعجزَهُم عند الجَسِيمِ من الأمْرِ (١)

وقال أعرابى :

العبدُ يجتنبُ الهِجَاءَ لشَيْنِهِ   ولك الهِجَاءُ إذا هُجِيتَ جَمَالُ
لم يبقَ عارٌ فى البَرِيَّةِ كلِّها   إلا وأخبثُ منه فيك يُقَالُ

وقال أبو عيينة (٢) :

خالدٌ لولا أَبُوه   كان والكَلْبُ سَوَاءْ
لو كَمَا يَنْقُصُ يَزْ   دَادُ إذًا نَالَ السَّماءْ
(٣ أنَا ما عِشْتُ عَلَيْهِ   أَسْوَأُ النَّاسِ ثَنَاءْ
إنَّ مَنْ كان مُسِيئًا   لحقيقٌ أنْ يُساءْ (٣)

وله أيضاً :

داود محمودٌ وأنتَ مُذَمَّمٌ   عَجَبًا لذاكَ وَأَنْتُمَا من عُودِ

---

(١) ورد البيت الأول فى حماسة أبى تمام ٢/٢٢٦ منسوبا إلى عويف القوافى .

(٢) هو أبو عيينة بن المهلب بن أبى صفرة كان من أطبع الناس وأقربهم مأخذا فى الشعر وأقلهم تكلفا ، انظر ترجمته فى الشعر والشعراء ١٥٨ ، معجم الشعراء ٢٦٧ .

(٣) ساقط من ب ، والأبيات فى الشعر والشعراء ٨٥٢ ، معجم الشعراء ٢٦٧ ، والأولان فى محاضرات الأدباء ١/١٦٣ ، والثانى فى التمثل والمحاضرة ٨٠ ، والأبيات قالها فى هجاء ابن عمه خالد بن يزيد والى جرجان .

ولربَّ عودٍ قد يُشقّ لمسجدٍ ... نصفاً وسائرُه لحُشِّ يهُودِ[1]

وقال الفرزدق :

أتَرْجُو[2] كُلَيْبًا أن تجيءَ صِغارُها ... بخيرٍ وقد أعيا عليك كِبارُها[3]

وقال أبو نواس :

لأبي نوحٍ رغيفٌ ... أبداً في حجرِ دايَهْ
برَّةٍ تمسَحُهُ الدَّهْـ ... ـرَ بكُمٍّ ووِقايَهْ[4]
وله كاتبُ سُوءٍ ... خطَّ فيه بعِنايَهْ
فسيكفيكهمُ اللّـ ... ـهُ إلى آخر الآيَهْ[5]

وقال فيه أيضاً :

أبو نوحٍ دخلتُ عليه يوماً ... فغدَّاني برائحةِ الطَّعامِ
فكان كمن سقَى الظمآنَ آلاً ... وكنتُ كمن تغدّى في المنامِ[6]

قال رجل خياط أعور لبعض الشعراء : والله لأخيطن لك قِباءً لا تدرى أقباءٌ

---

(١) الحش : المسلح والمخرج الذى يقضون فيه حوائجهم . وانظر البيتين فى محاضرات الأدباء ٦٢/١ الشعر والشعراء ٨٥٤ ، المستطرف ٣٨/١ ، ٣/٢ ، معجم الشعراء ٢٦٧ .

(٢) ب : ترجى .

(٣) نهاية الأرب ٧٢/٣ ، التمثيل والمحاضرة ٦٩ وفيه : ترجى ربيع .

(٤) ب : وقباية .

(٥) ديوانه ٣١٢ ، المحاسن والمساوىء للبيهقى ٢٠٢/١ .

(٦) الآل : السراب ، وانظر البيتين فى ديوانه ٢٨٩ ، عيون الأخبار ٦٤/١ .

هو أم دُوَّاج (١) ، فقال له : وأنا والله أقول فيك شعراً ، لا تدرى أمدح هو أم هجاء ، فلما خاطه له قال فيه :

خاطَ لى عَمْرٌو قِبَاءْ   ليت عَيْنَيْهِ سَوَاءْ
(٢ قل لمن يسمع هذا   أمديح أم هجاءْ ٢)

فلم يدروا ما أراد : صحة عينيه أم عماه .

ولرجل من بنى تميم :

أَمِنْ عوَزِ الرِّجالِ وَهُمْ كَثِيرٌ   حَبَاَ نصرٌ بإمْرَتِهِ(٣) عَقِيلاَ
فلو بكتِ المنابرُ من لئيمٍ   سَمِعْتَ لعودِ منبره عَوِيلاَ

وقال آخر :

من دون سَيْبِك لونُ ليلٍ مُظْلِمٍ   وحَفيفُ رائحَةٍ وكلبٌ مُرصَدُ
والضيفُ عندكَ مثلُ أسْودَ سَالِخٍ   لا بل أَحبُّهما إليك الأَسْوَدُ(٤)

وقال آخر :

ورِثْنَا المجدَ عن آباءِ صدقٍ   أَسَأْنَا فى ديارِهِمُ الصَّنِيعَا
إذا الحسبُ الرفيعُ تعَاوَرَتْهُ   بُنَاةُ السُّوءِ أوشَكَ أن يَضِيعَا(٥)

---

(١) القباء : ثوب يشبه العباءة ، والدواج : المعطف الثقيل .

(٢) ساقط من ب . وقد نسب البيتان فى العقد ٤١٠/٥ إلى بشار بن برد ، وانظرهما فى محاضرات الأدباء ٣١٨/٢ .

(٣) ب . بامرأته .

(٤) فى عيون الأخبار ٣٢/٢ : نافجة مكان رائحة ، وموسد بدل مرصد ، وهى مأخوذة من أوسد الكلب بالصيد أى أغراه ، والأسود السالخ : الافعى ، ووصف بالسالخ لأنه يسلخ جلده كل عام .

(٥) الكامل ٦٧/٢ ، عيون الأخبار ١١٢/٢ .

وأحسنُ من هذا :

لسْنَا وإنْ أحْسَابُنا كَرُمَتْ   يوماً عَلَى الأحْسَابِ نتَّكِلُ
نَبْنِي كما كانتْ أوائِلُنَا   تَبْنِي ونفعلُ مثلَ ما فَعَلُوا[1]

وقال آخر :

إن تلقَ ريبَ المنايا أو تُرَدِّفها[2]   لم نبْكِ منكَ على دينٍ ولا حَسَبِ

وقال آخر :

وإن تُصِبْك من الأيامِ قارِعةٌ   لم أبْكِ منك على دُنيا ولا دِينِ[3]

قيل لمسلمة : أجرير أشعر أم الفرزدق ؟ قال : الفرزدق يبني ، وجرير يخرب ، وليس يُقَوِّم الخرابَ شيءٌ .

قال أعرابي في سعيد بن سَلْم[4] :

مَدَحْتُ ابنَ سَلْمٍ والمديحُ مَهزَّةٌ   فكان كصفوانٍ عليه تُرابُ
لكلِّ أخِي مَدْحٍ ثوابٌ يُعِدُّهُ   وليس لمدحِ الباهليِّ ثَوَابُ[5]

---

(١) فى ا : نسير كما كانت أوائلنا تسير ، والرواية للشطرة الأولى فى نوادر القالى ١١٧ : لسنا وإن كرمت أوائلنا ، وقد نسب البيتان فى الكامل ١/٩٤ إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، ونسبا فى حماسة أبى تمام ٢/٣٣٩ إلى المتوكل الليثى ، وانظرهما فى زهر الآداب ١/٧٩ .

(٢) ب : تردقنا ، ا : تردفنا .

(٣) سبقت نسبته فى العقد ٦/١٧٦ لأبى وجرة مولى عبد الله بن الزبير انظر ص٥٢٢ ، وانظره بدون نسبة فى المصون لأبى أحمد العسكرى ٢١ ، وفيه : جائحة بدل قارعة .

(٤) ب : مسلم .

(٥) محاضرات الأدباء ١/١٨٤ ، الكامل ٢/٢٣ ، عيون الأخبار ٢/٣٢ ، مع تقديم الثانى على الأول ، العقد الفريد ١/٣١١ .

قال أبو بكر السّامرى :

يا شاعرًا يهتكُ من عَقْلِهِ   أضعافَ ما يهتكُ من عِرْضِى
إذا هجانى جاءنِى شِعْرُهُ   وبعضُه يضحكُ من بَعْضِ

وهذا الباب أكثر من الحصى والتراب .

بابُ العَقْـــل والحُمْق

أما العقلُ فقد أوردتُ في معناه واشتقاقه والدّلالةِ عليه ، وما جاء في ذلك من النثر والنَّظم كتاباً كافيا ، ونورد هاهنا من صفات العاقِل وَالأحمق ما تَحْسُن به المذاكرة ، ويجمل إيراده في المجالسة إن شاء الله تعالى .

ومن حديث ابن عمر ، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم : « لا يُعْجِبَنّكُم إيمانُ الرجل حتى تعلموا ما عقدةُ عقله »

وروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، أنه قال : « حقٌّ على العاقل أن يكون له أربع ساعات ، ساعة يحاسب فيها نفسَه ، وَساعة يناجي فيها ربّه ، وساعة يُفْضى فيها إلى إخوانه الذين يُخْبِرونه بعيوبه ، ويَصْدُقونه عن نفسه ، وساعة يخلى فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلُّ ويجمل ، فإن هذه الساعة عونٌ له على هـذه الساعات ، وإجمام[1] للقلوب . وحقٌّ على العاقل ألا يظعن[2] إلا في إحدى ثلاث : زادٌ لمعاده ، ومرمّة لمعاشه ، أو لذة في غير محرم . وعلى العاقل أن يكون عارفاً بزمانه ، مالكاً للسانه ، مقبلاً على شانه » .

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السّلام : أتدرى لم رزقتُ[3] الأحمق ؟ قال : لا . قال : ليعلَمَ العاقلُ أن الرزقَ ليس باحتيال .

---

(١) ا : إحكام .
(٢) ا : بظافر .
(٣) ا : خلقت .

قال النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلّم : « ثلاثٌ من حُرِمَهُنّ فقد حُرِمَ خيرَ الدنيا والآخرة : عقــلٌ يدارى به الناس ، وحِلمٌ يردُّ به السفيه ، وورعٌ يَحْجِزُه عن المحارم » .

افتخر رجلان عند علىّ بن أبى طالب رضى اللهُ عنه ، فقال : أتفتخران بأجساد بالية ، وأرواح فى النار ؟! إن يكن لـكما عقلٌ فلـكما أصل ، وإن لم يكن لـكما خُلُق فلـكما شرف ، وإن يكن لـكما تقوى فلـكما كرم ، وإلاّ فالحمار خير منـكما ، ولستما خيرًا من أحد .

وقال علىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه : العاقلُ من لم يَحْرِمْه نصيبُه من الدنيا حظَّه من الآخرة .

قال علىُّ بن أبى طالب فى وصيته لابنه : لا مالَ أعْوَدُ[1] من العقل ، ولا فقر أشدّ من الجهل ، ولا وِحْدة أَوْحَش من العُجْب ، ولا مظاهرةَ كالمشاورة ، ولا حَسَب كحسن الخلق .

كان يقالُ : إذا كان علم الرجل أكثرَ من عقله ، كان قمينًا أن يضرّه علمُه .

قال عمرُو بن العاص : ليس العاقلُ الذى يعرف الخير من الشر ، ولـكنه الذى يعرف خير[2] الشرين .

قال العُتْبىّ : العقلُ نوعان ، فأحدهما ما تفرد الله بصنعته ، والآخر ما يستفيده

(١) ا : أعدد .
(٢) ا : شر .

المرءِ بأدبه وتجربته ، ولا سبيلَ إلى العقل المستفاد إلاّ بصحة العقل المركب ، فإنهما إذا اجتمعا قوّى كلٌّ منهما صاحبَه ، كما أن النار فى الظلمة نور للبصر ، وأنشد :

إذا لم يكنْ للمرءِ عقلٌ يَزِينُهُ ... مع النّاس لَمْ يَجْعلْ له مُشْفقٌ عَقْلاَ[1]

وقال آخر :

ولا خيرَ فى حُسْنِ الْجُسُوم وَطُولِهَا ... إذاَ لم يَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ[2]

وقال أردشير بن بابك : نموُّ العقلِ بالعلم .

وكتب عمرُ بنُ عبد العزيز رضى الله عنه ، إلى بعض عماله : أمّا بعد ، فإنّ العقل الْمُفْرَدَ لا يُقْوى به على أمر العامّة ، ولا يُكتفى به فى أمر الخاصَّة ، فأَحْيِ عقلَك بعلم العلماء والأشرافِ من أهل التّجارب والمُرُوءات ، والسَّلام .

قال أيوبُ بنُ القِرِّيَّة : الناسُ ثلاثة : عاقلٌ ، وأحمقُ ، وفاجرٌ ، فالعاقل : الدّينُ شريعتُه ، والحلمُ طبيعتُه ، والرأيُ الْحَسَنُ سَجِيَّتُه ، إن نطق أصاب ، وإن سمع وعى ، وإن كُلّم أَجاب . والأحمق : إن تكلّم عجل ، وَإن حدّث وَهِل ، وَإن استُنْزِلَ عن رأيه نزل . وأما الفاجرُ : فإن ائتمنته خانك ، وَإن صحبته شانك .

قال مُطَرِّفُ بن الشِّخِّير : عُقولُ كلٍّ قوم على قَدْرِ زمانهم .

---

(١) مب : فليجعل له مشفقا عقلا

(٢) يروى ونبلها مكان طولها ، وقد نسب البيت فى البيان والتبيين ٢/٢٢٩ إلى مالك بن حمار الشمخى الفزارى ، وفى هامش أمالى القالى ١/٣٩ أنه لهذيل بن ميسر الفزارى ، وورد فى حماسة أبى تمام ٢/١٤ لرجل من بنى فزارة ولم يعينه ، ونسب فى معجم الأدباء ١٨/٣٠٦ إلى أبى العيناء .

كان يقالُ : ستّ خصال تُعْرَف فى الجْاهل : الغَضَبُ فى غير شَىْء ، والكلامُ فى غير نفع ، والعطيّةُ فى غير موضعها ، وإفشاءِ السِّر ، والثقةُ بكلِّ أحد ، ولا يعرف صديقه من عدوه .

قيل لابن شُبْرُمَة : ما حَدُّ الحمق ؟ قال : لاحدّ له .

سُئِل بعضُ الحكماء عن العقل ، فقال : الإصابةُ بالظُّنون ، ومعرفةُ ما لم يكن بما قد كان .

كان يحيي بن خالد ، يقول : ثلاثةُ أشياء تدلّ على عقول أربابها : الكتابُ على مقدار عقل كاتبه ، والرسولُ على مقدارِ عقل مُرْسِله ، والهديَّة على مقدار عقل مُهـديها .

قال ابن الأعرابى : سُمّى الرجلُ أحمق ، لأنه لا يميز كلامه من رعونته .

قال : والحُمْق أيضاً الكساد ، يقال : انحَمَقَتِ[1] السُّوق إذا كسدت ، ومنه الرجل الأحمق لأنه كاسدُ العقل لا يُنتفع برأيه ولا بعزمه . والحمق أيضاً : الغرور ، يقال : سرنا فى ليالٍ مُحَمِّقات ، إذا كان القمر فيهن يَسْتَتِر بغيمٍ أبيضَ رقيق ، فيغترُّ الناس بذلك يظنون أن قد أصبحوا فيسيرون حتّى يملوا .

قال : ومنه أُخذ اسم الأحمق لأنه يغرُّك فى أوّل مجلسه بتعاقله ، فإذا انتهى إلى آخر كلامه تبيَّن حُمْقُه .

---

(١) ب : حمقت ، وكلاهما وارد صحيح .

وقيل للرِّجْلَة البَقْلَةُ الحمقاء ، لأنَّها تَنْبُت فى مسيل الماء ، وفى طريق الإبل ، فهى أبدًا مَدُوسة .

وفى الخبر المرفوع : « للعاقل خصال يُعْرَف بها : يَحْلُمُ عمَّن ظلمه ، ويتواضعُ لمن هو مثله ، ويسابقُ بالبرِّ من هو فوقه ، وإذا رأى بابَ فرصةٍ انتهزها ، لايفارقُه الخوف ، ولا يصحبه العنف[1] ، يتدبَّر ثم يتكلَّم ، فإن تكلَّم غَنِم ، وإن سكت سَلِم ، وإن عرضت له فتنة ، اعتصم بالله ثم تنكَّبها ، وللجاهل خصالٌ يُعْرَف بها : يَظْلِمُ من خالطه ، ويتكلم بغير تَدَبُّر فيندم ، فإن تكلَّم أَثِم ، وإن سكتَ سَهَا ، وَإن عرَضت له فتنةٌ أَرْدَتْه ، وإن رأى بابَ فضيلةٍ أعرض عنها .

ذكر المغيرةُ بنُ شُعْبَة يومًا عُمَر بنَ الخطّاب رضى الله عنه ، فقال : كان والله أفضل من أن يَخْدَع ، وأعقل من أن يُخْدَع .

فى كتاب « كليلة ودمنة » : رأسُ العقلِ التمييزُ بين الكائن والممتنع .

قال الحجاج يومًا : العاقلُ من يعرف عيبَ نفسه ، قال عبد الملك : فما عيبُك ؟ قال : أنا حسودٌ حقود ، قال عبد الملك : مافى إبليسَ شرٌّ من هاتين .

قال الحسن البصرى : صلة[2] العاقل إقامةٌ لدين الله ، وهجران الأحمق قربة إلى الله ، وإكرامُ المؤمن خدمةٌ لله وتواضعٌ له .

---

(١) ب : التعنيف .

(٢) ا : ملة .

قال عبد الله بن الحسين[1] : حُمْقُ الرجل يفسد دينَه[2] ، ولا دينَ لمن لا عقل له . وكان لا يجيز شهادةَ الأحمق العفيف ، فكُلِّم في ذلك ، فقال : سأريكم . ودعا بحاجبه فقال : يا ممدودُ[3] ، انظر لي ما الرِّيح ؟ فخرج ثم رجع ، فقال : هي شمالٌ يَشُوبها شيء من الجنوب . فقال : أَتَرَوْنَ أن أجيزَ شهادة مثل هذا ؟ !

فقال أردشير : رضاءُ المرء عن نفسه دليل على عقله .

قال أنو شروان : ثقةُ الرجل برأيه ، وإقرارُه بتوفير عقله ، دليل على عقله .

قيــل :

هل ينتهي من أول الزَّجر أحمقُ

كان يقال : إذا تمّ العقلُ نقصَ الكلام .

قال علي بن أبي طالب : لا تؤاخِ الأحمق ، ولا الفاجِرَ ، أمّا الأحمقُ فمدخَلُه وَمَخْرَجُه شينٌ عليك ، وأما الفاجرُ : فيزيِّنُ لك فعلَه ، ويودُّ أنك مثله .

---

(١) كذا بالأصول ، وقد ورد في عيون الأخبار ١/١٧ أنه عبيد الله بن الحسن العنبري .

(٢) ساقطة من ا .

(٣) ا : مرود ، وسماه في عيون الأخبار : أبا مودود .

قال سابق :

المرءُ يجمعُ والزَّمانُ يُفـرِّقُ ... ويظلُّ يرقَعُ والخُطُوب تمزِّقُ

وَلِئَن يُعَادِي عاقلاً خـيرٌ له ... من أن يكون له صديقٌ أَحمقُ

وقال آخر :

عدوّك ذو العقل أبقى عليكَ ... من الصَّاحبِ الجاهلِ الأَحمقِ[1]

وذو العقل يأتى حِسَانَ الأمورِ ... ويَعمِد للأرشَـدِ الأوفقِ

وقال دعبل بن على الخزاعى :

عـداوةُ العاقل خـيرٌ إذا ... حُصِّلتَها من خُـلَّة الأحمقِ

لأَنَّ ذا العَقلِ إذا لم يَرِعْ[2] ... عن ظالمك استحيا فلم يَخْرُقِ

ولن ترى الأحمـقَ يُبقِي على ... دينٍ ولا وُدٍّ ولا يَتَّـقِي

وقال آخر :

عداوةُ العاقِلِ خيرٌ لِمَـنْ ... عَادَاهُ من وُدِّ امرئٍ جاهِلِ

بواثقُ الجاهِـلِ مَبثُوثةٌ ... وليس تَخشَاها من العاقِلِ

وقال صالح بن عبد القدوس :

ألا إنَّما الإنسانُ غِمـدٌ لعقلِهِ ... ولا خيرَ فى غِمدٍ إذا لم يَكنْ نَصْلُ

---

(١) التمثيل والمحاضرة ٣٠٦ ، فصل المقال ١٦٠ .

(٢) أى يتق ويحفظ ، مضارع ورع ، وفى الديوان ١٥٧ : إذا لم يزع عن حلمه

فإن كانَ للإنسان عقلٌ فإنَّه ... هو النَّصْلُ والإِنْسَان من بعدِهِ فَضْلُ

وقال أيضاً :

وما المرءُ إلاّ اثْنَان عقلٌ ومنطقٌ ... فمن فاتَهُ هذا وذاكَ فقد دَمَرْ

ولا سيَّما إن كانَ ممَّن نَصِيبُهُ ... من الدِّينِ والدُّنْيا قليلٌ إذا حَضَرْ

وقال ابن الرومى :

وليس عتابُ المرءِ للمرءِ نافعاً ... إذا لم يكنْ للمرءِ عقلٌ يعاتبه[1]

وقال آخر :

زعمتَ أبَا سهلٍ بأنّك جامعٌ ... فنوناً من الآداب يجمعُهَا الكَهْلُ

فهبْك تقولُ الحقّ أىُّ فضيلةٍ ... تكونُ لذى علمٍ وليس له عَقْلُ[2]

وقال آخر :

لكلّ امرئٍ شكلٌ من النّاسِ مِثْلُهُ ... فأَكْثرُهُمْ شكلاً أَقَلُّهُمْ عَقْلاَ

لأَنَّ صحيحَ العَقْلِ لَيْس بواجدٍ ... له فى طريقٍ حينَ يَسْلُكُهَا مِثْلاَ

ولا خيرَ فى طُول السِّبالِ[3] وَعَرْضِهاَ ... إذا اللهُ لم يجعلْ لِصَاحِبِهَا عَقْلاَ

---

(١) البيت فى المختار من شعر بشار ٩٢ بغير نسبة .

(٢) البيتان لأبى العباس الناشىء فى أبى سهل بن نوبخت ، زهر الآداب ٣/١٨٨ .

(٣) السبال : مقدم اللحية ، وانظر الأبيات فى الكامل ١/٣١٥ ، وفيه . وما الفضل فى طول .. الخ

وقال آخر :

قد عرفناك باختيَـــارِكَ إذ كَا ... ن دليـلاً عَلَى اللَّبيبِ اخْتِيَارُهْ[١]

وقال بشار بن برد :

وما أنا إلا كالزَّمان إذا صَحَا ... صَحَوْتُ وإن مَاقَ الزَّمَانُ أمُوقُ[٢]

وقال آخر :

وأنزلني طولُ النَّوَى[٣] دارَ غُرْبَةٍ ... إذا شئتُ لاقيتُ امرءًا لا أُشَاكِلُهْ

تحامقتُه حــتّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ ... ولو كان ذا عقلٍ لكنتُ أُعَاقِلُهْ[٤]

وقال آخر :

تحامقْ مع الحَمْقَى إذا ما لَقِيتَهُــمْ ... ولا تَلْقَهُمْ بالعقل إن كُنْتَ ذا عَقْلِ

فإنِّى رأيتُ المرءَ يَشْـــقَى بعقلِهِ ... كما كان قبل اليوْمِ يَسْعَدُ[٥] بالعَقْلِ

وقال أبو يزيد[٦] البَسْطَامِي رحمه الله :

ياذا الذى ليس له والدٌ ... يَسْعَى على الأرْضِ وَلا وَالِدَهْ

---

(١) العقد الفريد ٣/١

(٢) المختار من شعر بشار ٢١١ البيان والتبيين ١٨٩/١ .

(٣) ا : الشقا .

(٤) سبق البيت الأول وفى ص٢٣٤ انظر نسبته ومراجعه هناك ، وانظرهما أيضا فى محاضرات الأدباء ١٣٦/١ ، عيون الأخبار ٢٦/٣ .

(٥) ب : يسود . والبيتان لواصل بن عطاء رأس المعتزلة ، انظر معجم الأدباء ٢٤٧/١٩ .

(٦) ا : دريد ، تحريف . فهو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى ، زاهد مشهور ، له أخبار كثيرة فى الزهد ، وأقوال فى الحكمة والتصوف ، مات سنة ٢٦١ هـ . انظر فى ترجمته وفيات الأعيان ٢١٣/٢ .

قد ماتَ من قبلِهِم آدَمُ   فأيُّ نفسٍ بعدَه خالدَهْ
إن جئتَ أرضاً أهلُها كلُّهم   عورٌ فغمِّضْ عَيْنَكَ الْوَاحِدَهْ(١)

سمع عمر بن عبد العزيز رجلا يكنى أبا الْعُمَرَيْن ، فقال : لو كان لك عقل كفاك أحدهما .

قال الحسنُ : هجرةُ الأحمق قربة إلى الله تعالى .

قال منصورُ الفقيه :

أجالس كلاًّ وإن لم يكن   على ما أحبُّ سوى الأَمْوَقِ
فإنِّى أُجالِسُه مرَّةً   وأنهضُ عنه فلا نَلْتَقِي
فما نعمةٌ بعد تَقْوَى الإله   بأفضلِ من هجْرَةِ الأَحْمَقِ

قال بعضُ الحكماء : ينبغى للعاقلِ أن يَتَمَسَّك بستّ خصال : أن يحفظ(٢) دينه ، ويصونَ عِرْضَه ، ويصلَ رَحِمَه ، ويحفظَ جَارَه ، ويرعى حقّ إخوانه ، ويخزُن عن البذاء لسانَه .

كان الحسنُ البَصْرِىّ إذا أُخبر عن أحد بصلاح ، قال : كيف عَقْلُه ؟ ثم يقول : ما يتم دينُ امرئٍ حتّى يتمّ عَقْلُه .

روى أنه لما أهبط الله عزّ وجل آدَمَ إلى الأرض ، أتاه جبريلُ ، فقال : يا آدم !

---

(١) فصل المقال ١٩٨ .
(٢) ا : يحوط .

إن الله تعالى قد أحضرك ثلاثَ خصالٍ لتختارَ منهنّ واحدة ، وتخلِّيَ عن اثنتين .

قال : وما هنَّ ؟ قال : الحياءُ والدينُ والعقلُ : قال آدم : إني اخترتُ العقلَ .

قال جبريل للحياء والدين : ارتفعا فقد اختارَ العقل ، قالا : لا نرتفع . قال : ولم عصيتما ؟ قالا : لا ، ولكننا أُمِرْنا ألاّ نفارقَ العقلَ حيثُ كان .

كان يقال : لا تعتدّ بمن ليس له عُقْدَةٌ من عقل .

قال بعض الحكماء : وُكِّلَ الحرمانُ بالعقل ، والرزقُ بالْجَهْل ، ليخْتبر العاقلُ فيعلم أنّ الرزقَ ليس عن حيلة .

قيل لزُرْعَة بن ضَمْرَة : متى عَقَلْت ؟ قال : يومَ وُلِدتُ . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : مُنعتُ الثَّدى فبكيتُ ، وأعطيتُها فسكتّ .

قال الحَسَن : لأَنَا للعاقلِ المُدْبِر ، أرجَى منّى للأحمق المقبل .

قال الأوزاعى : قيل لعيسى عليه السلام يا رُوحَ الله ! أنت تبرئُ الأكمهَ والأبرصَ وتحيي الموتى بإذن الله ، فما دواءُ الأَحمق ؟ قال : ذلك أعيانى .

قال قيس بن الخطيم :

وبعضُ الداء ملتمَسٌ دَوَاهُ وَداءُ النَّوْكِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ[1]

---

(١) انظر ديوانه ٧٧ ، وفيه : ملتمس شفاه . ليس له شفاء ... حماسة أبى تمام ٢/٤٠ .

وقال آخر :

جنونُك مجنونٌ ولستَ بواجدٍ طبيبًا يُدَاوِى من جُنُونِ جُنُونِ[١]

وقال آخر :

قالوا جُننتَ بِمَنْ تَهْوَى فقلتُ لَهُمْ ما لَذَّةُ الْعَيْشِ إلاّ للْمَجَانِينِ
الحبُّ لا يَسْتَفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ وإنما يُصْرَعُ المجنون فى الحينِ

كان يقال : الأحمقُ بشأنه أعلمُ من العاقل بشأن غيره[٢] .

قال زيدُ بن أَسْلم ، قال لقمان لابنه : يا بنىّ لَئَنْ يُقْصيك[٣] الحكيم خيرٌ من أن يُدْنيك[٤] الأحمق .

قال عمرُ بنُ عبد العزيز : خُصْلَتَان لا تَعْدِمُكَ [إحداهما][٥] من الأحمق ، أو قال من الجاهل : كثرةُ الالتفاتِ ، وسرعةُ الجواب .

كانوا يُعَبِّرون عن الأحمق بالجاهل ، ومن ثم قالوا : غضب كسرى على عاقل فسجنه مع جاهل . يريدون سجنه مع أحمق ، ويُعَبِّرون أيضًا عن العاقل بالحليم ، قال الشاعر :

---

(١) عيون الأخبار ٢/٤٧ .

(٢) وردت هذه العبارة فى عيون الأخبار : الأحمق أعلم من العاقل إلخ ، وصححها فى الهامش كما ورد هنا .

(٣) ب : يضربك .

(٤) ب : يدهنك .

(٥) زيادة يستقيم بها المعنى .

فلا تَصْحَبْ أَخَا الجَهْلِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاه
فكم من جاهلٍ أَرْدَى حليماً حِينَ وَاخَاهُ
يقاسُ المرءُ بالمَرْءِ إِذَا مَا هُوَ مَاشَاهُ[1]

قال سهلُ بن هارون : ثلاثةٌ من المجانين وإن كانوا عقلاء : الغضبان ، والغيران[2] ، والسَّكران . قيل : فما تقولُ فى المنعظ ؟ قال :

وما شَرُّ الثَّلاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكِ الَّذِى لا تُصْبِحِينَا

قال ثمام بجيح : إذا قام ذكرُ الرجل ، ذهب ثلثا عقله .

قال محمود الوراق ، وقد نسب إلى ابن الزّيات :

ليس شىءٌ مما يدَبِّرُه العا قلُ إلاّ وفيه شىءٌ يُرِيبُهْ
فأخو العقل مُمْسِكٌ يتوقّى ويخافُ الدُّخول فيما يَعِيبُهْ
وَأَخُو الجَهْلِ لا يَقْدُرُ فى الأمْـ ـرِ وإن أَشْكَلَتْ عليه ضُرُوبُهْ
راكبٌ رَدْعَهُ كحاطِبِ[3] لَيْلٍ يخطئُ الأَمْرَ كلَّهُ أَوْ يُصِيبُهْ
تتأتّى له الأمورُ عَلَى الجَهْـ ـلِ إذا ما أرادها وتُجِيبُهْ

(١) عيون الأخبار ٣/٧٩ ، وورد البيت الثالث فيها أيضا ٣/٨ ضمن أبيات منسوبة إلى أبى العتاهية .
(٢) ب : والعريان .
(٣) ب : كخابط . وراكب الردع : من يمضى فى حاجته فيرجع خائبا ، وحاطب الليـل : المخلط الذى يصيب مرة ويخطىء أخرى .

وأخو العقل بعد ينتتيج الرأ ى فيرضى ومرة[1] يستريبه
وإذا صير البعيد قريبًا عاد فيه فازداد بعدًا قريبه
فهو الدهر شاخص القلب فكرًا ما تقضى همومه وكروبه

وقال آخر :

ألا إن عقل المرء عينا فؤاده فإن لم يكن عقل فلن يبصر القلب

[2] وقال آخر:

أرى زمنًا نوكاه أسعد أهله ولكنما يشقى به كل عاقل
مشى فوقه رجلاه والرأس تحته فكب الأعالى بارتفاع الأسافل [2]

وقال آخر :

عذلونى على الحماقة جهلًا وهى من عقلهم ألذ وأحلى
لو لقوا ما لقيت من حرفة العقـ ل لساروا إلى الحماقة رسلا
حمقى قائم[3] بقوت عيالى ويموتون إن تعاقلت هزلا

قال هشام بن عبد الملك : يعرف حمق الرجل بأربع : بطول لحيته ، وشناعة كنيته ونقش خاتمه ، وإفراط شهوته . فدخل عليه ذات يوم رجل طويل

---

(١) ساقطة من ا .
(٢) ساقط من ا . وانظر البيت الثانى فى البيان والتبيين ١/٢٤٦ .
(٣) ب : قائما .

الْمُثْنُون ، فقال هشام : أمّا هذا فقد جاء بواحـدة ، فانظروا أين الثلاث ؟ قالوا : ما كنيتك ؟ قال : أنا أبو الياقوتِ الأحمر. قالوا : فما نقشُ خاتمك ؟ قال : ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[1] .

وفى خبر آخر : أن معاويةَ جرت له مثل هـذه الحكاية ، إلاَّ أنَّ فى خبر معاوية ، قيل له : فما كنيتك ؟ قال : أنا أبو الكوكب الدرىّ . قيل له : فما نقش خاتمك ؟ قال : ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾[2]

قال يحيى بن الحكم الغزّال :

يُعرف عقلُ المرء فى أربعٍ   مِشْيَتُهُ أوَّلُهَا وَالْحَرَكْ
وَدَوْرُ عَيْنَيْه وألفاظُهُ   بعدُ عَلَيْهِنَّ يدورُ الْفَلَكْ[3]

وقال آخر :

طلبتُ الرِّزْقَ بِالْعَقْـلِ   من الْغَرْبِ إلى الشَّرْقِ
فلم يُكسِبْنِيَ الْعَقْـلُ   سوى البعـدِ من الرِّزْقِ
فأدبرتُ عن الْعَقْـلِ   وأقبلتُ عَلَى الْحُمْقِ
فلم أَتعبْ ولم أَنْصَبْ   ولم أَضْرَعْ إلى الْخَلْقِ

قال بعضُ الحكماء : من الحمق التماسُ الإخـوان بغير وفاء ، والتماسُ الآخرة

---

(١) سورة يوسف الآية ١٨ .

(٢) سورة النمل الآية ٤٥ .

(٣) العقد الفريد ٢/٢٤٣ .

بالرّياء[1] . والتماس مودة النِّساء بالغلظة ، والتماسُ العلم والفضل بالدَّعة والخفض .

سمع الأحنف رجلا يقول : ما أبالى أمُدِحْتُ أم هجيت . فقال : استرحتَ من حيث تعب الكرام .

قالت العرب : استراح من لا عقل له .

وقالت الفرس : مات من لا عقل له .

أنشدنى بعض شيوخى رحمهم الله :

كم كافرٍ باللهِ أَمْوَالُهُ ... تزدادُ أضعافًا على كُفْرِهِ
ومؤمنٍ لَيْسَ له دِرْهَمٌ ... يزدادُ إيمانًا على فَقْرِهِ
لا خيرَ فيمنْ لم يكن عاقلاً ... يمدُّ رِجْلَيْه عَلَى قَدْرِهِ

وقال آخر[2] :

ما إن يزالُ ببغدادٍ يُزَاحِمُنَا[3] ... على البراذين أَشْبَاهُ الْبَرَاذِينِ
أعطاهم اللهُ أمــوالاً منزَّلَةً ... من الملوك بلا عقلٍ ولا دينِ
ما شئتَ من بغلةٍ شَقْرَاءَ ناجيةٍ ... أو من أثاثٍ وقولٍ غيرِ مَوْزُونِ[4]

---

(١) ب : بالزنا .

(٢) هو عارق بن أثال الطائى ، كما فى البيان ١/٢٢١ .

(٣) ا : نرى جثثا .

(٤) ا : ومن أثاث وقول غير مأمون ، والبغلة الناجية : السريعة ، انظر الأبيات فى البيان والتبيين ١/٢٣١ ، ٢٣٢ و ٣/٢١٨ .

بابٌ من أَجْـوِبَـةِ الْحُمْق

وَمُراجعةِ السُّخَفَـاء ، وألفاظ النَّوْكى وَالْجُهَلاَء

استعمل معاوية رجلاً من كَلْب ، فذكر المجوسَ يوماً ، فقال : لعن اللهُ المجوسَ ينكحون أمهاتِهم ، واللهِ لو أعطيتُ عشرةَ آلاف درهم ، ما نكحتُ أُمّي . فبلغ ذلك معاوية ، فقال : قبحه الله أترونه لو زيد فعل ؟!!

قال أبو عبيدة : أُجْرِيَتِ الخيلُ فطلع منها فرسٌ سابق ، فإذا رجلٌ من النَّظَّارة يكرّ ويثب من الفرح ، فقال له رجل إلى جنبه : يا فتى ! هذا الفرسُ فرسُك ؟ قال : لا ، ولكنَّ اللجام لجامى .

أرسل رجلٌ من بنى عِجْل بن لُجَيْم فرساً فى الحلبة ، فجاء سابقاً ، فقال لابنه : يابنيّ ! بأيِّ شيء أسميه ؟ فقال : يا أبت افقأ عينه وسمه الأعور . قال الشاعر :

رَمَتْنِي بنُو عِجْـلٍ بِدَاءِ أَبِيهِمُ　　وَأَيُّ عبادِ اللهِ أَنْوَكُ من عِجْلِ
أَلَيْسَ أَبُوهم عَارَ عَـيْنَ جوادِهِ　　فأَضحتْ به الأَمْثَالُ تُضْرَبُ بالْجَهْلِ (١)

قال أبو كعب القاصّ فى قصصه : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى كبد حمزة ما علمتم ، فادعوا الله أن يطعمنا من كبد حمزة .

---

(١) انظر البيتين فى وفيات الأعيان ٢٨٦/١ ، المحاسن والمساوىء للبيهقى ٢٢٦/٢ .

وقال أيضاً فى قصصه : إن اسم الذئب الذى أكل يوسف كذا وكذا ، قالوا له : فإن يوسف لم يأكله الذئب ، قال : فهذا اسم الذئب الذى لم يأكل يوسف .

وتلا فى قصصه يوماً قول الله عز وجل : ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾[1] ، فقال : اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه .

قيل لبرذعة الموسوس : أيُّما أفضل غَيْلاَن أم مُعلّى ؟ قال : مُعَلّى ، قالوا : ومن أين ؟ قال : لأنه لما مات غيلان ، ذهب مُعَلّى إلى جنازته ، فلما مات مُعَلّى لم يذهب غيلان إلى جنازته .

رفع رجلٌ من العامة ببغداد إلى بعض ولاتها على جار له أنّه يتزندق ، فسأله الوالى عن قوله الذى نسبه به إلى الزندقة ، فقال : هو مُرْجِىءٌ قدَرِىٌّ نَاصِبِىٌّ رَافِضِى ، من الخوارج ، يبغضُ معاويةَ بن الخطاب الذى قتل علىّ بن العاص . فقال له ذلك الوالى : ما أدرى على أى شىءٍ أَحْسُدُك ؟ أعلى علمك بالمقالات ، أم على بصرك بالأنساب .

كان قوم من أهل العلم يتناظرون فى أمر معاوية وعلىّ ، ويذكرون أبا بكر وعمر ، وكان قريباً منهم رجل من العامة ، ينسب إلى أنه من أعقلهم ، وكان ذا سَبَلَةٍ[2] طويلة ،

---

(١) سورة إبراهيم الآية ١٧ .

(٢) السبلة بالتحريك : ما على الشارب من الشعر ، أو ما على الذقن منه إلى طرف اللحية .

فقال لهم : كم تطنبون فى أمر علىٍّ ومعاوية وفلان وفلان ! ! فقال له أحد القوم : وتعـرف أنت مَنْ على[١] ومعاوية وفلان وفلان [١] ؟ قال : نعم ! أوليس هو أبو فاطمة ؟ قال : وَمن كانت فاطمة ؟ قال : امرأة النبي صلى الله عليه وسـلم بنت عائشة أخت معاوية .قال : فما كان قصة علىّ ؟ قال : قتل فى غزاة حنين مع النبيِ صلى الله عليه وَسلّم .

دخـل رجلٌ من العامة الجهلة الحمقاء على شيخ من شيوخ أهل العلم ، فقـال : أصلح الله الشيخ ، لقد سمعتُ فى السوق الساعة شيئًا منـكرًا ، ولا ينـكره أَحد قال : وما سمعت ؟ قال : سمعتُهم يشتمون الأنبياء ! قال : ومن المشتوم من الأنبياء ؟ قال : سمعتُهم يشتمون معاوية . قال : يا أخى ليس معاوية بنبىّ . قال : فهبه نصف نبيٍّ لم يُشْتم .

قال عَمْرُو بن بَحْر : ذكرلى شيخٌ من الإباضية أنه جرى عنده ذكر الشيعة يومًا فغضب وشتمهم ، وأنـكر ذلك عليهم إنـكارًا شديدًا . قال : فأتيته يوما فسألته عن سبب إنـكاره على الشيعة وَلَعْنِهِ لهم فقال : لمكانِ الشين فى أول الـكلمة ، لأنى لم أجد ذلك قطّ إلا فى مَسْخُوط ، مثل شُوم وَشَرٍّ وَشَيْطَانٍ وَشِيص وَشُحّ وَشَغَبٍ وَشِغْبٍ وَشِرْكٍ وشَتْمٍ وَشِقَاقٍ وَشَطَرَنْج وَشَيْنٍ وَشانِى وَشَحْطٍ وَشوصَة وَشَوْكٍ وَشَـكْوَى وَشَنَآن . فقلت له : إن هـذا كثير ، ما أظنّ أن[٢] القوم يقيم الله لهم علمًا مع هذا أبدًا .

---

(١) ساقط من ا (٢) ب : هذا .

كان عندنا رجل شاهدناه ، وكان من جيراننا على غاية من الجهل والغباوة ، وكان إذا سلَّم من صلاته فى جماعة أو وحده ، يقول : السَّلاَم على الملكين الكاتبين لأبى بكر وعمر ، وكان ألثغ يجعل مكان الكاف تاء .

اشترى باقلُ ، وهو رجل من قيس بن ثعلبة عنزًا بأَحَدَ عَشَرَ درهمًا ، فقالوا له : بكم اشتريت العنز ؟ ففتح كفّيه وفرّق أَصابعه ، وأخرج لسانه ، يريد أحد عشر درهمًا ، فاما عيَّرُوه ، قال :

يلومونَ فى حُمْقِهِ باقِلاً ... كَأَنَّ الحماقَةَ لم تُخْلَقِ
فلا تُكْثِرُوا الْعَذْلَ فِى عِيِّهِ ... فَلَلْعِيُّ أَجْمَلُ بالأَحْمَقِ[1]
خروجُ اللسانِ وَفَتْحُ البَنَان ... أَحَبُّ إليْنَا من الْمَنْطِقِ[2]

ذكر الصّولى عن ابن الجوهرى ضروبًا من العِيّ والحماقة والجهل ، وكان له تسبيح ظريف يسبحه بإثر كل صلاة : سبحانك يا عالمين ، والحمد لله الأكرمين ، ولا إله إلا الله الطيبين ، والصلاة على النبي المباركين ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، ونسأل الله خير عوائق الأمور .

رأى معاويةُ بن مروان بن الحكم حمارَ طاحونةٍ فى عنقه جُلْجُل فى حانوت طحان ، فقال له : ما بال هذا الحمار فى عنقه جلجل ؟ فقال : أنا مشتغل فى علاجى وطلب

---

(١) ا : بالأموق .
(٢) الأبيات فى المحاسن والمساوىء ٢/٢٢٧ .

معيشتي خارج الحانوت ، وبحركة الجلجل أعرف وقوفَ الحمارِ فأحرِّكه للمشي ، فقال له معاوية : أرأيتَ إنْ وَقفَ الحمارُ وَحَرَّكَ رأسَه فتحرك الْجُلْجُل ؟ قال الطحان : وَمَنْ لحماري بمثل عقلِ الأمير ؟ !

ومعاويةُ هذا هو الذى أمر بغلق بابَ المدينةِ إذ انفلتَ له البازى .

قال طحطاح[1] لابنه يومًا : ما الذى تشتهى ؟ قال : رَأْسَيْ كبشٍ . فقال له أبوه : لا يكون للكبش رأسان ، قال : فرأسَ كبشين ، فضحك منه .

قيل لمخنث : مالكم تحلقون لحاكم ؟ فقال : إن الْبُرُدَ[2] لا تعرف إلا بحذف أذنابها .

دخل راكب البريد يومًا عَلَى المأمون ، فقال له : متى خرجت ، أو متى قدمت ؟ فقال له : بعد غد ياأمير المؤمنين . فقال له المأمون : فإذًا أتيتنا[3] وبيننا وبينك مرحلتان .

مَرِضَ رجلٌ من الأعراب ، فعَادَهُ جارُه ، وقال له : ما تجد ؟ قال : أشكو دُمَّلا أهلكنى ، وزكامًا أضرنى . قال له : فقد بَلَغَنَا أن إبليسَ لا يحسد عَلَى شيء من الأمراض إلاَّ عَلَى هاتين العلتين لما فيهما من الأجر والمنفعة . فأنشأ الأعرابى يقول :

---

(١) ب : سلطاح .
(٢) البرد : خيل البريد ، وكانت تقص أذنابها لتعرف فتسهل مهمتها .
(٣) ساقطة من ب .

أيحسدُنى إبليس دَاءيْنَ أَصْبَحَا ... بِرَأْسِى وَإِسْتِى دُمَّلاً وَزُكَامَا
فليتَهمَا كانَا بِهِ وَأَزيدُهُ ... رَخَاوَةَ زُبٍّ لا يطيقُ قِيَامَا[١]

وقال أبو نواس :

قد أَضَرَّتْ بى[٢] دَمَامِيـ ... ـلُ عَلَى الظَّهْرِ مُلِحَّهْ
لَيْتَهَا فى عَيْنِ مَنْ يَحْـ ... ـسَبُهَا مَالاً وَصِحَّهْ[٣]

سلم فزارة صاحب المظالم بالبَصرة على يساره فى الصلاة ، فقيل له فى ذلك ، فقال : كان على يمينى إنسان لا أكلمه .

وقال فزارة يومًا فى مجلسه : لو غسلت يدى مائة مرة ما تنظّفت ، أو أغسلها ... نين . وفيه يقول ابن المعذّل :

وَمن المظالِمِ أن تكو ... نَ عَلَى الْمَظَالِمِ يا فَزَارَهْ[٤]

تقدم رجل مع خصمه إلى قاض ، فقال : أصلح الله القاضى ، لى عند هذا الزانى ابن الزانيـة كذا وكذا . فقال القاضى لخصمه : ما تقول فيما سمعت من دعوى خصمك ؟ فقال : لا أعرف شيئًا فيما يقول ، وأنا منكر لما يدعيه . فقال للمدعى : هات بينة إن كان لك . فأتاه برجلين فجلسا بين يديه ، فقال لهما : بم تشهدان ؟

---

(١) البيتان لأعرابى يدعى أبا حكيمة ، انظر محاضرات الأدباء ١/٢٠٦ .
(٢) ب : به .
(٣) ديوانه ١٣٤ .
(٤) البيت فى يتيمة الدهر ٢/٢٣٤ ، وفيها : ومن المظالم أن قعدت . . الخ

قالا : نشهد أن لهذا الرجل على هذا الزانى ابن الزانية كذا وكذا لدعوى خصمه . فقال لهما : قد قبلتكما . قم يازانى ابن الزانية فأدّ ما شهدا به . فقال المشهود عليه : أيها القاضى ! إن كان هؤلاء استحلوا قذفى[1] وقذف أمى بجهلهم ، فما الذى استحللت به أنت ذلك منى ؟ فقال : والله يا ابن أخى[2] ما حسبت إلا أنه اسمك واسم أمك ، لأنك لم تنكر ذلك على خصمك ولا على شاهديْه .

مر قاض بواسط أو بحمص على السوق فى يوم رمضان ، فرأى رجلا قد صنع معزفًا ، فوقف عليه وقال : أيها الفاسق ! فى هذا الشهر المبارك تعمل آلاتِ اللهو وظروفَ الشرّ فقال : أصلح الله القاضى ، إنما هى مِقْلاة . قال : لعن الله الشيطان! ماحسبتها إلا مِعْزَفا ، فنهض شيئاً ثم عاد إليه ، فقال له : يا فاسق ! وكيف تكون مقلاة من خشب ؟ هذا محال . فقال له : يا قاضى ! إنى أطليها بالقار ، فلا تؤثر فيها النار . قال : صدقت ، ثم انصرف عنه .

وُلّى رجلٌ مقلّ قضاءَ الأهواز ، فأبطأ عليه رزقه ، وحضر عيد الأضحى وليس عنده ما يضحّى به ولا ما ينفق ، فشكا ذلك إلى زوجته ، فقالت له : لا تغتم ، فإن عندى ديكًا جليلا قد سمنتُه ، فإذا كان عيدُ الأضحى ذبحناه . فلما كان يومُ الأضحى ، وأرادوا الديك للذبح ، طار على سقوف الجيران ، فطلبوه وفشا الخبر فى الجيران ، وكانوا مياسير ، فرقّوا للقاضى ، ورثوا لقلة ذات يده ،

---

(١) ساقطة من ب .

(٢) ب : يا أخى .

فأهدى إليه كلّ واحـد منهم كبشاً ، فاجتمعت فى داره أكبش كثيرة ، وهو فى المصلى لا يعلم ، فلما صار إلى منزله ، ورأى ما فيه من الأضاحى قال لامرأته : من أين هذا ؟ قالت أهْـدى إلينا فلان وفلان — حتى سَمَّت جماعتَهم — ما ترى . قال: ويحك! احتفظى بديكنا هذا فما فدِىَ إسحاق بن إبراهيم [1] إلاّ بكبش واحد ، وقد فُدى ديكنا بهذا العدد .

(١) كذا بالأصول ، وهو يخالف المعروف من أن المفدى هو إسماعيل بن إبراهيم وليس إسحاق .

باب المُلَح وما به النَّفس تَرْتَاحُ من مُبَاح المُزَاح

قال الأَصْمَعِيّ : وُصِلتُ بالعلم ، وكسبت بالمُلَح .

قال عبد الرحمن بن أبي الزِّنَاد : قلت لأشعب : أنت شيخ كبير ، فهل رويتَ شيئاً من الحديث ؟ قال : بلى ! حدثني عِكْرمة عن ابن عبّاس ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : خصلتان من حافظ عليهما دخل الجنة . قلت : وما هما ؟ قال : نسيت أنا واحدة ، ونسي عكرمة الأخرى .

كان أشعبُ الطَّمع كثيرَ الإلمام بسالم بن عبد اللهِ بن عمر ، فأتاه يوماً وهو في حائط مع أهله ، فمنعه البوابُ من الدُّخولِ عليه من أَجْل عِياله ، وقال : إنَّهم يأكلون . فمال عن الباب ، وتسوَّر عليهم الحائط ، فلمَّا رآه سالم ، قال : سبحان الله يا أشعب ! على عيالي وبناتي تتسوَّر . فقال له : ﴿لقد عَلِمْتَ مَالَنَا في بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ، وإنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيد﴾[1] . فقال له : انزل يأتك من الطَّعام ما تريد .

أُخذ قومٌ في قطع ، فَقُدِّمُوا لضرب أعناقهم ، فقام منهم واحدٌ ، وقال : اللهَ اللهَ فيَّ ، فوالله ما كنت في شيء مما كانوا فيه ، وإنما كنت أشربُ معهم وأغنِّي لهم ، فقالوا : هاتِ فغنِّ لنا ، فارتجت عليه الأشعار إلاّ قول الشاعر :

عن المرءِ لا تسأَلْ وَسَلْ عن قَرِينِه ... فكلّ قرينٍ بالمُقَارِنِ مُقْتَدِي[2]

---

(١) سورة هود ، الآية ٧٩ .

(٢) محاضرات الأدباء ٣/٢ ، والبيت لعدي بن زيد العبادي كما في مجموعة المعاني ١٤ ، الدهر والشعراء ١٣٢ حماسة البحتري ٢٣٦ ، فصل المقال ٢٤٣ .

فقالوا[١] : صدق . اضربوا عنقه .

كان بعضُ أمراء خُرَاسان يتشاءم بالحُول ، فمتى رأى أَحْوَل ضربه بالسِّياط ، وربما ضرب بعضَهم خمسمائة سوط ، وحَدَثَ أنه ركب فى بعض الأيام ، فرأى أحولَ فأمر بضربه ، وكان الأحولُ جلداً ، فلما فرغ من ضربه ، قال له : أيها الأميرُ ! أصلحك اللهُ ، لِمَ ضربتنى ؟ قال : لأنى أتشاءم بالحُول . قال : فأينا أشدُّ شؤماً على صاحبه ، أنت رأيتنى ولم يصبك إلاّ خير ، وأنا رأيتك فضربتنى خمسمائة سَوْط ، فأنت إذاً أشد شؤماً . فاستحيا منه ولم يضرب بعده أحداً .

كانت فى سعيد[٢] بن فروخ بن القطان ، والد يحي بن سعيد الفقيه ، غفلة شديدة مشهورة ، فخرج يوم الجمعة وقد تهيأ للصلاة ، فلقى رجلا من أهل البصرة كثير المزاح ، فقال له : قد أخروا الجمعة إلى غد ، فقال : حسن . ورجع إلى منزله .

كان إسماعيل بن يَسَار[٣] الشاعر قد خفَّ على عروة بن الزبير[٤] حتى زامله مَرّةً فى بعض أسفاره ، فقال ليلةً فى سفره ذلك لغلامه : انظر هل اعتدل المَحْمِل ؟

---

(١) ب : فقال .
(٢) ساقطة من ب .
(٣) ب : بشار ، وهو تحريف ، انظر ترجمته فى الأغانى ٤/٤٠٨ — ٤٢٩ .
(٤) ساقط من ب .

فقال له الغلامُ : ماهو إلاّ معتدل ، فقال إسماعيل : والله ما اعتدل الحقّ والباطل قبل هذه الليلة ، فضحك عروة .

قال الأصمعيّ: قدم تاجرٌ من أهل الكوفة المدينة بأخمرة فباعها كلها إلاّ السُّود منها، فلم تَنْفق ، وكان صديقاً للدارمىّ الشاعر ، فشكا ذلك إليه ، وقد كان الدارمىّ تنسّك، وترك الشعر والغناء . فقال له : لاتهتمّ بذلك فإنّى سأنفقها لك حتى تبيع جميعَها إن شاء اللهُ تعالى ، ثم قال :

قل للمليحةِ فى الخمارِ[١] الأَسْوَدِ ... مَاذَا صَنَعْتِ بزاهِدٍ مُتَعَبِّدِ
[٢] قَدْ كَانَ شَمرَ للصَّلاَةِ ثِيَابَهُ ... حَتَّى عَرَضْتِ لَهُ بِبَابِ المَسْجِدِ
رُدِّى عَلَيْهِ صِيَامَهُ وَصَلاَتَهُ ... لا تَقْتُلِيهِ بِحَقّ دِينِ مُحَمَّدِ [٢]

فشاع قول الدارمىّ هذا فى الناس : وقالوا : رجع الدارمىُّ عن نُسُكه ، وعاد إلى فَتَكِه[٣] ، فلم يبق فى المدينة امرأةٌ ظريفة إلاّ ابْتَاعَتْ خماراً أسود حتى نفِدَ ما كان منها مع العراقى ، فلما علم الدّارِمىّ ذلك ، رجع إلى نسكه ولزم المسجد . والدارمىّ هذا أصله مكىّ ، ثم انتقل إلى المدينة زمن عمر بن عبد العزيز ، وعاش إلى خلافة بنىَ العباس ، وانقطع إلى عبد الصمد بن على وكان شاعراً مطبوعاً ، ترك ذلك وتنسك[٤] ، وهو القائل :

---

(١) ا : القناع .
(٢) ساقط من ب ، وانظر المستطرف ٢/٢٣ ، وفيات الأعيان ٣/٣٠٣ ، الأغانى ٣/٤٨ .
(٣) الفتك : المجون .
(٤) انظر فى ترجمته الأغانى ٣/٤٥ — ٥٠ .

ولما رَأيتُك أوليتَنى الْـ قَبِيح وَ باعَدْتَ عَنِّى الْجَمِيلاَ
تركتُ وِصالَكَ فى جانبٍ وَصَادَفْتُ فى النَّاسِ خِلاًّ بَدِيلاَ[1]

طُوَيْسٌ الذى تَضْرِب به العربُ المثلَ فى الشُّؤم ، هو رجلٌ من أهل المدينة مولى لبنى مخزوم ، واسمه عيسى بن عبد الله ، وهو أول من أظهر الخنا والمجون بالمدينة ، وكان مغنيا يضرب الدف ، وسئل عن مولده ، فقال : ولدت يوم مات النبى صلى الله عليه وسلم ، وفطمت يوم مات أبو بكر ، وَخُتِنت يوم قتل عمر ، وتَزَوَّجت يوم قتل عثمان ، وولد لى يوم قتل على [2] بن أبى طالب [2] فيقولون فى أمثالهم السّائِرة . أشأم من طُوَيْس[3] .

كان الشَّعبى يوماً جالساً فى مجلسه ، والناس يتناظرون فى الفقه عنده ، ومعه شيخ يطيل السكوت ، فقيل له يومًا[4] : لو سألت عن مسألة تنتفعُ بها ، فقال : إنى لأجد فى قفاىَ حِكَّةً ، أفترى لى أن أحتجم ؟ فقال الشعبى : الحمد لله الذى صرنا من الفقه إلى الحجامة .

مر بالشّعبى يومًا رجل يقود حماراً ، فقال له : ما اسْمُك ؟ قال : وَرْدَان . قال : وما اسم حمارك ؟ قال : عِمْران . قال الشعبى : واخلافاه[5] ! !

مر رجل معه كلب بابن أبى عتيق ، فقال له : ما اسْمُك ؟ قال : وثّاب .

---

(١) البيتان فى الأغانى ٣/٤٥ . (٢) ساقط من ب .
(٣) انظر ترجمته فى الأغانى ٣/٢٧ وما بعدها .
(٤) ساقطة من ب .
(٥) يعنى أن ذلك خلاف الذى يجب ، ولو تبودلت الأسماء لانتفت الغرابة .

قال : وما اسم كَلْبك ؟ قال : عَمْـرو . فقال ابنُ أبي عتيـق : واخلافاه ، وأنشـد :

وَلو هَيَّــــا لَهُ اللهُ من التَّوْفِيقِ أسْـبَابَا
لسَمَّى نَفْسَهُ عَمْـرًا وَسَمَّى الْـكَلْبَ وَثَّابَا[1]

أنشد رجل زَبَّان[2] السَّوَّاق ، قول إسماعيل بن يَسَار :

ما ضرَّ أَهْلَكِ لو تطوَّفَ عَاشِقٌ بِفنـاء بَيْتِـكِ أَو أَلَمَّ فَسَلَّما[3]

فبكى زَبَّان[2] ، وقال : لاشيء والله ، إلا الضَّجَر وسوء الخلق وضيق الصـدر ، وجعل يبكي ويمسح عينيه .

قيـل لمدنىّ : أما تتق اللهَ ، تؤذى جيرانك ؟! قال : فمن أوذى إذاً[4] ؟ أوذى من لا أعرفه ؟!

كان الفرزدق جالسًا فى حلقة الحسنِ رحمه الله ، فقال رجـل : يا أبا سعيد ! ما تقول فى الرجل يحكي عن غيره ، يقول : قال فلانٌ طلقتُ امرأتى ، وأعتقت عبدى ، وفعلت وفعلت ولا نيَّة له فى ذلك . فقال الفرزدق : يا أبا سَعيد : قد قلت

---

(١) محاضرات الأدباء ٢/٢٩٥ .
(٢) ا : ريان ، وانظر القصة والاختلاف فى هذا الاسم أيضاً فى الأغانى ٤/٤١٥ .
(٣) العقد الفريد ٣/٦٢ ، الأغانى ٤/٤١٤ .
(٤) ساقط من ا .

أنا في ذلك . فقال : وما قلت يا أبافِراس ؟ فليس كلُّ قول يؤخذ به .
قال : قلتُ :

ولستَ بمأخوذٍ بشيْءٍ تقولُهُ إذا لم تُعَمِّد[1] عاقدَاتِ العَزَائِمِ[2]

قال الحسنُ : صدق أبو فراس ، القول ما قال .

اعترض الإسكندرُ جيشه يوماً ، فرأى فيهم رجلا أعرج ، فأمر بإسقاطه ، فضحك الأعرج . فقال له الإسكندر : مم ضحكك ؟ وقد أسقطتك . فقال : تعجبا منك لحبك آلة الهروب ، وكراهتك آلة الوقوف ، لأن معي آلة الوقوف في الحرب وتسقطني ، فأمر بإثباته في خاصته ، [3]وأسنى رزقه[3] .

سمع ابن أبي عتيق يوما نُصيبًا الشاعر ، وكان أسود ، ينشد لنفسه :

وددتُ ولم أُخْلَقْ من الطَّيرِ أنّنِي أُعَارُ جَنَاحَيْ طائرٍ فأَطِيرُ[4]

فقال له ابن أبي عتيق : يا ابن أخي ! قل : غَاقِ تَطِرْ . شبهه بالغراب لشدة سواده .

هاج بأبي علقمة الأعرابيّ الدَّمُ ، فأتوه بحجَّام ، قال له : ياحجَّامُ ! اشدد قصبَةَ

---

(١) ا : تحاضر .
(٢) شرح ديوان الفرزدق ٨٥١ ، وفيه : بلغو بدل بشيء ، محاضرات الأدباء ١١٢/١ ، ١٣٠ .
(٣) ساقط من ا .
(٤) انظر البيت والخبر في الأغاني ٣٦٤/١ ، مع اختلاف في الرواية .

المِلْزَم(١) ، وأرْهف ظُبَة(٢) المشْرَط ، وأسرع الوَضْعَ ، وعجـل النَّزع ، وليكن شَرْطُك وخزاً ، وَمَصّك نهزاً . فقام الحجام ناهضاً ، وقال : انتظر حتى يأتيك ابنُ القِرِّيَّة فيحجمك .

قال الهيثمُ بن عدىّ : كنت يوماً بكُنَاسَة الكوفة(٣) إذ أنا برجل قد وقف على نخّاس الدَّواب ، فقال له : اطلب لى حِمَاراً ليس بالصغير المحتقَر ، ولا بالكبير المشتَهر ، إن خلا الطريقُ تدفق ، وإن كثر الزحام ترفق ، لا يصادم فى السَّوارى ، ولا يدخل تحت البوارى ، إن أقللتُ عَلَفَه صَبر ، وإن أكثرتُ له شكر ، وإن ركبته هام ، وإن ركبه غيرى نام . فقال له النخّاس : اصبر ياعبد الله ، فإذا مُسخ القاضى حماراً ، أصبتَ حاجتك إن شاء الله تعالى .

خطب أبو القطوف إلى قوم وَلِيَّةً لهم ، فأجابوه ، وقالوا : لَهَا من الضِّياع والمال كذا وكذا ، فما مَالُك أنت ؟ قال : إن كنتم صادقين فإنّ مالَها يكفينى وإياها ما عشنا ، فما سؤالكم عن مالى ؟!

وقال عبدُ الملك بنُ عبد الحميد الحارثى :

يا أُخْتَ كِنْدَةَ مَافِى شِرْبَ عُثْمَانِ ... وَأَزْمِعِى لِبَنِى عَوْفٍ(٤) بِهِجْرَانِ

---

(١) ب : الملدم ، والملزم كمنبر : خشبتان تشد أوساطهما بحديدة .
(٢) ب : طبه ، وظبة المشرط : حده .
(٣) الكناسة : محلة معروفة بالكوفة ، انظر معجم البلدان لياقوت ٢/٧٢ .
(٤) ب : بنى أود .

يا أُختَ كندَةَ سِيرِى سَيْرَ سَاخِطَةٍ ... كى تَنْتَوِى مُنْتَوَى(١) غَضْبَى وَغَضْبَانِ

يا أُختَ كِنْدَةَ ليس الرِّزْق فى يَدِه ... الرِّزْقُ فى يَدِ من لَوْ شَاءَ أَغْنَانِى

المـــاء فى دَارِ عُثْمَانٍ لَه ثَمَنٌ ... والخبزُ فيها له شَانٌ من الشَّانِ

عثمانُ يعلمُ أنَّ الحمدَ ذُو ثمنٍ ... لـكنّه يَشْتَهِى حمدًا بِمَجَّانِ(٢)

والناسُ أكيسُ من أن يَمْدَحُوا أَحَدًا ... حـتّى يَرَوا عِنْدَه آثَارَ إِحْسَانِ

اغسل يديك بأُشْنَانٍ وَأَنْقِـهِما ... غُسْلَ الجنابةِ من مَعْـرُوفِ عُثْمَانِ

وَاسْلَحْ عَلَى كلِّ عُثْمَانٍ مَرَرْتَ بِهِ ... إِلاَّ الخليفـةَ عثمانَ بنَ عَفَّانِ(٣)

وقال اللّيث الحجام :

حلقتُ بمُوسَى الْهجْرِ نَاصِيَةَ الصَّـدِّ ... وَأجريتُ مُشْطَ الصَّدِّ فى طُرَّةِ الوُدِّ

قصصتُ بمقراضِ الْقِلاَ حُجَّةَ الوَفَا ... فَجَبْهَـةُ رَأْسِ الوُدِّ مَـكْشُوفَةَ الْجِلْدِ

وشعر سِبَالِ الوَصْلِ صِرْتُ مُنَتِّفًا(٤) ... ظَلُومًا(٥) بمنقاش القطيعةِ وَالصَّـدِّ

وما زلتُ مَصَّاصًا بغـيرِ إِساءةٍ ... بمحجمةِ الخُلْفِ القَبِيحِ دَمَ الْوَعْدِ(٦)

---

(١) ا : يستوى سفرى .
(٢) ب : لمحان .
(٣) الأبيات الرابع والخامس والسادس فى وفيات الأعيان ٦/٦٧ ، والسادس والسابع فى نهاية الأرب ٣/١٠٨ ، محاضرات الأدباء ١/١٨٤ ، المستطرف ١/٩٨ ، عيون الأخبار ٣/١٥٩ .
(٤) ب : منقباً .
(٥) ا : طلوباً .
(٦) محاضرات الأدباء ٢/٥٦ .

وذكروا أن إبليس قال : ماذا أُلقى من أصحاب البلغم ؟ ينسونى ويلعنونى .

قال حُسَيْن المعروف بالجمل الشاعر : كان أحمد بن المدبِّر بدمشق يقصده الشعراءُ فمن مدحه بشعر جيد أثابه ، ومن مدحه بشعر ردىء وكل به من يحمله إلى الجامع فلا يفارقه حتى يصلى مائة ركعة . قال فدخلتُ عليه ، فقلت :

أَرَدْنَا فى أَبى حَسَنٍ مديحًا كما بالْمَدْحِ تُنْتَجَعُ الوُلاَةُ
فقالوا يقبل المِدْحَاتِ لـكنْ جوائزُه عليهنَّ الصَّلاَةُ
فقلتُ لهم : وما يُغْنِى عِيَالِى صَلاَتِى إِنَّمَا الشأْنُ الزَّكاةُ
ليأمرْ لِى بكسْرِ الصَّادِ منها فتضحى لى الصَّلاَةُ هىَ الصِّلاَتُ[1]

قال ، فقال لى : أخذت هذا من قول أبى تمام :

هنَّ الْحَمَامُ فإن كَسَرْتَ عِيَافَةً من حائِهِنَّ فإنَّهنَّ حِمَامُ[2]

قال الرِّيَاشى : خرج الناسُ بالبَصْرَة ينظرون هلالَ رمضان ، فرآه رجلٌ منهم ، ولم يزل يومئُ إليه حتَّى رآه غيرُه وعاينوه ، فلما كان هلال الفِطْر ، جاء الجارُ إلى ذلك الرجل ، فدقَّ عليه البابَ ، وقال له : تعال أخرجنا مما أدخلتنا فيه .

---

(١) الأبيات للحسين بن عبد السلام المصرى المعروف بالجمل والمتوفى سنة ٢٥٨ هـ ، انظر معجم الأدباء ١٠/١٢١ ، ١٢٢ زهر الآداب ٢/١٨١ .
(٢) ديوانه ١٤٠ .

باب الْمُزَاح إباحةً وَكَرَاهة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى لأَمْزَحُ ولا أقولُ إلا حقًّا » .

قال ابن عباس : المزاح بما يحسن مباح ، وقد مزح رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يقل إلاّ حقا .

قال غالب القطان : أتيت محمّدَ بن سيرين ، وكان مزاحاً فسألته عن هشام ابن حسان ، فقال لى : توفى البارحة ، أما شعرت ؟ فقلت [1] إنا لله وإنا إليه راجعون ! فضحك [2] وقال : ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ ، وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إلَى أَجَـلٍ مُسَمًّى﴾ [3] .

جاءت امرأة إلى الحَسَن ، فقـالت : إنى نذرتُ أن أهدِيَ البَصرة إلى مكة ، فقال : ويحك ! إن أهل البصرة لايدعونك تُهْدِي بَصْرتهم ، ولو تركوك ماقدرت ، كفِّرى عن يمينك .

وفى الحديث المأثور : « أنّ عيسى عليه السلام كان يَبْـكى ويَضْحَك ، وكان

(١، ٢) ساقط من ب.

(٣) سورة الآية الزمر ٤٢ .

يَحْـيِي عليه السّلام يبكي ولا يضحك ، فـكان خيرُهما المسيحَ عليه السلام » .

قال خليفةُ بن زيد : كان خليفةُ الأقْطَع مزاحاً ، وكان يقف عَلَى أيوب السِّخْتيانى فيمازحُه . قال حمَّاد : وجاء خليفةُ الأقطع يوماً إلىأيُّوب ، وأنا غلام بين يديه ، فقال له : يا أبا بكر متى (١ اسْتُحْدِثَ هذا ١) ؟! يعنى متى طلب هذا الحديث .

وروى هارون بنموسى الأعور عن سالم[٢] العلوىّ ، قال : قال لى الحسن : خلِّ بينَ الناسِ وبينَ هِلاَلهم حتى يراه معك غيرُكَ .

وكان شعبة يقول : سالِم العَلَوىّ يَرَى الهلال قبل الناس بليلتين .

قال الخليلُ بن أحمد : النَّاس فى سجن مالم يُمَازِحوا .

مزح الشعبى يومًا ، فقيل له : يا أباعمرو أفتمزح ؟! قالَ : إن لم يكن هذا متنا من الغمّ ، فداء[٣] داخلُه ، وهواء[٤] خارج .

كان محمد بن سيرين يداعب ويضحك حتى يسيل لعابه ، فإذا أردته عَلَى شيء من دينه كانت الثريّا أقرب إليك من ذلك .

أتت ابن سيرينامرأة الفرزدق شاكية ، فلما خرجت تمثل :

---

(١) ساقط من ب ، واستحدث هذا : إشارة إلى الغلام .
(٢) ا : سلم ، وكرر الاسم بعد ذلك صحيحا .
(٣) ب : فرا .
(٤) ب : فرا .

لقد أصبحتْ عِرْسُ الفَرَزْدَقِ نَاشِزًا ولو رَضِيَتْ زُبَّ استِهِ لاستَقَرَّتِ[1]

قيل لابن سيرين : إن قوماً يقولون من الشعر ما يوجب الوضوء ، فعجب من جهلهم ، وكان في المسجد ، فتمثل :

نبئتُ أَنَّ فتاةً كُنْتُ أخطبُهَا عُرْقُوبُهَا مثلُ شَهرِ الصَّوْمِ فى الطُّولِ[2]

ثم قام فاستقبل القبلة وكبر مفتتحا لصلاته .

وقال شعبة : أقيمت الصلاة فأنشدنا عمرو بن مُرَّة بيت شعر غَزِل ، ثم افتتح الصلاة ، وكان إمامهم .

وقد كره جماعة من العلماء الخوض فى المُزاح لما فيه من ذميم العاقبة ، ومن التوصل إلى الأعراض ، واستجلاب الضغائن ، وإفساد الإخاء .

كان يقال : لكل شىء بدء ، وبدء العداوة المُزاح.

كان يقال : لو كان المُزاح فحلا ، ما ألقح[3] إلا الشر

قال سعيد بن العاص : لا تمازح الشريف فيحقد ، ولا الدنىء فيجترىء عليك .

قال ميمون بن مهران : إذا كان المزاح أمام الكلام فآخره الشتم واللطام .

---

(١) البيت لجرير ، ديوانه ٨٨ ، زهر الآداب ١/١٤٩ ، وفيهما : رشح استه ، عيون الأخبار ١/٣١٧ وفيه : رمح .

(٢) المستطرف ٢/٢٦٥ ، زهر الآداب ١/١٤٩ ، عيون الأخبار ١/٣١٧ .

(٣) ا : ما أنتج .

قال جعفر بن محمد : إياكم والمُزاح، فإنه يذهب بماء الوجه .

كان خالد بن صفوان يكره المُزاح ، ويقول : يسعط أحدهم أخاه بأحرّ من الخَرْدل ويضحكُه بأصلب من الجندل[1] ، ويفرغ عليه أشد من غلى المرجل ، ويقول : مازحته .

قال إبراهيم النخعى : لا يكون المزاح إلا فى سخف أو بطر .

قال أبو هفان :

مَازِحْ صَدِيقَكَ[2] ما أَحبَّ مُزَاحاَ   وَتَوَقَّ مِنْه فى المزَاحِ جِمَاحاَ[3]
فلرُبَّماَ مَزَحَ الصَّدِيقُ بِمزْحَةٍ   كانَتْ لِبَابِ[4] عَدَاوَةٍ مِفْتاحاَ[5]

وقال ابن وكيع :

لا تمزحَنَّ فإنْ مَزَحْتَ فلا يَكُنْ   مَزْحاً تُضَافُ به إلى سُوءِ الْأَدَبْ
وَاحْذَرْ مُمَازَحَةً تَعُودُ عَدَاوَةً   إنَّ المزَاحَ عَلَى مُقَدِّمَةِ الغَضَبْ[6]

ولأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى :

لى صاحبٌ لَيْسَ يَخْلو   لسَانُهُ عَنْ جِرَاحِ

---

(١) ساقط من ب .   (٢) ا : أخاك .
(٣) ا : مزاحا .   (٤) ا : لبدء .
(٥) نهاية الأرب ٧٤/٤ ، فصل المقال ١٠٠ .
(٦) نسب البيتان فى معجم الأدباء ٢٨٣/١٩ إلى هبة الله البغدادى

يجيد تمزيق عرضي على سبيل المزاح[1]

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إياكم وكثرة الضحك ، فإنه يميت القلب ، ويذهب بنور الوجه » .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من كثر ضحكه استُخِفَّ به وذهب بهاؤه .

وقال غيره من الحكماء : إياك والمشي في غير أَرَب ، والضحك من غير سَبَب .

قال قتيبةُ بن مُسْلم لبنيه : لا تمازحوا فيَسْتَخِفّ بكم ، ولا تدخلوا الأسواق فترِقَّ أخلاقكم ، ولا تبخلوا فيزدريكم[2] أكفاؤكم .

قال أبو موسى بن الحسن بن عبد الصمد بن علي بن المعتصم :

الْكِبرُ ذلٌّ والتّواضُعُ رِفْعَةٌ ... وَالَمزْحُ وَالضّحِكُ الكثيرُ سُقُوطُ
والحرصُ ذُلٌّ وَالْقَنَاعَةُ عِزَّةٌ ... واليأسُ من صُنْعِ الإلٰهِ قُنُوطُ

وقال آخر :

فإياك إيَّاكَ المُزَاحَ فإنَّه ... يُجَرِّى عليك الطِّفْلَ وَالدَّنِسَ النَّذْلا

---

(١) محاضرات الأدباء ١/١٣٧ .

(٢) ا : فيزخرى بكم .

(١ ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ... وَيُورِثُهُ من بعد عِزّته ذُلاً ١)

وقال آخر :

ما أقبح الكَذِبَ المذمومَ صاحِبُهُ ... وَأَحْسَنَ الصِّدْقَ عند الله والنَّاسِ

وقال آخر :

للجِدِّ ما خُلِقَ الإنْسَانُ فَالْتَمِسْ ... بالجِدِّ حَظَّكَ لا بالْهَزْلِ واللَّعِبِ

لا يلبثُ الْهَزْلُ أَن يَجْنِى لِصاحِبِه ... ذَمًّا ، وَيُذْهِبَ عَنْهُ بَهْجَةَ الأَدَبِ

لا خيرَ فى الهَزْلِ فَاتْرُكْهُ لِقَائِلِهِ ... واهْرُبْ بِعِرْضِكَ مِنْهُمْ أَوْشَكَ الهَرَبِ

وقال محمود الوراق :

تَلْقَى الْفَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ ... فى لَحْنِ مَنْطِقِهِ بِمَا لاَ يُغْفَرُ

ويقولُ كنتُ مُمَازِحاً وَمُلاَعِباً ... هيهَاتَ نَارُكَ فى الْحَشَا تَتَسَعَّرُ

أَلْهَيْتَنَا وَطَفِقْتَ تَضْحَكُ لاَهِياً ... عَمَّا بِهِ وَفُؤَادُهُ يَتَفَطَّرُ

أو ما علمتَ ومثل جهلكَ غالبٌ ... أن المزاح هو السِّباب الأكبر(٢)

فهؤلاء كرهوا المزاح وذموه ، ولم يستثنوا منه قليلا من كثير ، وأما منصور الفقيه فنهى عن الإكثار منه ، فقال :

لا تُكْثِرَنَّ مِنَ الْفُكَا ... هَةِ فى حَدِيثِكَ وَالدُّعَابَهْ

---

(١) ساقط من ب ، ويروي البيتان بروايات أخرى ، انظر حماسة البحترى ٤٠١ ، محاضرات الأدباء ١/١٣٦ ، المستطرف ٢/٢٩٣ ، نهاية الأرب ٤/٧٤ .

(٢) العقد الفريد ٦/٣٢ .

وَدَعِ الْغَرِيبَ مِنَ الْكَلاَ ... مِ لِأَهْلِهِ عِنْدَ الْخِطَابَهْ
وَإِذَا أَصَبْتَ فَكُلُّ مَا ... أَغْفَلْتَهُ دُونَ الإِصَابَهْ

وقد أكثر أهل الأدب فى المُزاح من النظم ، واختلق ابن وكيع أكثر ذلك ، ورأيت الاقتصار فيه على الاختصار أولى من الإكثار .

كان المأمونُ يعجبه قول القائل :

أُخُو الجِدِّ إِنْ لاَقَاكَ أَرْضَاكَ جِدُّهُ ... وَذُو بَاطِلٍ إِنْ شِئْتَ أَلْهَاكَ بَاطِلُهْ[1]

---

(١) البيت فى حماسة أبى تمام ٢/٦١ ، الكامل ١/٢٢٢ .

بابُ مدحِ الصِّدْقِ والأمانة ، وذمِّ الكذبِ والخيانة

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : « المؤمنُ إذا حدَّث صَدَق ، وإذا وعد أنجز ، وإذا اؤتُمِنَ وفى ، والمنافقُ إذا حَدَّثَ كَذَب ، وإذا وَعَدَ أخلف ، وإذا اؤتُمِنَ خان » .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : « لا تزالُ أُمّتي بخير ما اتّخذوا الأمانَةَ مغنماً ، والصدق مَغْرَما » .

قالت عائشة رضي الله عنها ، قلت : يا رسول الله ! بِمَ يعرف المؤمن ؟ قال : « بوقاره ولين كلامِه ، وصدقِ حديثه » .

وقال صلى الله عليه وسلّم : « أَدِّ الأمانَة إلى من ائتمنك ، ولا تَخُنْ من خانك » .

وقال سعدٌ : كلُّ الخصال يُطبع عليها المؤمن ، إلاّ الخيانة والكذب .

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : من كانت له عند الناسِ ثلاثٌ وجبت له عليهم ثلاث : من إذا حدَّثهم صدقهم ، وإذا ائتمنوه لم يَخُنْهم ، وإذا وَعَدَهم وَفَى لهم ، وجب له عليهم أن تحبه قلوبُهم ، وتنطقَ بالثناء عليه ألسنتهم ، وتظهرَ له معونتهم .

قيل للقمان الحكيم : ألستَ عبدَ بني فلان ؟ قال : بلى . قيل : فما بلغ بك

ما ترى ؟ قال : تقوى الله ، وصدقُ الحديث ، وأداء الأمانة ، وتركُ مالا يعنيني .

قال نافعٌ : طاف ابنُ عُمَر سبعاً ، وصلى ركعتين ، فقال له رجل من قريش : ما أسرعَ ما طفتَ وصليتَ يا أبا عبد الرحمن وخرجتَ ! فقال ابن عمر : أنتم أكثر منا طوافاً وصياماً ، ونحن خيرٌ منكم ، نحن نلتزمُ صدقَ الحديث ، وأداء الأمانة ، وإنجازَ الوعد .

قال محمود الوراق :

اصْدُقْ حَدِيثَكَ إِنَّ فِي الصِّدْقِ الْخَلَاصَ مِنَ الدَّنَسْ
وَدَعِ الْكَذُوبَ لِشَأْنِهِ خَيْرٌ مِنَ الْكَذِبِ الْخَرَسْ] (١)

وقال منصور الفقيه :

الصِّدْقُ أَوْلَى مَا بِهِ دَانَ امْرُؤٌ فاجْعَلْهُ دِيناَ
وَدَعِ النِّفَاقَ فَمَا رَأَيْتُ منافقاً إلَّا أُهِينَا

وله أيضاً :

الحمدُ لله شُكْراً فالشُّكْرُ أَيْسَرُ حَقِّهْ
أمْسَى الصَّدُوقُ (٢) كثيراً الـعدوِّ من أجْلِ صِدْقِهْ

(١) هذه الصفحة وما قبلها ساقطة من ب .

(٢) ب : الصديق .

وقال أبو العتاهية :

الحمد لله كلٌّ ذو مُكَاذَبَةٍ   أمْسَى التَّصَادُقُ لا يُسْقَى به المَاءُ[١]

قال الحسن البصرى : لا تستقيم أمانة رجل حتى يستقيم لسانه ، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه .

كان يقال : كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة .

قال الشاعر :

إنّ الأميرَ إذا اسْتَعَانَ بخائنٍ   كان الأميرُ شَرِيكَهُ فى المَأْثَمِ

قال الفِرْيَابى[٢] : كنت عند الأوزاعى إذ جاءه رجل فقال : يا أباعمرو ! هذا كتاب صديقك فلان من بلد كذا ، وهو يقرأ عليك السلام . فقال له : متى قدمت ؟ قال : أمس . قال : ضيعت أمانتك لا كثر الله فى المسلمين أمثالك .

قال الشاعر :

إذا أنت حَمَّلْتَ الخَئُونَ أمانةً   فإنَّكَ قد أَسْنَدْتَهَا شَرَّ مُسْنَدِ[٣]

---

(١) ديوانه ٩ .

(٢) ب : القرياني ، وهو تحريف ، فهو أبو عبدالله محمد بن يوسف الفريابى ، صاحب النووى والأوزاعى ، انظر مشتبه النسبة للذهبى ٢/٥١٤ .

(٣) محاضرات الأدباء ١/١٤١ ، المستطرف ١/٢٧ .

وقال محمود الوراق :

تَصَنَّعَ كَىْ يُقَالَ له أمِينٌ ... وما معنى التَّصَنُّع للأَمَانَهْ[1]
ولم يُرِدِ الإلٰهَ به ولٰكِنْ ... أرادَ به الطَّرِيقَ إلى الخِيَانَهْ[2]

وقال آخر :

هو الذِّئْبُ أو لَلذِّئْبُ أوْفَى أمَانَةً ... وما مِنْهُمَا إلا أذَلُّ خَئُــونُ

استراح رجل إلى جليسٍ له فى السلطان ، فرفع ذلك عليه ، فلما أوقف السلطان ذلك القائل على قوله ، أنكر أن يكون أحد سمع ذلك منه ، فقال : بل فلان سمع ذلك منك ، فهل تَرْضى به ؟ قال : نعم . فكشف الستر عن الرجل ، فقال : بلى . أنت قلت ذلك لى ، فسكت المرفوع عليه ساعة ، ثم أنشأ يقول :

أنت امرؤٌ إمّا ائتمنتكَ خَالِيًا ... فخنتَ وإمّا قلتَ قولاً بِلاَ عِلْمِ
فأنتَ من الأمْرِ الّذِى قلتَ بَيْنَنَا ... بمنزلةٍ بينَ الخِيَانَةِ والإثْمِ[3]

أنشدنى على بن إسماعيل لنفسه :

لا يُرَى إلا لِدُنْيَا طَالِبًا فيها دِيَانَهْ

---

(١) ب : والأمانة .

(٢) محاضرات الأدباء ١/١٦٩ ، العقد الفريد ٢/٢٢٦ ، وفيه . تصوف كى يقال ، وما يعنى التصوف الخ .

(٣) البيتان لعبد الله بن همام السلولى ، انظرهما والقصة فى حماسة أبى تمام ٢/٩ ، وانظر مجموعة المعانى ٧١ ، محاضرات الأدباء ١/١٩٠ .

وإذا قيـــل أَمِينٌ   قد تَحَـلّى بالأَمَانَهْ
وَقَعَ التَّحْصِيـلُ مِنْـهُ   بين غدْرٍ(١) وَخِيَـانَهْ

وقال آخر :

لا يخونُ الأَمِينُ شيئاً ولـكن   رُبَّمَا تَحْسَبُ الْخَؤُون أَمِينَا

وقال آخر :

أَلاَ رُبَّ مَنْ تَعْتَدُّهُ لك ناصِحاً   ومؤتمنا بالْغَيْبِ غَـيرُ أَمِـينِ(٢)

وقال أبو يعقوب الخُرَيمى :

يا لَلرِّجَالِ لقَـومٍ قد بَلَوْتُهُمُ   أرى جِوَارَهُمُ إحـدى البَلِيَّاتِ
ماذا تظنُّ بقومٍ خـيرُ كَسْبِهِمُ   مُصَرَّحُ السُّحْتِ سَمَّوْهُ الأمَانَات

وفى الحـديث المرفوع : « الصـدق يهدى إلى البرّ ، والبرُّ يهدى إلى الجَنَّة ، والـكذبُ يهدى إلى الفُجُور ، والفُجُور يهـدى إلى النّار » .

يقال : صَدَق وبرّ ، وكذب وفجر .

قال بعض الحـكماء : من عُرِف بالصـدق جاز كذبه ، ومن عُرِف بالـكذب لم يَجُـزْ صدقه .

---

(١) ا : عذر ،

(٢) نسب البيت فى حماسة البحترى ٢٧٨ إلى عبد الله بن همام السلولى ، وانظره فى محاضرات الأدباء ٦١/١ ، وفيات الأعيان ١٩٦/٦ ، وفيه : ألارب من تغتشه لك ناصح ومؤتمن ... الخ

وقال محمود الوراق :

إذا عُرِف الكذّابُ بالكذْب لم يكن لدى النّاسِ ذَا صِدْقٍ وإن كان صادِقاً
ومن آفةِ الكذّاب نسيانُ كِذْبِه وتلقاهُ ذا حفظٍ إذا كان حاذِقاً

وقال آخر :

لا يكذبُ المرء إلاّ مِنْ مَهَانَتِهِ أو عَادَةِ السُّوءِ أو مِنْ قِلَّةِ الْأَدَبِ(١)

قال بعضهم : ما أرانى أُوجَر فى ترك الكذب . قيل له : ولم ؟ قال : لأنى أدعه اتقاء(٢) .

قالوا : الصدق عز ، والكذب خضوع(٣) .

قال الحسن : خرج عندنا رجل بالبصرة ، فقال : لأكذبن كذبة يتحدث بها الوليد ، قال الرجل : فما رجعت إلى منزلى حتى ظننت أنها حق لكثرة ما رأيت الناس يتحدثون بها .

وقال كعب بن زهير :

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إلى ذَمِّهِ ذَمُّوهُ بالْحَقِّ وبِالْبَاطِلِ
مقالةُ السُّوءِ إلى أَهْلِهَا أَسْرَعُ من مُنْحَدِرٍ سائِلِ(٤)

---

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٤٨ ، المستطرف ٢/١٠ ، المختار من شعر بشار ٢٢٨ ، من غير نسبة .
(٢) ا : إتقاء .
(٣) ا : الصدق عدو الكذب .
(٤) سبق البيتان فى ص ٤٠١ وبالإضافة إلى المراجع المذكورة فيها ، انظرهما مع أبيات أخرى فى لباب الآداب ٣٦٠ ، البيان ٢/٣٢٩ ، وقد نسب بعض هذا الشعر فى المنتحل ١٠٩ إلى الحكم بن قنبر .

قال لقمان لابنه : يا بنى ! احذر الكذب فإنه شهى كلحم العصفور ، من أكل شيئا منه لم يصبر عنه .

عوتب بعض الأعراب على الكذب ، فقال للذى عاتبه : والله لو غرغرت به لهاتك ما صبرت عنه .

وقال الأصمعى : قيل لكذّاب : ما يحملك على الكذب ؟ فقال : أما إنك لو تغرغرت به مرة ما نسيت حلاوته .

قيل لكذاب : هل صدقت قط ؟ قال : أكره أن أقول لا فأصدق .

قال جميل العُذْرِى :

لحا اللهُ من لا ينْفَعُ الوُدُّ عِنْدَهُ ... وَمَنْ حَبْـلُهُ إنْ مُدّ غَيْرُ مَتِينِ

وَمَنْ هُوَ ذُو لَوْنَيْنِ لَيْسَ بدائم ... عَلَى خُلُقٍ خوَّانُ كلِّ أمِينِ[1]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أد الأمانة لمن ائتمنك ، ولا تخن من خانك».

(١) حماسة أبى تمام ١/١٢٥ ، ١٢٦ .

بابُ الحَقِّ والباطل

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « الحقُّ ثقيلٌ ، فمن قصّر عنه عجز ، ومن جاوزه ظلم ، ومن انتهى إليه فقد اكتفى » . ويروى هذا لمجاشِعِ بنِ نَهْشل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يبطل حق امرىء وإن قَدُم » .

وقال عليه السّلام : « رحم الله عمرَ بن الخطّاب ، تركَه الحقُّ ليس له صَديق » .

لما استَخلف أبو بكر عمرَ ، قال لمُعَيْقِيب الدَّوْسِي(١) : ما يقول النّاس في استخلافي عُمر ؟ قال : كَرِهَه قومٌ ، ورضيه آخرون . قال : فالذين كرهوه أكثر أم الذين رَضُوه ؟ قال : بل الذين كرهوه . قال : إن الحقّ يبدو كريهاً وله تكونُ العاقبة ، والعاقبةُ للتقوى .

قالوا : من قَصَد إلى الحقّ اتسعت له المذاهبُ حُجة ، ومن تعداه ضاق به أمرُه ، وما هلك امرؤٌ عرف قدرَه .

قالوا : الحكمةُ تدعو إلى الحق ، والجهلُ يدعو إلى السَّفَه ، كما أنّ الحجةَ تدعو إلى المذهب الصَّحيح ، والشُّبْهة تدعو إلى المذهب الفاسد .

---

(١) هو معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي الأزدي ، كان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ، واستعمله أبو بكر وعمر على بيت المال ، ومات في خلافة عثمان سنة ٤٠ هـ . انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٥٤،١٠ ، الإصابة الترجمة ٨١٦٦ .

قال بعضُ الحكماء : من جَهْلِك بالحق والباطل ، أن تريد إقامةَ الباطل بإبطال الحق .

قال أعرابىٌّ ، وقد ذُكِرَ عنده الإصلاحُ والإفساد ، فقال : لا تَمْنَعَنّ كثيرًا من حَقّ ، ولا تضعنّ قليلا فى باطل ، فما حُرِّك حقٌّ وباطلٌ إلا كان لهما شهود .

قال بعضُ الحكماء : لا يُعَدُّ الرجل عاقلا ، حتى يَستكمل ثلاثًا : إعطاء الحق من نفسه فى حال الرِّضا والغضب ، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه ، وألاّ ترى له زلّة عند ضَجَرِه . وقد تقدَّم قولُ أبى العتاهية فى باب الرّجاء والخوف :

ومن ضاقَ عَنْهُ الحقُّ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهْ[1]

ولأبى العتاهية أيضًا :

الباطلُ الدَّهْرَ يُلْفَى لا ضِيَاءَ لَهُ   والحقُّ أَبْلَجُ فيه النُّورُ يَأْتَلِقُ[2]

لما احتُضِرَ أبو بكر الصِّدِّيق ، أرسل إلى عمرَ ، فقال . يا عمرُ ! إن وُلّيت على النّاس فاتق الله ، والزم الحق ، فإنما ثَقُلت موازينُ من ثقلتْ موازينُهم يوم القيامة باتّباعهم الحقّ فى الدنيا وثِقْلِه[3] عليهم ، وحقّ لميزان إذا وُضع فيه الحقّ غداً أن يكون ثقيلا ، وإنما خفتْ موازين من خفت يوم القيامة ، باتباعهم الباطل فى الدُّنيا

(١) عجز بيت صدره : ومن لم يثق بالله لم يصف عيشه . ديوانه ١٠ .

(٢) ديوانه ١٧٢ .

(٣) ب : وثقلت .

وَخِفّتِه عليهم ، وحُقَّ لميزان وُضع فيه الباطلُ أن يكون خفيفًا ، واعلم أنّ لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار . وعملاً بالنهار لا يقبله باللّيل ، وأنه لا يقبلُ نافلةً حتى تؤدى الفريضة ، وأن الله — عزّ وجل — ذكر أهلَ الجنّة بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذَكَرْتُهُم قلتُ : إنّي لخائف ألاّ أَلْحقَ بهم ، وأنالله — عزّ وجل — ذكرَ أهلَ النار بأسوأ أعمالهم ، وردَّ عليهم أحسَنَها ، فإذا ذكرتُهم ، قلتُ : إنى لخائف أن أكونَ مع هؤلاء ، وأن اللهَ — عزّ وجل — ذكر آية الرَّحمةِ مع آية العذاب ، ليكونَ المؤمن راغباً راهباً لا يتمنى على الله ولا يقنَط من رحمة الله ، فإن أنتَ حفظتَ وَصِيّتِى ، فلا يكونَنَّ غائبٌ أحبّ إليك من الموتِ وهو آتيك ، وإن ضيّعت وصيتى فلا يكونَنَّ غائبٌ أبغضَ إليك من الموت ولستَ بمُعْجِزِه .

كتب عمرُ بن الخطاب إلى معاوية : أن الْزَم الحقّ ، ينزلْك الحقُّ فى منازل أهلِ الحقّ ، يوم لا يُقضى إلا بالحقّ .

أول كتاب كتبه علىٌّ بن أبى طالب فى خلافته : أمّا بعدُ ، فإنّما هَلَك من كان قبلكم ، أنّهم منعوا الحق حتى اشتُرى ، وبَسَطوا الباطلَ حتى اقتُدِى .

وقال علىٌّ بن أبى طالب لرجل من الخوارج : واللهِ ما عُرِفْتَ حتى ظهر الباطل .

قال وَبَرَةُ المكىّ : سمعت عن ابن عباس كلماتٍ لهى أحبُّ إلىَّ من الدُّهْم الموقفة ، قال : لا تتكلّمنّ فيما لا يعنيك حتى ترَى له موضعاً ، فربَّ متكلم بالحقّ فى غير

موضعه قد عِيب ، ولا تمارِينّ سفيهاً ولا حليماً ، فإنّ السَّفيه يؤذيك ، والحليم يَقْليك ، ولا تذكرنَّ أخاكَ إذا غاب عنك إلاّ بمثل ما تُحبّ أن يذكرك به إذا غبت عنه ، واعمل عملَ رجلٍ يعلمُ أنه مَجزيٌّ بالإحسان ، ومأخوذٌ بالإجرام ، فقال رجل عنده : يا ابن عباس ! لهذه خير من عشرة آلاف . قال : كلمة منها خير من عشرة آلاف .

قال ابنُ مسعود : من كانَ على الحقّ ، فهو جماعةٌ وإن كان وحده .

قال غيره : الحقّ ثقيل ، وطُلاّبه قليل .

وقال غيره : الحقُّ كثير ، والقائلون به يَسير .

وقال غيره : الأحمقُ يغضب من الحق ، والعاقلُ يغضب من الباطل .

وكان يقال : من هَلَك فى دولة الباطل ، أكثر ممن حَيِي بالباطل[1] .

قال أنو شروان : إذا اشتبهت الأمور فالحق بين التقصير والإفراط .

قال عبد الله بن مسعود : تكلّموا بالحق تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله .

قال أبو العتاهية :

وَللحقِّ بُرْهَانٌ وَللمَوْتِ فِكْرَةٌ ‏ ‏ ‏ وَمُعْتَبَرٌ لِلْعَالَمِينَ قَدِيمُ[2]

---

(١) ب : بالحق .

(٢) ديوانه ٢١٨ .

قال مالكُ بن أنس : إذا ظهر الباطل على الحق ظهر الفساد فى الأرض .

وقال : إن[١] لزوم الحق نجاة ، وإن قليل الباطل وكثيره هَلَكة .

قال سعدُ بن أبى وقاص لسلْمَان : أوْصِنِى . قال : أخلص الحقّ يخلّصك . وأظنّ هذا من قول القائل : أعزّ الحق يذلّ لك الباطل .

كان يقال : من لم يعمل من الحق إلاّ بما وافق هواه ، ولم يترك من الباطل إلا ما خف عليه لم يؤجر فيما أصاب ، ولم يفلت من إثم الباطل .

قال العَتَّابى :

وما كُلُّ مَوْصُوفٍ لَهُ الْحَقُّ يَهْتَدِى   وَلا كلُّ مَنْ أَمَّ الصُّوَى يَسْتَبِينُهَا

الصُّوَى : جمع صُوَّة ، وهى حجارة تجعل أعلاماً فى الطريق .

قال رجل لخصمه : لئن هملجت إلى الباطل إنك لقطوف على الحق[٢]

وقال بعض الحكماء : النعمة نَفُور[٣] ، ولقلما انقشعت نافرة فرجعت فى نصابها[٤] ، فاستدع شاردها بالتوبة ، واستدم الرّاهن[٥] منها بكرم الجوار ،

---

(١) ب : ابن .
(٢) الهملاج بالكسر : من البراذين السريع ، والقطوف : الدابة التى ضاق مشيها .
(٣) ب : نوار .
(٤) ب : بصائصها .
(٥) ب : الداهب .

واستفتح باب المزيد بحسن التوكل ، فقد أعرب لك الحقّ عن نفسه ،وصدقك عن أمره[١] .

قال منصور الفقيه :

إنّ بينَ الحقِّ وَالبَا　　طِلِ فَرْقًا لا يُحيلْ
وعَلَى نِيَّةِ ذِى الْقَوْ　　لِ من الْقَوْلِ دَلِيلْ
فَقلُ الْحَقِّ وَإنْ قِيـ　　لَ لَكَ الحقُّ ثَقِيلْ
فاتّقِ اللّهَ إذَا　　شُووِرْتَ وانظر ماتقولْ
لا يضرنَّكَ إن قَا　　لَ من النّاسِ جَهُولْ
إن قولَ المرءِ فيما　　لم يُسَلْ عَنْه فُضُولْ

وقال الصَّلَتَان العَبْدى :

وللحقِّ بين النَّاس راضٍ وَجَازِعُ　　وَللأَذْنَابُ فيه للرُّؤوسِ تَوَابِعُ
وليس الذُّنَابَى كالْقُدَامَى وَرِيشهُ　　وما تَسْتَوِى فى الرَّاحَتَيْنِ الأَصَابِعُ

روى عبد الملك بن عمير، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : « أصدق كلمة قالها الشاعر ، قول لَبيد :

---

(١) ا : وصدقك عن غيره .

أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ ما خَلاَ اللهَ بَاطِلُ »(١)

قالوا : أصدق بيت قالته العرب ، قول القائل :

وما حملَتْ من ناقَةٍ فَوْقَ ظَهْرِهاَ   أبرَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً من محَمَّدِ(٢)

قال الحاتمى : أشعر بيت قالته العرب ، قول امرئ القيسِ(٣) بن عانِس لا ابن حجر(٣) .

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ بهِ   وَالبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ(٤)

وأنشد ثعلب :

وإنّ أَشْعَرَ بيتٍ أنْتَ قائلُهُ   بيتٌ يقالُ إذا أَنْشَدْتَهُ صَدَقَا(٥)

قال جعفر بن محمد : ما ناصح اللهَ عبدٌ مسلم فى نفسه فأخذ الحق لها ، وأعطى الحق منها ، إلا أُعطِي خصلتان : رزق من الله يقنع به ، ورضًى من الله عنه .

كان بعض الصالحين يقول : اللهم إنى أشكو إليك ظهور البغى والفساد فى الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع .

---

(١) صدر بيت وعجزه : وكل نعيم لا محالة زائل . ديوانه ٤٣ .

(٢) المستطرف ١/٢٧٠ .

(٣) ساقط من ا ، وامرؤ القيس هذا ، شاعر مخضرم من أهل حضرموت ، أسلم عند ظهور الإسلام ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم ، مات نحو سنة ٢٥ هـ . ترجمته فى العينى ١/٣٠ ـ ٣٢ ، تاريخ الشعراء الحضرميين ١/٤٤ . (الأعلام) ١/٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٤) نهاية الأرب ٤/٣٠٣ من غير نسبة ونسب فى المنتخل ١٦٩ لامرئ القيس بن حجر .

(٥) البيت لزهير ، ديوانه ١٢٦ .

قال عبد الحميد بن يحيى الكاتب :

تَرَحَّلَ ما لَيْسَ بالقافِلِ ... وَأَعْقَبَ ما لَيْسَ بالآفِلِ
فَلَهْفِي عَلَى السَّلَفِ الرَّاحِلِ ... وَلَهْفِي من الخَلَفِ النَّازِلِ
أُبَكِّي عَلَى ذَا وأبكي لِذَا ... بُكاءَ المُوَلَّهَةِ الثَّاكِلِ
تُبَكِّي عَلَى ابنٍ لها قَاطِعٍ ... وَتَبْكِي عَلَى ابنٍ لها وَاصِلِ
تَقَضَّتْ غَوَايَاتُ سُكْرِ الصِّبَا[1] ... وردَّ التُّقَى عَنَتَ[2] البَاطِلِ[3]

انتهى القسم الأول

(الجزءان الأول والثانى)

بتجزئة المؤلف

(١) ب : تقصت غايات شكر ، ا : تقضت غيايات .

(٢) ب : عنق .

(٣) الأبيات فى : الوزراء والكتاب ٨١ ، البيان والتبيين ١/٢١٥ ، عيون الأخبار ٢/٣٢٢ ، الشعر والشعراء ٨٤٤ ، وفيها جميعاً روايات مختلفة ، يطول إيرادها ، ولكن الجدير بالذكر أن هذه المراجع تورد قبل البيت الأخير بيتا لابأس بإيراده ، وهو :

فليست تقر عين عبرة ... لها فى الضمير وعن هامل

القسم الثانى

(الجزءان الثالث والرابع)

بتجزئة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

بابُ الحياء والوقار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكلّ دين خُلُق ، وخُلُق الإسلام الحياء » .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « الحياءُ خَيْرٌ كلُّه » .

[2] وقال صلى الله عليه وسلم : « المؤمنُ حَيِيّ كريم ، والفاجِر خِبٌّ لئيم [2] » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الحيِيَّ الحليم المتعفّف ، ويبغض الفاحش البذيء[3] السائل الملحف » .

قال سليمان عليه السلام : الحياء نظامُ الإيمان ، فإذا انحل النظام ذهب مافيه .

وفى التفسير : ﴿ وَ لِبَاسُ التَّقْوَى ﴾[4] . قالوا : الحياء .

وقالوا : الوقار من الله ، فمن رزَقه الله الوقارَ فقد وسمه بسيماء الخير .

---

(١) بعد البسملة ترد فى ا عبارة : رب يسر ، وفى ج : وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . وهذا على اعتبار أن الجزء الثالث يبدأ من هنا فى كلا النسختين ، وورد الكلام فى م متصلا .

(٢) ساقط من ا .

(٣) فى ا : السيىء .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٢٦ .

وقالوا : من تكلّم بالحكمة لاحظته العيون بالوقار .

قال الحسنُ : أربع من كنّ فيه كان كاملا ، ومن تعلّق[١] بواحدة منهن كان من صالحى قومه : دين يرشده ، وعقل يسدّده ، وحسب يصونه ، وحياء يقوده .

قالت عائشة رضى الله عنها : رحم الله نساءَ الأمصار ، لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن .

وقالت عائشة أيضا : رأسُ مكارمِ الأخلاقِ الحياء .

قال الشاعر[٢] :

ما إنْ دعانِى الهوَى لِفاحِشَةٍ إلاّ نهانِى الحياءُ والكرمُ[٣]
ولا إلى مُحَرَّمٍ مَدَدْتُ يَدِى ولا مشتْ بى لريبةٍ قدمُ[٤]

وروى عن النبىِّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : « إنّ مما أدركَ الناسُ من كلام النبوّة الأولى[٥] ، إذا لم تستَحْيِ فاصنع ما شئت » .

وقال حبيب بن أوس[٦] :

إذا لم تخشَ عاقبةَ اللّيالى ولم تَستَحْيِ فاصنعْ ما تشاء

---

(١) فى ج : تكلم .
(٢) البيتان فى المستطرف ٣٩٦/٢ .
(٣) فى ا : وما دعانى الهوى لمعصية .
(٤) فى ا : لزلة .
(٥) ساقطة من ا ، م .
(٦) وردت الأبيات فى ديوانه ٤٣٣ من قصيدة قالها فى التعريض بأحمد بن حميد ، ونسبت له أيضاً فى لباب الآداب ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، العقد الفريد ٤١٤/٢ . على أن أبا تمام نفسه أوردها فى الحماسة ٣٠/٢ من غير نسبة وقد ورد الثانى منها منسوبا لجميل بن المعلى الفزارى أحد بنى عميرة بن جؤية فى المؤتلف ٧٢ .

فلا والله[١] مافي العيش خيرٌ ولا الدنيـا إذا ذهب الحياء

يعيش المرء ما استحيا بخـير ويبـقى العُودُ ما بـقى اللحاء

وقال أبو دُلَف العِجْلى :

إذا لم تَصـنْ عِرضاً ولم تخش خالقاً ولم تَرْعَ مخـلوقاً فما شئتَ فاصنعِ[٢]

وقال صالح بن جَنَاح :

إذا قلّ ماء الوجه قلّ حياؤه ولا خيرَ فى وجهٍ إذا قل ماؤُهُ

وقال آخر :

إذا رُزِق الفـتى وَجْها وَقاَحا تقلب فى الأمور كما يشاء

ورب دنيّـةٍ ما حال بينى وبين ركـوبها إلاّ الحياء[٣]

وقال الحَزِينُ بن عبد الله اللّيثى[٤] ، وتنسب إلى الفرزدق :

يُغضى حياءً وَيُغْضَى من مهابته فلا يُـكلّمُ إلاّ حيـن يَبْتسمُ

وقال آخر :

كريمٌ يغضُّ الطَّرفَ فضلُ حيائه ويدنو وأطرافُ الرِّماحِ دواِنى

---

(١) فى الحماسة : فلا وأبيك .

(٢) يأتى هذا البيت فى جـ بعد البيت التالى ، وفى ا : تسمى خلقا بدل ترع مخلوقا .

(٣) ورد البيتان فى العقد الفريد ٢/٤١٤ ، محاضرات الأدباء ١/١٣٨ من غير نسبة .

(٤) فى الأصول : الحر بن عبيد الله ، وانظر التحقيق فى هامش ص ٥١٠ .

وكالسيف إن لاينته لان مَتْنُــه ... وحدّاه إن خاشنته خشنانِ(١)

وقالت ليلى الأخْيَليّه :

وَمخرّقٍ عنه القميصُ تخاله ... وسْطَ البيوتِ من الحياء سَقِيما(٢)

وقال أمية بن أبي الصَّلْتِ في ابن جُدْعان التَّيْمي(٣) :

أأذكرُ حاجتى أم قد كفانى ... حياؤك إن شيمتَك الحياء

كريمٌ لا يغــيّره صباحٌ ... عن الفعل الجميلِ ولا مساء

إذا أثنى عليك المرء يومًا ... كفاهُ من تعرضهِ الثناء(٤)

قال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : من كساه الحياء ثَوْبَه(٥) ، خفي عن(٦) الناس عيبه .

---

(١) وردت الشطرة الأولى فى ا : يضم عن الفحشاء فضل ثيابه . وفى حـ : فهو لين بدل لان متنه ، وقد ورد البيتان فى أكثر كتب الأدب من غير نسبة ، انظر المراجع التى ذكرتها عند ورود البيتين فى ص ٥١٢ ، ولم أجد من نسبهما إلا الثعالبي ، حيث ذكر أنهما لأبي الشبص الأعرابى فى خاص الخاص ٨٩ .

(٢) البيت فى عيون الأخبـار ٣/٢٧٨ وفيه : ومقذر بدل مخرق ، وانظره فى الشعر والشعراء ٤٢٠ ، أمالى القالى ١/٢٤٨ ، حماسة أبى تمام ٢/٢٦٣ .

(٣) هو عبد الله بن جدعان التيمى القرشى ، أحد الأجواد المشهورين فى الجاهلية ، أدرك النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وكانت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب ، انظر الأغانى (دار الكتب) ٤/٣ ، ٨ ، ٩ ، ١٩ ، (الأعلام ٤/٢٠٤) .

(٤) الأبيات فى ديوان أمية ١٧ ، وفى ا : أأطلب بدل أأذكر ، وما أثبتناه موافق لرواية الديوان .

(٥) ساقطة من ا ، م.

(٦) ساقطة من ا .

أخبرنا عبد الرحمن بن يحي، حدثنا أحمد بن سعيد، حدثنا ابن الأعرابي، حدثنا العباس بن محمد، حدثنا يحي بن معين[١]، قال ابنُ كُنَاسة[٢]:

فيَّ انقباضٌ وَحشمةٌ فإذا لاقَيْتُ أَهلَ الوفاءِ والكرمِ
أرسلتُ نفسي على سَجيتها وَقلتُ ما قلتُ غيرَ محتشِمِ[٣]

---

(١) فى ا : حدثنا العباس بن يحيى بن معين .

(٢) هو محمد بن عبد الله الملقب (بكناسة) بن عبد الأعلى المازنى الأسدي ، من أهل الكوفة ، أحد شعراء الدولة العباسية المجيدين، وكان يجتنب فى شعره المدح والهجاء . توفى سنة ٢٠٧ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٩/٢٥٨ ، الأغانى ١٣/٣٣٧ (دار الكتب) ، (الأعلام ٧/٩٢) .

(٣) ورد البيتان فى البيان والتبيين ٣/٢٨٥ ، وفيه خليت بدل أرسلت ، ولباب الآداب ٢٨٥ ، نهاية الأرب ٥/٧١ ، وفى معجم الأدباء ١/١٤٣ تردد فى نسبتهما بين ابن كناسة وبين أبى نواس ، وقد وردا فعلا فى مقدمة الديوان فقط ، والأشهر أنهما لابن كناسة .

باب حُسْن الْخُلق وسوئه

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أكملُ المؤمنين إيمانًا أحْسَنهم خلقا » .

قال مُعَاذ بن جَبَل : آخر ما أوصانى به رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين وضعت رجلى فى الغرز[1] — أن قال : « حسِّنْ خُلُقَك للناس يا مُعَاذ بن جبل » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أثقلُ شىء فى ميزان المؤمن يوم القيامة خُلُق حسن » .

[2] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حُسْن الخلق يُمن ، وسوء الخلق شؤم » . [2]

قال كعب الأحبار : إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل ، الصائم بالنهار ، الظامئ بالهواجر .

وفى الخبر المرفوع أيضًا : « من سعادة المرء حسن خلقه ، ومن شقائه سوء خلقه » .

مكتوب فى الحكمة ، الرفيق[3] خير قائد ، وحسن الخلق خير رفيق[4] ، والوحدة خير من جليس السوء ، [5] والجليس الصالح خير من الوحدة [5] .

---

(١) الغرز : ركاب الدابة . والمعروف أن معاذا أرسله النبى صلى الله عليه وسلم إلى اليمن معلما ومرشدا ، وكان هذا آخر ما أوصاه به النبى قبل انطلاقه لأداء مهمته .

(٢) ساقط من ا .

(٣) ح : الرفق .

(٤) ا : قرين .

(٥) ساقط من ح .

كان يقال : من ساء خلقُه قلّ صديقه .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يا بنى عبد المطلب ! إنكم لن تسَعُوا الناس بأموالكم ، فَلْيَسَعْهم منكم حسنُ الخلق ، والقوهم[1] بطلاقة الوجه وحسن البِشْر » .

قال أبو الدرداء : إنا لنَكْشِرُ فى وجوه أقوام ، وإن قلوبنا لتلعنهم[2] .

روى فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وثيابَكَ فَطَهِّرْ ﴾[3] ، قالوا : وخلقك فحسِّن .

قال سفيان بن عيينة : من حَسُن خلقه ساء خلق خادمه .

كان يقال : حسن الخلق[4] يكسب حسن الذكر .

قال أبو العتاهية :

عامل الناسَ بوجهٍ طلِقْ   والقَ من تلقى بِبِشرٍ رفيقْ
فإذا أنت جميلُ الثنا   وإذا أنت كثيرُ الصَّديق[5]

---

(١) ا : ولقاؤهم .

(٢) فى ا ، حـ : لتقبلهم ، ولا تستقيم مع مفهوم الخبر ، إذ معنى المكاشرة الضحك فى الوجه وإظهار السرور ، مع إبطان غير ذلك ، وما أثبتناه موافق لما ورد فى عيون الأخبار ٣/٢٢ .

(٣) سورة المدثر الآية ٤ .

(٤) ا : البشر .

(٥) البيتان فى ديوانه ١٧١ ، وفيه ورد البيت الأول :

عامل الناس برأى رفيق   والق من تلق بوجه طليق

وقال محمد بن حازم :

وما اكتسب المحامدَ طالبوها ... بمثل البِشْرِ والوجهِ الطليقِ [١]

وقال آخر :

خالق الناسَ بخُلْقٍ حَسَنٍ ... لاتكُنْ كلباً على الناس يَهِرّْ

وقال [٢] آخر — هو [٢] المغيرة بن حَبْناء :

وما حَسَنٌ أن يمدحَ المرءُ نفسَه ... ولكن أخلاقاً تُذَمُّ وَتُمْدَحُ

وقال ابنُ وكيع [٣] :

لاقِ بالبِشْر من لقيتَ من النا ... سِ وَعاشِرْ بأحسنِ الإنْصافِ

لا تخالف وإن أَتَوْا بخلافٍ ... تستَدِمْ وُدَّهمْ بتركِ الخلافِ

وإذا خفتَ فَرْطَ غيظِكَ فانهض ... مُسْرعًا عنهمُ إلى الإنصرافِ

إنما الناسُ إن تأملتَ داءٌ ... مالَهُ غير أن تداويه شافِي

وقال آخر :

قد عكث الناسُ دهراً ليس بينهمُ ... وُدٌّ فيزرعه التسليمُ واللّطفُ

---

(١) البيت فى عيون الأخبار ١/٣٦ .

(٢) ساقط من حـ .

(٣) هو الحسن بن على الضبى التنيسى ، المعروف بابن وكيع ، شاعر مجيد ، أصله من بغداد ، ومولده ووفاته بتنيس بمصر ، انظر وفيات الأعيان ١/١٣٧، يتيمة الدهر ١/٢٨١ (الأعلام ٢/٢١٨) ، وانظر الأبيات فى اليتيمة ١/٢٨٢ .

وقال العتّابيّ يذم رجلا :

فكم نعمةٍ آتاكها اللهُ جَزْلةً … مُبرّأةً[١] من كل خُلْقٍ يُذِيمُها
فسلطتَ أخلاقاً عليها ذميمةً … تعاوَرْنَها حتى تفرّى أديمُها
وكنتَ امرءاً لو شئتَ أن تبلغَ المَدَى … بلغتَ بأدنى نعمةٍ تستديمُها
ولكنْ فِطامُ النفس أثقلُ محمَلاً … من الصَّخْرةِ الصَّماء حين تَرُومُها[٢]

(١) ا : منزلة .
(٢) في ا : أعسر بدل أثقل ، وانظر بعض هذا الشعر في الحيوان ٣/٦٢ .

بابُ مَكارِمِ الأخلاق والسُّؤْدَد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « بُعِثْتُ لأتمم مكارمَ الأخلاق » . ويروى « محاسن الأخلاق » .

أخذه أبو العتاهية فقال

ليسَ دُنيا بغيرِ دينٍ وليس الدِّ ينُ إلاّ مكارمَ الأخلاقِ
إنّما المكرُ والخديعةُ فى النّا سِ هما من فُروعِ أهْلِ النِّفاقِ (١)

ولإبراهيم بن المهدىّ :

لاخيرَ فى الدُّنيا بلا دينٍ ولا فى المالِ إلاّ منْه فيما يُبْذَلُ
فأصِبْ وَأَتْلِفْ واستَفِدْ وأفد وَعِشْ فيما اشتهتْ ممّا يَحِلُّ ويجملُ (٢)

وقال آخر :

وما المرءُ إلاّ حيث يجعلُ نفسَه ففي صالِحِ الأخلاقِ نفسَكَ فاجْعَلِ (٣)

(٤) وقال آخر :

تَزِينُ الفتى أخلاقُه وَتَشِينُهُ وَتُذكَرُ أفعالُ الفتى حيثُ لايدْرِى (٤)

(١) لم أعثر على البيتين فى ديوانه .
(٢) البيتان فى أشعار أولاد الخلفاء ٣٦ ، وفى ا : فاصبر بدل فأصب ، وبما بدل مما .
(٣) البيت فى محاضرات الأدباء ١/١٤٥ ، العقد الفريد ٢/٢٩٣ من غير نسبة ، ونسب فى البيان ٣/٢٠٣ لمنقر بن فروة المنقرى .
(٤) البيت ساقط من ا ، وهو لأبى البلاد الطهوى كما فى البيان والتبيين ٣/٨٣ .

خطب ثلاثةُ إخوة من العرب(١) إلى عمّهم ثلاثَ بناتٍ له ، فقال : مرحباً بكم ، لاَ أَذم(٢) عهدكم ،ولا أستطيع ردّكم ، خبّروني عن مكارم الأخلاق . فقال الأكبر : الصَّون للعِرْض ، والجزاء بالقَرْض . وقال الأوسط : النهوضُ بالثِّقْل ، والأخذ بالفضل . وقال الأصغر : الوفاء بالعهد ، والإنجازُ للوعد . قال : أحسنتم في الجواب ، ووفقتم إلى الصواب .

وقال صلّى الله عليه وسلم : « إن الله يحبُّ معالى الأخلاق وأشرفها(٣) ، ويكره سَفْسافها »

قال الحسنُ : مكارم الأخلاق للمؤمن : قوةٌ في لين ، وحزمٌ في دين ، وإيمانٌ في يقين ، وحرصٌ على العلم ، واقتصاد في النفقة(٤) ، وبذلٌ في السّعة ، وقناعة في الفاقة ، ورحمةٌ للمجهود ، وإعطاء في حقّ ، وبرّ في استقامة .

قالت عائشةُ رضى الله عنها : خلالُ المكارم عَشْر ، تكون في الرّجل ولا تكون في أبيه ولا في ابنه ، وقد تكونُ في العبد ولا تكون في سيِّده ، يَقْسِمُها اللهُ لمن أحبَّ : صدق الحديث ، ومداراةُ النّاس ، وصلةُ الرحم ، وحفظ

(١) حـ : من الاخوة .
(٢) ا : دام .
(٣) ساقطة من جـ .
(٤) ا : الفقر .

الأمانة ، والتَذَمُّم[١] للجار ، وإعطاء السَّائل ، والمكافأةُ بالصَّنائع ، وَقِرى الضَّيف، والوفاء بالعهد ، ورأسهنَّ كلهنَّ الحياء .

قيل لبُزُرجمهر : أيّ شيء أنت به أسرّ ؟ قال : قدرتى على مكافأة من أحسن إلىّ[٢]

قال مَصْقَلَة بن هُبَيْرَة الشّيبانى : سمعتُ صَعْصَعَةَ بن صُوحَان ، وقد سأله ابن عباس ما السؤدد فيكم ؟ قال : إطعام الطعام ، ولين الكلام ، وبذل النّوال ، وكفُّ المرء نفسه عن السؤال ، والتودّد للصّغير والكبير ، وأن[٣] يكون النّاس عندك فى الحق شَرَعا[٤]

سئل عبد الله بن عمر عن السُّؤدد ، فقال : الحلمُ والجود .

كان يقال : خير أيام المرء ما أغاث فيه المضطر ، واكتسب فيه الأجر ، وارتهن فيه الشكر ، واسترقّ فيه الحرّ .

قال الأحنفُ بن قيس يوماً لقومه : إنّما أنا رجل منكم ليس لى فضل عليكم ،

---

(١) التذمم للجار هو أن يحفظ ذمامه ، أو يطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه .

(٢) فى هامش ا وردت العبارة الآتية : «وفى محل آخر غير هذا الكتاب بعد قوله أحسن إلى : وعفوى عند قدرتى على من أساء إلى » .

(٣) ج : وقد .

(٤) شرعا : سواء .

ولكنى أبسط لكم وجهي ، وأبذل لكم مالى ، وأقضى حقوقكم ، وأحفظ حرمتكم[١] ، فمن فعل مثل فعلى فهو مثلى ، ومن زاد علىّ فهو خير منى ، ومن زدتُ عليه فأنا خير منه . قيل له : يا أبا محمد ! ما يدعوك إلى هذا الكلام ؟ قال : أَحضُّهم على مكارم الأخلاق .

[٢]وقال عبد الله بن عمر : نحن معشرَ قريش نَعُدُّ الحلم والجود السؤدد ، ونَعُدُّ العفاف وإصلاح المال المروءة .

قال أسد بن عبد الله لرجل من بنى شيبان : إن السؤدَدَ فيكم لرخيص . فقال له : أمَّا نحن فما نسوّد إلا فتى يُوطِئُنا رَحْلَه ، ويفرشنا عِرْضه ، ويبذل لنا ماله . قال : أشهد أن السؤدد فيكم لغالٍ .

قيل لبعض العرب : من السيدُ فيكم ؟ قال : الأحمقُ فى ماله ، الذليل فى عرضه ، المطَّرح لحقده ، المعتنى بأمر عامته .

ورويت هذه القصة للأحنف ، أنه سئل : من أسود الناس فيكم ؟ فقال : الأخرق فى ماله .. .. ثم ذكر مثله .

قال أبو عمرو بن العلاء : كان أهلُ الجاهلية لا يسوّدون إلاّ من كانت فيه ست

(١) ج : حريمكم .
(٢) يبدأ من هنا سقط قدره ورقة من نسخة ا .

خصال وتمامها فى الإسلام سابعة : السّخاء والنجدة ، والصّبر والحلم ، والبيان والحسب . وفى الإسلام زيادة العفاف .

ذُكر لعبد الله بن عمر أبو بكر وعمرُ وعثمان وعليّ ومعاوية . فقال : كان معاوية أَسْوَدَ منهم ، وكانوا خيرًا منه .

روى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : « من رزقه اللهُ مالا فبذل معروفه وكفَّ أذاه ، فذلك السيّد » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار يوماً : « من سيّدكم ؟ » فقالوا : الْجدُّ بن قَيْس عَلَى بُخل فيه . فقال عليه السّلام : « أىّ داءٍ أَدْوَأُ من البخل ؟ ! بل سيّدكم الْجَعْدُ الأبيض عَمْرُو بن الْجَمُوح » . فقال شاعرهم فى ذلك :

وقال رسولُ اللهِ والحقُّ قولُه　　لمن قال منا من تُسمون سَيِّدا
فقالوا له الجدُّ بن قيس عَلَى التى　　نبخّله فيها وإن كان أسودا
فتًى ما تخطّى خُطـوةً لدنيَّةٍ　　ولا مدّ فى يوم إلى سَوْءَةٍ يدًا
فسوّدَ عمر بن الْجَمُوح بجودِهِ　　وحُقّ لعمرو بالندى أن يسوّدا[1]

قال بكر بن وائل : ما كان فينا أسود من ثعلبة بن أوس ، كان يحلم عن جاهلنا ويعطى سائلنا .

(١) انظر هذا الخبر والأبيات فى ترجمة عمرو بن الجموح فى الإصابة ، القسم الرابع الترجمة ٥٧٩٢ ، وقد زاد بعد هذه الأبيات بيتا هو :

فلو كنت يا جد بن قيس على التى　　على مثلها عمرو لكنت المسودا

كان سالمُ بن نوفل سيد بنى كنانة فى زمانه ، فوثب رجل على ابنه وابن أخيه فجرحهما ، فأُتى به سالم ، فقال له : ما أمّنك[1] من انتقامى ؟ قال : فلم سوّدناك إذاً ؟ إلا لتكظم الغيظ وتحلم عن الجاهل ، وتحتمل المكروه . وفى سالم هذا يقول الشاعر :

نُسَوِّدُ أقواماً وليسُوا بسادة ... بل السيّد المعلومُ سَلْمُ بن نَوْفَلِ[2]

أنشد ابن عائشة[3] :

لا يبلغُ المجدَ أقوامٌ وإن كَرُموا ... حتى يَذلُّوا وإن عَزُّوا لأقوامِ

وَيُشْتَموا فترى الألوان مُسْفِرةً ... لا عفوَ ذلّ ولكنْ عفو أحلامِ

وإن دَعَا الجارُ لَبَّوْا عند دعوته ... فى النّائباتِ بإسراجٍ وإلْجَامِ[4]

مُسْتلئمين ، لهم عند الوغى زَجَلٌ ... كأنّ أسْيافهم أُغرين بالهامِ[5]

قال الأصمعى : كان يقال : لا يجتمع عشرة إلا وفيهم مقاتل أو أكثر ، ويجتمع ألف ليس فيهم حليم .

---

(١) فى الأصل : ما أمرك .

(٢) ورد البيت فى العقد الفريد ٢/٢٨٨ ، وفيه : يسود أقوام ، والصنديد بدل المعلوم .

(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله بن محمد بن حفص التيمى ، المعروف بابن عائشة ، شاعر متأدب من أهل البصرة ، اشتهر بهجاء القاضى أحمد بن أبى دواد ، وكان قد قصده فى بغداد فمدحه فلم يعره التفاتا فهجاه ، توفى ٢٢٧ هـ . انظر تاريخ بغداد ١٠/٢٥٩ (الأعلام ٤/٨٨) .

(٤) ساقط من ا .

(٥) الاستلئام : التدرع ، والزجل : الجلبة والضوضاء ، والهام : الرءوس . وانظر البيت الأول فى العقد الفريد ٢/٢٧٩ ، وفيه : لن يدرك بدل لا يبلغ ، وقد وردت كلها فى أمالى القالى ٣/٤١ ، عيون الأخبار ٣/٢٨٧ .

كان يقال : ثلاثة لا ينتصفون[1] من ثلاثة حليم من سفيه ، وبر من فاجر ، وشريف من دنيء .

قال الأحنف بن قيس : ما نازعني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال؛ إن كان فوقي عرفت له قدره ، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه ، وإن كان مثلي تفضلت عليه . أخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال :

سأُلْزِم نفسِي الصفحَ عن كلِّ مذنب وإن كَثُرَتْ منه عليَّ الْجَرَائمُ
وما الناسُ إلاّ واحد من ثلاثةٍ شريفٌ ومشروفٌ ومثلي مُقَاوِمُ[2]
فأما الذى فوقى فأعرف فضلَه وَأَلْزَمُ فيه الحقَّ والحقُّ لازمُ
وأما الذى دونى فإن قال صنت عَنْ مقالتِه نفسِي وإن لامَ لائمُ
وأما الذى مثلى فإن زَلّ أو هفا تفضّلتُ إن الفضلَ للحُرِّ حاكمُ[3]

وقال آخر :

لقد أسمعُ القولَ الّذى كاد كُلّما تذكّرنيه النفسُ قلبي يُصَدّعُ
فأُبدِي لمن أبداه منّى بَشَاشَةً كأنّىَ مسرورٌ بما منه أسمعُ
وما ذَاكَ من عُجبٍ به غير أنّنى أرى أن تَرْكَ الشرِّ للشرِّ أقطعُ

---

(١) في ا : يستنقصون .

(٢) مقاوم : مساو لى في القيمة .

(٣) الأبيات بدون نسبة في العقد الفريد ٢/٢٨٣ ، مع اختلاف يسير في ألفاظ الرواية .

قال الحسنُ البصرى : ما سمعت الله عزَّ وجلّ نَحَل عبادَه شيئاً أقلَّ من الحلم ، فقال عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾(١) ، وقال : ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾(٢) .

قال العتّابىّ :

إذا سرَّنِى دَهْرِى قبلتُ وَإِن أَبَى ... أَبَيْتُ عليه أن أضيقَ لَهُ صَدْرَا

فكمْ من مُسِىءٍ قد لقيتُ وَمحسنٍ ... فأوسعتُ ذا حِلمًا وَأَوْسعتُ ذا شُكْرَا(٣)

قال علىٌّ بن أبى طالب رضى الله : إنَّ السَّفيهَ إذا أعرضتَ عنه اغتمّ ، فزده إعراضًا .

(٤ كان يقال : بحسن السّيرة يُقهرُ ٤) المناوئ ، وبالحلم عن السَّفيه يكثُر (٤ أنصارك عليه ٤).

قال الشاعر :

(٥ سكتُّ عن السَّفيهِ فظنَّ أنّى ... عييتُ وما عييتَ عن الجوابِ ٥)

متاركةُ السَّفيه بلا جوابٍ ... أشدُّ عَلَى السَّفيه من العذاب

---

(١) سورة هود ، الآية ٧٥ .

(٢) سورة الصافات ، الآية ١٠١ .

(٣) البيتان فى زهر الآداب ٣/١١٢ .

(٤) ساقط من ج .

(٥) ساقط من ا .

ولا شيءٌ أحبُّ إلى سفيهٍ إذا وقع الكريمُ[1] من السِّبابِ

سبَّ الشعبيَّ رجلٌ، فقال له: إن كنتَ كاذباً يغفرِ اللهُ لك، وإن كنتَ صادقاً يغفرِ اللهُ لي.

قال الشَّعبيُّ: الغضبُ غولُ الحلم[2].

قال خالدُ بن صفوان: شهدتُ عمرو بن عبيد ورجلٌ يشتمه، فقال: آجرك الله على ما ذكرتَ من [3] صوابٍ، وغفر لك على ما ذكرتَ من [3] خطأ، قال: فما حسدتُ أحداً حسَدِي عمرَو بن عُبيدٍ على هاتين الكلمتين.

مرّ الشّعبي بقوم ينتقصونه، فأنشد:

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مُخامِرٍ لعزّةَ من أعراضِنا ما استَحَلَّتِ[4]

قال النّابغة الجَعْديّ:

وَلا خيرَ في حلمٍ إذا لم تكُنْ لَهُ بوادر تحمِي صفوَهُ أنْ يُكَدَّرَا
ولا خير في جهلٍ إذا لم يكنْ له حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصْدَرَا[5]

---

(١) في حـ: الكلام.
(٢) في ا: غلول الحليم.
(٣) ساقط من حـ.
(٤) البيت لكثير عزة، ديوانه ١/٥٧.
(٥) البيتان في الشعر والشعراء ١٠٩، معجم الشعراء ٣٢١، عيون الأخبار ١/٢٣٩، ٢٨٥، نهاية الأرب ٣/٧١٠ وفي ا: أرباب بدل حليم.

وقال آخر :

وفى الحلم والإسْلاَم للمرء وازعٌ   وفى تركِ أَهْوَاه الفؤادِ المتيَّمِ
بصائرُ يُرشِـدْنَ الفتى مستبينةٌ   وأخلاقُ صِـدْقٍ علمُها بالتعلُّمِ (١)

قيل للحُصَيْن بن المنذر : بِمَ سُدْتَ قومك ؟ قالَ : بحسبٍ لا يُطمع فيه ، ورأى لا يُسْتَغْنَى عنه .

وذكر السُّؤددُ عند معاوية بن أبى سفيان ، فقال : إنَّه لينتقل فى الحىّ كما ينتقل الظلّ(٢) .

قال إياس بن قتادة :

وإن من السّاداتِ من لو أطعتَهُ   دعاكَ إلى نارٍ يفورُ سَعيرُها(٣)

قال : كان سفيان بن عُيَيْنَة يتمثل :

خلت الديارُ فسدتُ غيرَ مسوَّدٍ   ومن الشَّقاء تفرُّدِى بالسُّؤْدُدِ(٤)

---

(١) البيتان لـكثير، ديوانه ١/٢١٨ ، وفى ا: بصائر رشد طاهر ومشبه ، واطرهما أيضاً فى البيان والتبيين ١/٢٠٠ ، وفيه : طاعات بدل أهواء ، وعيون الأخبار ٢/٦ وفيها : بصائر رشد للفتى .

(٢) يريد أن من يتمتع بأخلاق السيادة تنتقل شهرته فى الحى كما ينتقل الظل .

(٣) البيت فى البيان ٣/١٩٥ ، ٢٧٦ ، الحيوان ٣/٨٠ .

(٤) نسب البيت فى البيان ٣/١٩٦ ، ٢٧٦ . والحيوان ٣/٨٠ لحارثة بن بدر ، وفى هامش الحماسة ١/٣٤٠ قال إنه لرجل من خثعم ثم قال : ذكر ياقوت أنه عمرو بن النعمان البياضى يرثى سادات قومه ، وكانوا قد دخلوا حديقة فاختلفوا فقتل بعضهم بعضا ، وقد تمثل به سفيان بن عيينة حينما انفرد ومات نظراؤه من العلماء (انظر أيضاً فى هذا هامش البيان ٣/٢٧٦) ، وقد ورد البيت بدون نسبة فى وفيات الأعيان ٣/٣٥٧ ، عيون الأخبار ١/٢٦٨ ، العقد الفريد ٢/٢٩٠ .

قال : قال عمرُ بن عبد العزيز لرجل : من سَيِّدُ قَومك ؟ قال : أُنا . قال : لو كنتَه لم تَقُلْه .

قال الشاعر :

وإنّ بقومٍ سوَّدُوكَ لفاقةً ... إلى سيِّد لو يظفرون بسيِّد(١)

قيل للمهلب : ما السُّؤدَد ؟ قال : أن يركب الرجلُ فى منزله وحده ، ويرجع إلى منزله فى جماعة .

قيل لبعض العرب : ما علامة السيِّد فيكم ؟ قال : هو الَّذى إذا أقبلَ هبناه ، وإذا أدبر عِبْناه ، ويُروى اغتبناه .

قال عبيد بن الأبرص :

إذا أنتَ لم تعملْ برأيٍ ولم تُطِعْ ... أُولى الرّأيِ لم تركَنْ إلى أمْرِ مُرْشِدِ

ولم تجتنب ذمّ العشيرةِ كلّها ... وتدفعُ عنها باللِّسانِ وباليدِ

وتحلمُ عن جُهّالها وَتَحُوطها ... وتقمعُ عنها نَخْوَةَ المتهدِّدِ

فلستَ ولو عللتَ نفسك بالْمُنَى ... بذِى سُؤدَدٍ بادٍ ولا قرب سُؤْدَدِ(٢)

---

(١) نسب البيت لأبى نخيلة السعدى فى البيان ٣/١٩٥، ٢٧٦ ، والحيوان ٣/٨٠ ، وورد من غير نسبة فى حماسة البحترى ٣٣٥ ، عيون الأخبار ١/٢٦٨ وفيها : لحاجة بدل لفاقة .

(٢) الأبيات فى الشعر والشعراء ١٩٦ ، جمهرة أشعار العرب ٨٧ .

قال أُنس بن مدرك[١] :

عزمتُ عَلَى إقامة ذِى صَلَاح ... لِأَمْرٍ ما يُسَوَّدُ من يَسُودُ[٢]

وقال أبو الحسن الموسوى[٣] :

ما السّؤددَ المكسوبُ إلاّ دُونَ ما ... يُومِى إليه السُّؤددُ المولودُ

فإذا هما اتفقا تكسَّرَتِ القَنَا ... إن غُولِبا وتضعضعَ الْجُلْمُودُ[٤]

كان يقال : خصلتان لا يسود صاحبهما : الاستطالةُ فى الأقرباء ، والبَطرُ فى الأغنياء .

قال الْمَرّارُ بن سَعيد[٥] :

إذا شئتَ يوماً أن تسُودَ قبيلةً ... فبالحلمِ سُدْ لا بالسَّفاهَةِ والشَّتْمِ[٦]

وقال بعضُ أهل العلم : لاسُؤدَدَ إلّا بالبخت والْجَدِّ والسَّعْد ، وذلك أنا قد

---

(١) أنس بن مدرك ، وسماه البغدادى فى الخزانة ٣٦٦/٣ (ابن مدركة) ، شاعر من المعمرين ، كان سيد خثعم فى الجاهلية وفارسها ، وأدرك الإسلام وأسلم ، ثم أقام بالكوفة حتى نشب الخلاف بن على ومعاوية، فانحاز إلى على ، وقتل فى إحدى المعارك سنة ٣٥ ، انظر الإصابة ٧٣/١ . (الأعلام ٣٦٦/٦) .

(٢) البيت فى البيان ١٩٥/٣ ، والحيوان ٨١/٣ ، وفيهما ذى صباح .

(٣) هو محمد بن الحسين بن موسى (الشريف الرضى) نقيب العلويين ، وأشعر الطالبيين ، مات سنة ٤٠٦ هـ ، انظر ترجماته الوافية فى تاريخ بغداد ٢٤٦/٢ ، وفيات الأعيان ٤٤/٤ ، يتيمة الدهر ١٣٦/٣ .

(٤) البيتان فى ديوانه ٢٤٢/١ ، يتيمة الدهر ١٣٧/٣ ، التمثيل والمحاضرة ١٢٠ ، نهاية الأرب ١٠٧/٣ ، مع اختلاف يسير فى ألفاظ الرواية .

(٥) المرار بن سعيد بن حبيب الفقعسى ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كثير الشعر جيده . انظر فى ترجمته معجم الشعراء ٤٠٨ ، الشعر والشعراء ٦٨٠ — ٦٨٣ (الأعلام ٨٣/٨) .

(٦) البيت فى الشعر والشعراء ٦٨٢ ، حماسة أبى تمام ٤٧٤/١ وفيها بالتسرع بدل بالسفاهة .

رأيناهم يقولون : الأفعالُ المحمودة والأخلاق الجميلةُ توجب السؤدد والرياسة ، والأفعال المذمومة والأخلاق الدنيّة تمنعُ من السُّؤدد ، ثم رأينا قوماً سادُوا بأخلاق لا تُحمد ، وبأفعال لا تُرْضِي ، فمن ذلك : أن الحمق يمنع من السُّؤدد ، وقد ساد عُيَيْنَة ابن حِصْن[١] ، وكان محمّقاً ، وساد أبو سفيان وكان بخيلا ، والبخلُ يمنع من السُّؤدد ، وساد عامرُ بن الطُّفَيْل[٢] ، وكان عاهراً ، ولا سؤدد مع العُهْر ، وساد أبو جهلٍ وما طرَّ شاربه ، ودخل دار النّدْوَة وما استوت لحيته ، والحداثةُ تمنع من السُّؤدد ، وساد شِبْلُ بْنُ مَعْبِد البَجَلِيّ[٣] ، وما بالبصرة بَجَليّ غيره ، وهم يقولون : لا سؤدد إلّا بالعدد ، ولما قال قومٌ للأحنف : لولا أنا سوَّدناك ما سُدْتَ . قال فمن سوَّد شِبْل بن مَعْبِد البَجَلي ، وليس بالبصرة بَجَليّان .

---

(١) ابن بدر الفزارى ، له صحبة ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، سماه الرسول صلى الله عليه وسلم الأحمق المطاع ، وقد ارتد عيينة عن الإسلام فى عهد أبى بكر ، ثم مال إلى طلحة ، ورجع إلى الإسلام على يديه ، عاش حتى خلافة عثمان . انظر الإصابة ٥/٥٥ ، الترجمة ٦١٤٦ .

(٢) العامرى ، من بنى عامر بن صعصعة ، فارس قومه وأحد فتاك العرب وشعرائهم ، أدرك الإسلام ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم مضمرا قتله ولكنه لم يستطع ، ولما عرض الرسول عليه الإسلام اشترط عامر لذلك أن يجعل النبى له الأمر من بعده ، ويعطيه نصف ثمار المدينة ، رفض النبى ذلك ، فذهب عامر مهدداً متوعدا ، ثم مات قبل أن يصل إلى محلة قومه . انظر الإصابة الترجمة ٦٥٥٠ ، والمراجع الأخرى فى هامش الأعلام ٤/٢٠ .

(٣) شبل بن معبد بن عبيد بن الحارث البجلى ، من التابعين ، وهو أخو أبى بكرة الثقفى لأمه ، من الذين اشتركوا فى الفتوح الإسلامية فى عهد عمر ، وقد نقم على أبى موسى الأشعرى بعض تصرفاته فعزله عثمان على يده . انظر : تهذيب التهذيب ٤/٣٠٥ .

وساد عتبة بن ربيعة[١] وكان فقيراً إلى أن مات ، حتى قيل : إنه لم يشبع قطّ ، ولم يفضل عن قوت أهله قوتُ ضيفٍ واحد ، وهم يقولون إنّ الفقر يمنع من السؤدد . هـذا كلّه يدلّك على أن السّؤدد بالبخت

وقال غيره : أسباب السّؤدد سبعة : العقل والعلم والصيانة وأداء الأمانة والحِذق والحلم والسخاء .

أبو سلمى :

لا بدَّ للسُّؤْدَدِ من أرْمَاحْ ومن سفيهٍ دائمِ النُّبَاحْ

ومن عديدٍ يَتَّقِي بالرّاحْ[٢]

أي لا يتقي بالدّعاء .

وقال غَيْلاَن بن سَلَمَة الثَّقَفِيّ :

لابدَّ للسُّؤْدَدِ من عَدِيد[٣]

---

(١) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كبير قريش وأحد ساداتها فى الجاهلية ، كان موصوفا بالرأى والحلم والفضل ، أدرك الإسلام ولـكنه طغى وشهـد مع المشركين بدرا فقتل . انظر نسب قريش ١٥٢ (الأعلام ٣٥٩/٤) .

(٢) انظرها فى البيان ١٩٠/٣ ، ٢٧٥ ، الحيوان ٣٥١/١ ، وقد وردت فى العقد ٢٨٠/٢ برواية أخرى هى .

لابد للسؤدد من رماح ومن رجال مصلتى السلاح
يدافعون دونه بالراح ومن سفيه دائم النباح

(٣) انظر الشطرة فى البيان والحيوان فى نفس الصفحات التى وردت فى الهامش السابق ولم أعثر على تكملة البيت ، ولا التعريف بالشاعر فيما بين يدى من مراجع .

قال النابغة الذبيانى :

تعدُو الذئابُ على من لا كلابَ لَهُ ... وتتّـقِى صَوْلَة المستنفرِ الحَامِى[1]

قال الحسنُ بن سهل يوماً : الشرف فى السَرَف ، فقيل له : لا خيرَ فى السَرف ، فقال : لاسَرَفَ فى الخير ، فردّ اللّفظة واستوفى المعنى .

قال إسماعيل بن جعفرُ بن سليمان الهاشمى : عجبتُ لمن لا يكتب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مَكْرُمة .

ابن بَشّار :

وإذا جَزَيْتَ أخًا بِذَنْـ ... ـبٍ كانَ منه لم تَسُدْهْ
ولقلّماَ طَلَب الفـتى ... لأخيه عيبا لم يجِدْهُ[2]

الهُذَلى :

وإنَّ سيادةَ الأقوام فاعلَمْ ... لها صَعْدَاءُ مطلبها طَوِيلُ[3]

---

(١) وردت الشطرة الثانية من البيت بروايات مختلفة :

وتحتمى مربض المستأسد الحامى ... حماسة البحترى ٢٦٤
وتتقى صولة المستأسد الضارى ... الحيوان ٢/٨٧
وتتقى مربض المستنفر الحامى ... عيون الأخبار ٤/١٠٩

وقد نسب البيت للنابغة فى المراجع السابقة كما هنا ، ونسبه المرزبانى فى المعجم ٣٧٨ إلى الزبرقان بن بدر .

(٢) البيتان فى عيون الأخبار ١/٢٦٦ .

(٣) البيت للأعلم الهذلى كما فى ديوان الهذليين ٢/٨٧ ، وانظره فى البيان ١/١٩٥ ، ٢٧٠ ، والحيوان ٢/٩٥ وفيه : وإن سياسة ، وفى نسخة حـ : عسير بدل طويل . والصعداء : المرتفعة يقال : أكمة صعداء أى يشتد صعودها على الراقى .

لما توفى عبد الله بن طاهر[١] ، صلّى عليه ابنه طاهر بن عبد الله ودفنه ، وأعتق عند كل زاوية من زوايا قبره رقبةً من غلمانه ، وفعل ذلك إخوته ، ودفع كل نَجْلٍ منهم إلى كلِّ غلام خمس مائة درهم ، وكان عبد الله بن طاهر قد خلف أربعين ولدًا ذكرًا ، فقال أبو العَمَيْثَل[٢] الشاعر لمصعب بن عبد الله وكان[٣] يختص بطاهر وينادمه : ألا أدلّك على شيء تفعله فتتقدم به سائر إخوتك عند الأمير طاهر ؟ قال : بلى . فأنشده هذه الأبيات وقال : اكتب بها إلى الأمير ، وهى :

يا من يحاول أن تكونَ خلالُه ... كخلالِ عبد الله أنْصِت وَاسْمَعِ[٤]
فلأقصـــدنّك بالنصيحةِ وَالّذى ... حجَّ الحجيجُ إليه فاقبلْ أو دعِ[٥]
إن كنتَ تطمعُ أن تحلَّ محلَّهُ ... فى المجد والشَّرَفِ الأشمِّ الأرفعِ
فاصْدُق وَعِفَّ وَبرَّ وَارفقْ وَاتَّئِدْ ... وَاحلُم ودارِ وكافِ واصبرْ واشجعِ
وَالطُف وَلِنْ وَتأنَّ وَانْصُر وَاحتملْ ... وَاحزمْ وَجِدَّ وَحَامِ وَاحملْ وَادفعِ
هذا الطريقُ إلى المكارم مَهْيَعًا ... فاسلُك فقد أبصرت قصدَ المهيعِ[٦]

---

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعى بالولاء ، من أشهر الولاة فى العصر العباسى كان سيدا نبيلا عالى الهمة شهما ، ولاه المأمون خراسان فضم إليها كثيرا من بلادالمشرق ، توفى سنة ٢٣٠هـ . انظر فى ترجمته وفيات الأعيان ١/٢٦٠ ، تاريخ بغداد ٩/٤٨٣ (الأعلام ٤/٢٢٦ ، ٢٧) .

(٢) أبو العميثل : عبد الله بن خليد بن سعد ، مؤدب منالشعراء الفضلاء ، كان مولى لبنى العباس واتصل بطاهر بن الحسين فعهد إليه بتأديب ولده عبد الله فأقام معه فى خراسان ثم كان كاتبه وشاعره إلى أن توفى سنة ٢٤ هـ . انظر وفيات الأعيان ١/٢٦٢ (الأعلام ٤/٢١٦) .

(٣) أى أبو العميثل .

(٤) فى الوفيات : صفاته كصفات عبد الله الخ .

(٥) فى الوفيات : فلأنصحنك بالمشورة .. فاسمع أودع .

(٦) فى ا : مقنعا بدل مهيعا ، والمهيع : البين ، وقد وردت هذه الأبيات ماعدا الثالث فى وفيات الأعيان ٢/٢٧٥ ، ٢٧٦ ، الذخيرة ١/٣٢٠ ، ورواية البيت الأخير فيهما :

فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتى ... وهديت للنهج الأسد المهيع

فاستحسن طاهرٌ الأبيات ، وقال : واللهِ لقد أفدتنى ما يجبُ به شكرك ، فقلده نيسابور وأعمالَهَا ثلاث سنين ، وأكسبه ألف ألف درهم .

وقال آخر :

إذا هلكتْ أسْدُ العَرين ولم يكنْ ... لها خلفٌ فى الغِيلِ ساد الثعالبُ
كذا القمرُ السَّارى إذا غاب لم يكن ... له خلفٌ فى الجو إلاّ الكواكبُ

قال بعض الحكماء : من ابتغَى المكارمَ فليجتنب المحارم .

باب حمد الحلم وذمّ السّفه

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأشجّ عبدالقيس[1]: «يا أشج [2] عبدالقيس [2] أو يا منذر! فيك خصلتان يرضاهما الله ورســـوله: الحلم والأناة»، فقال: يا رسول الله! أشيء جبلني الله عليه أم شيء اخترعته من قبل[2] نفسي؟. فقال: «بل شيء جبلك الله عليه». فقال: الحمد لله الذي جبلني على خُلق[3] يرضاه الله ورسوله

قال الشّعْبي: زينُ العلم حلمُ أهله.

قال رجاء بن أبي سلمة: الحلمُ أرفع من العقل، لأن الله تسمّى به.

قال معاوية: إني لأرفع نفسي أن يكون ذنب أرجح من حلمي.

وقال معاوية لعمرو بن العاص: من أبلغ الناس؟ قال: من ترك الفضول، واقتصر على الإيجاز. قال: فمن أصبر الناس؟ قال: من بذل دنياه في صلاح دينه قال: فمن أشجع الناس؟ قال: من ردّ جهله بحلمه.

---

(١) اسمه المنذر بن ساوى بن الأخنس العبدى من عبد القيس أو من بنى عبد الله بن دارم من تميم، كان صاحب البحرين قبل الإسلام، ثم أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إليه رسالة يدعوه فيها إلى الإسلام فأسلم فأقره على عمله، وثمة خلاف فى أمر وفوده على النبي، انظره فى الإصابة الترجمة ٨٢١٢.

(٢) ساقطة من ا، م.

(٣) في ح، م: على شيء.

قال محمد بن أبي شِحاذ[١] :

إذا الحلمُ لم يغلبْ لك الجهلَ لم تزلْ عليك بروقٌ جمةٌ وَرَوَاعِدُ

سئل الأحنف عن الحلم ، فقال : هو الذُلّ والصَّبر .

كان الأحنف إذا عجبوا من حلمه ، قال : إنى لأجدُ ما تجدون ، ولكنّى صبور .

وقال أيضاً : وجدت الحلمَ[٢] أنصرُ[٣] لى من الرجال[٣] .

قال عمر بن عبد العزيز : ما قُرِن شيء إلى شيء أحسنَ من حلم إلى علم ، ومن عفو إلى قُدْرَة .

وقد رُوينا هذا الكلام لمن هو أسنّ من عُمَر وأكبر .

وقال بَلْعَاء بن قَيْس :

أَبَيْتُ لنفسى الخَسْفَ لما رَضُوا به وأوليتهم سمعى وما كنت مُفْحَمَا

وقال شُرَيْح : الحلمُ كنز مُوفَر ، والحليم مطية الجَهُول .

(١) فى الأصول محمد بن صحار ، وفى حـ : بزيادة العبدي ، وقد وجدت البيت منسوبا فى حماسة أبى تمام ٤٦/٢ لمحمد بن أبى شحاذ الضبى ، وسماه فى معجم الشعراء ٤١٣ حميد بن أبى شحاذ ، ولقد جهدت فى البحث عن محمد بن صحار العبدى هذا فلم أجد إلا صحار بن عياش العبدى وهو خطيب مشهور كان فى أول العصر الأموى، ويبدو أنه قد حدث تحريف من ناسخى النسختين أ ، م فى اسم شحاذ حوّلاه إلى صحار ثم زاد ناسخ النسخة حـ العبدي ، وقد أثبت الاسم كما فى الحماسة .

(٢) فى ا . الصبر .

(٣) ساقط من حـ .

قالوا : بالعقل اسْتُخْرِج غورُ الحكمة ، وبالحلم استُخْرِج غَوْرُ العقل .

قال أبو العتاهية :

فيارَبِّ هَبْ لى منك حِلْمًا فإننى　　أرى الحِلْمَ لم يندَمْ عليه حليمُ
ويارب هب لى منك عزماً على التقى　　أقيم به ما عشتُ حيث أقيم
ألا إنّ تقوى الله أكرمُ نسبةٍ　　تَسَامَى بها عند الفخارِ كَرِيمُ[١]

قال الخُرَيْمى :

أرى الحلمَ فى بعض المواطنِ ذِلّةً　　وفى بعضِها عِزًّا يُسَوَّد فاعلُه

قال عُمارة [٢] بن عقيل [٢] :

إذا أغضبتَ ذا كرمٍ تَخَطّى　　إليك ببعض أخلاق اللئيم
وإن الله ذُو حلمٍ ولكنْ　　بقدر الحلم مُنْتَصَفُ الحليمِ[٣]

وقال آخر :

بنى هِلاَلٍ ألا تَنْهَوْا سفيهَكُمُ　　إنّ السّفيهَ إذا لم يُنْهَ مأمورُ[٤]

---

(١) الأبيات فى ديوانه ٢٤١ ، ٢٤٢ ، على خلاف فى الترتيب .

(٢) ساقط من ا .

(٣) نسب البيتان فى عيون الأخبار ٣/٢٨٥ إلى عمارة كما هنا ، وقد وردا للبحترى فى ديوانه ٢/٢٦٦، نهاية الأرب ٣/٩٣ ، وفيهما : متى أحرجت .

(٤) البيت في البيان ٣/٢٦١ من غير نسبة ، وفيه : بني عدى بدل بني هلال .

وقال حسان بن ثابت :

رب حلمٍ أضاعَهُ عدمُ الما ... ل وجهلٍ غطّى عليه النعيم(١)

وقال أوس بن حجر :

إذا أنت لم تُعْرِضْ عن الجهل والخنا ... أصبت حليماً أو أصابك جاهلُ(٢)

وقال صالحُ بن جَنَاح ، ويروى لغيره :

لئن كنتُ محتاجاً إلى الحلم إنني ... إلى الجهلِ فى بعضِ الأحايين أَحْوَجُ

وما كنت أرضى الجهلَ خِدْناً ولا أخاً(٣) ... ولكنني أرضى به حين أحرجُ

فإن قال بعضُ الناس فىَّ سماجةٌ ... فقد صدقوا والذُّلُّ بالحرِّ أسمجُ(٤)

وقال أبو يعقوب الخريمى :

وإنك تلقى صاحبَ الجهلِ نادماً ... عليه ولا يأسى على الحلمِ صاحبُه

وقال حبيبُ الطائى :

إذا جاريتَ فى خلق دَنِيًّا(٥) ... فأنت ومن تُجاريه سواء

(١) ديوانه ٨٩ .

(٢) نسب البيت فى عيون الأخبار ٣/٢٣١ إلى كعب بن زهير ، والصحيح أنه لأوس ، انظر ديوانه ٢٠ . ورواية العيون : إذا أنت لم تقصر .

(٣) فى ا : وصاحبا .

(٤) نسبت هذه الأبيات فى عيون الأخبار ٣/٢٨٩ إلى محمد بن وهيب ، ونسبت في معجم الشعراء ٤٢٩ إلى محمد بن حازم الباهلى ، ووردت بدون نسبة فى العقد الفريد ٣/١٤ ، محاضرات الأدباء ١/١١٧ .

(٥) فى ا : دنى .

إذا ما رأسُ أهلِ البيتِ وَلّى   بَدَا لَهُمُ من الناسِ الجفاءُ[١]

ولآخر :

أبا حسن ما أقبحَ الجهلَ بالفتى   وَلَلحِلْمُ أحيانا من الجهل أقبحُ
إذا كان حلمُ المرء عَوْنُ عدوِّه   عليه فإن الجهلَ أعْفَى وَأروَحُ
وفى العفوِ ضعفٌ والعقوبةِ قوةٌ   إذا كنتَ تخشى كيدَ من عنه تصفحُ

وقال عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلنْ أحــدٌ علينا   فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا[٢]

قال آخر :

إذا نُهِيَ السفيهُ جرى إليه   وخالف والسفيهُ إلى خلافِ

كان عبد الله بن عمر إذا سافر سافر معه بسفيه[٣] ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إن جاءنا سفيهٌ ردّ عنا سفهه ؛ لأنا لا ندرى ما نقابل به السّفهاء .

وقال ابن المعتز :

ولكلّ عقلٍ غَفْوَةٌ أو سَهْوَةٌ   وَالحــرُّ محتاجٌ إلى التّنبيهِ

---

(١) ديوانه ٤٣٣ .

(٢) البيت فى الجمهرة ٨٢ ، نهاية الأرب ٣/٦٤ .

(٣) في ا : سفيه .

والعاقلُ النِّحريرُ محتاجٌ إلى ... أن يستعينَ بجاهلٍ مَعْتوهِ[1]

وقال آخر :

وَلَربما اعتضد الحليم بجاهلٍ ... لا خير فى اليمنى بغير يسارِ

وقال آخر :

وليس الحليمُ الذى كلَّ ساعةٍ ... به غضبٌ فى أنفــــه يتوقَّدُ

إذا أَمِنَ[2] الجُهَّالُ جهلَك لم تزل ... عليك بوادى جهلِهم تتورَّدُ

وإن عقاب[3] الجاهلين لذاهب ... بحلمك فانظر أى هاتين تعمِدُ

كان يقال : ليس الحليم من قُذف فكظَم ، وَلكن من صُدم فصبر .

قال البحترى :

أرى الحلم بُؤْساً فى المعيشة للفتى ... ولا عيش إلاّ ما حباك به الجهلُ[4]

وقال آخر :

قل ما بَدَا لَكَ من زُورٍ وَمن كَذِبٍ ... حلْمى أصمُّ وأذنى غيرُ صمَّاء

وقال آخر :

وَلا خيرَ فى عِرْضِ امرئٍ لا يَصُونُه ... وَلا خير فى حلم امرئٍ ذَلَّ جانبه[5]

---

(١) فى ا : سهوة أو غفلة ، وانظرها فى ديوانه ٢٥٤ .

(٢) ا : أمر . (٣) حـ : عفاف

(٤) البيت فى الديوان ١٦٤ .

(٥) البيت فى عيون الأخبار ٣/٣٢٩ .

وقال مروان بن الحكم :

إذا أمن الجهال جهلك مرّةً فعِرْضك للجهَّال غُنمٌ من الْغُنْمِ
وَإن أنت بأذَيتَ السفيه إذا بذا(١) فأنت سفيهٌ مثله غير ذى حلم
فلا تقرضَنْ عرض السفيه وَداره بحلم فإن أعيا عليك فبالصرم
وَمن عاتب الجهال لم يشف غيظه وَلكنه يزداد سُقْماً إلى سُقم(٢)
فَدَعْ عنك فى كلّ الأمور عِتابَهُ فإنَّك إنْ عاتَبْتَهُ صارَ كالْخَصْمِ
وَغمٌّ عليه الحلمَ وَالجهلَ وَالْقَهُ بمنزلةٍ بين العَداوةِ وَالسِّلْمِ
فيرجُوك أحيانًا وَيخشاك تارةً وَيَأخذُ فيما بين ذلك بالْحَزْمِ
فإن لم تجد بُدًّا من الجهل فاستَعِن عليه بجهَّالٍ فذاكَ من العَزْمِ

وقال أبو دَهْبَل الجُمحى(٣) :

وَكانوا أناسًا كنتُ آمَنُ غَيْبَهُمْ فلم يَنْهَهُمْ حلم وَلم يتحَرَّجُوا(٤)

---

(١) فى ا : وإن أنت جاريت السفيه بجهله .

(٢) فى ا : عاقب بدل عاتب ، وعلى بدل إلى .

(٣) فى ا : أبو دعبل ، وفى حـ : ابن ذيبا ، والصحيح ما أثبتناه كما فى م ، وأبو دهبل هو : وهب ابن زمعة بن أسد القرشى ، من أشراف جمح بن لؤى بن غالب ، أحد شعراء العشق المشهورين ، وله مدائح فى معاوية وابن الزبير . انظر المؤتلف ١١٧ ، الشعر والشعراء ٢٣٠ (الأعلام ١٤٩/٩) .

(٤) انظر البيت فى عيون الأخبار ٢٢/٢ ، الشعر والشعراء ٢٣٧ .

قال منصورٌ الفقيه :

إذا رِشْوَةٌ من بابِ قومٍ تَقَحَّمَتْ لتدخلَ فيه وَالأمانَةُ فيه
سَمَتْ هرباً منه وَولَّت كأنها حليمٌ تنحّى عن جواب سفيه[١]

وقال آخر :

العفوُ عند لبيبِ القومِ مَكْرُمَةٌ وبعضُه لسفيهِ الرّأيِ تدريبُ[٢]

(١) فى ح : عن جوار .

(٢) البيت فى الحيوان ١٦/١ ، وفيه موعظة بدل مكرمة .

بابُ مدح الجود والكرم ، وذم البخل واللؤم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « إياكم والشحّ ؛ فإنه أهلك من كان قبلكم ، أَمَرَهُم بالقطيعةِ فقطعُوا ، وَأَمَرَهُم بالبخلِ فبَخِلُوا ، وبالفجورِ فَفَجَرُوا » .

قال رسول الله صلّى الله وسلم : « لولا ثلاثٌ صَلُحَ النَّاس : شحٌ مطاعٌ ، وهوى متّبع ، وإعجابُ المرء بنفسه » .

قال الزُّبَيْر بن العَوَّام فى خطبة خطبها بالبَصْرة : أيُّها النَاسُ ! إنّ النبي صلى الله عليه وسلم أخذ يوماً بعمامتى من ورائى فقال : « يا زبيرُ ! إن الله يقول : أَنفِقْ أُنفق عليك (١) ، ولا تُوكِى(٢) فيُوكأُ عليك . أَوْسِع يُوَسَّعْ عليك ، ولا تُضيق فيضيَّقْ عليك . واعلم يا زبيرُ أن الله يحبّ الإنفاق ولا يحب الإقتار ، وَيحبّ السماحة ولو على فلق تمرة ، وَيحبّ الشجاعة ولو على قتل (٣) حية أو عقرب ، واعلم يا زبير أن لله كنوز(٤) أموال ســوى الأرزاق التى قسمها بين العباد ،

---

(١) ساقطة من ا .

(٢) توكى : تبخل .

(٣) ساقطة من ا .

(٤) فى جـ : فضول .

محتبسة عنده لا يعطى أحـداً منها شيئاً إلا من سأله من فضله ، فاسألوا الله من فضله » .

قال علىُّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه : البخـــل جلباب المسكنة ، وربما دخل السخىُّ بسخائه الجنة .

قال : ومن البخل تَرْكُ حقٍّ قد وَجب لخوف [1] شىء لم يقع .

روى عن النبىّ صلّى الله عليه وَسلّم أنه قال : « أقيلوا الـكرام عثراتهم » ويروى . « أقيلوا ذوى الهيَبات زلاتهم » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « المؤمن كريم ، وَالفاجر لئيم » .

قال جعفر بن محمد : قال الله عزّ وَجل : أنا جواد كريمٌ ، لا يجاورنى فى جنتى لئيم .

قيل للأحنف : ما الجود ؟ قال : بذل القِرى[2] ، وَكفُّ الأذى . قيل : فما البخل ؟ قال . طلبُ اليسير وَمنع الحقير . وَقد روى هذا من كلام أكثم بن صيفى والله أعلم .

سئل الخليل بن أحمد عن الجود ، فقال . بذلُ الموجود .

---

(١) فى ح : ترك شىء قد وجب خوف .. الخ .

(٢) فى ا : الندى .

قال بعض الحكماء : من أيقن بالخلف جاد بالعطية .

قال أحمد بن أبى دُوَاد : من نال دنيا فلم يرفع وليًا ، ولا وضع عدوًا فليس بكريم .

قال شُعيبُ بن حَرْب : ليس السخىُّ من أخذ المالَ من غير حلّه فبذّره ، وإنما السخىّ من عُرِض عليه ذلك المال فتركه ، أو جمع من حق وَوَضَع فى حق[1] .

كان زيادُ بن أبيه يقول : من منع ماله سُبُل الحمد أورثه من لا يحمده .

قال إبراهيمُ بن أبى عَبْلة[2] : سمعت أمَّ البنين أخت عمر بن عبد العزيز ، تقول : أف للبخل ! والله لو كان طريقًا ما سلكته ، ولو كان [3] ثوبا طريفا [3] ما لبسته .

قال معاوية بن أبى سفيان لأبى مسلم الخَوْلانى[4] : إنكم معشر العُبَّاد فيكم النكاح والحدة والسماح . قال : أما النكاح فإنا لا نعدل عن أهلينا ، وأما الحدة

---

(١) يأتى هذا الخبر فى ا بعد الحديث الأول مباشرة .

(٢) ساقط من ا .

(٣) إبراهيم بن (أبى عبلة) شمر بن يقظان بن عبد الله المرتحل الرملى وقيل الدمشقى ، من رجال الحديث الثقات ، ونقل ابن حجر عن ابن عبد البر فى التمهيد أن ابن أبى عبلة كان ثقة فاضلا ، له أدب ومعرفة ، وكان يقول الشعر الحسن . توفى إبراهيم سنة ١٥٢ هـ ، تهذيب التهذيب ١/١٤٢ ، ١٤٣ .

(٤) هو عبد الله بن ثوب الخولانى ، أبو مسلم ، تابعى فقيه زاهد عابد ، أسلم قبل وفاة الرسول ولم يره ، وكان يقال : أبو مسلم حكيم هذه الأمة ، توفى بدمشق سنة ٦٢ على الأصح ، انظر تهذيب التهذيب ١٢/٢٣٥ .

فإن قلوبنا ملئت خيرًا فلا موضع فيها للشر ، وأما السّماحُ فبحسن الظن منا بالخلف من الله تعالى .

قال سفيان بن عيينة : ما استقصى كريمٌ قط ، ألم تسمع إلى قول الله تعالى : ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾[١] .

قال أسماء بن خارجة[٢] : لو لم يَدْخُل على البخلاء فى بُخلهم إلاَّ سوء ظنِّهم بربهم فى الخَلَف لكان ذلك عظيماً .

قال زهير :

وَمَنْ يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفَضْلِهِ　　عَلَى قومه يُسْتَغْنَ عنه وَيُذْمَمِ[٣]

وقال محمد بن يسير :

كم مانعٍ نفسَه لذّاتِها حذرًا　　للفقرِ ليس لهُ من مالهِ ذُخْرُ
إن كان إمساكُهُ للفقرِ يحذَرُهُ　　فقد تعَجّلَ فقرًا قبل يفتقرُ

وقال آخر :

ما أعلم الناسَ أن الجودَ مدفعةٌ　　للبُخل لكنه يأتى عَلَى النَّشَبِ

---

(١) سورة التحريم ، الآية ٣.

(٢) ابن حصن بن حذيفة الفزارى ، تابعى من رجال الطبقة الأولى فى الحديث ، من أهل الكوفة ، وكان سيد قومه مقدما عند الخلفاء ، مات سنة ٦٦ هـ . انظر تاريخ الإسلام ٣٧٢/١ ، النجوم الزاهرة ١٧٩/١ (الأعلام ٢٩٩/١) .

(٣) شرح ديوان زهير ٣٠ .

وقال ابن مُطَير الأسدى (١) :

وما الجودُ عن فقرِ الرجال ولا الغنى　　ولكنّه خِيمُ الرّجال وخِيرُها (٢)

وقال آخر :

إنى امرؤٌ أَجْزِى الكريمَ بوُدِّهِ　　وأصدُّ عن وصل اللئيم وأقطعُ

وقال منصور الفقيه :

جهِلُوا القياسَ لِلُطْفِه فتوهَّمُوا　　أن البخيلَ وكلبَهُ مِثْلَانِ

والكلبُ يحفظُ أهله ويقيهمُ　　ويكفُّ طارقَهمْ عن العُدْوَانِ

والنذلُ يُوحِش أهلَه ويُجيعُهُمْ　　ويحضُّ ناصرَهُم عَلَى الخذلانِ

فهما ومن جعل الكلاب أعزة　　والباخلين أذلةً صِنْدَانِ (٣)

قال أردشير : احذروا صولةَ الكريم إذا جاع ، واللئيمِ إذا شبع ، واعلموا أن الكرام أصبرُ نفوساً ، واللئام أصبرُ أجساماً .

قال الشاعر :

إنّ ذا اللؤمِ إذا أكرمتَهُ　　حسب الإكرامَ حقًّا لَزِمَكْ

---

(١) ساقطة من ا ، وابن مطير هو الحسين بن مطير الأسدى ، مولاهم ، شاعر متقدم فى القصيد والرجز ، وفد على معن بن زائدة حين ولى اليمن فمدحه ثم رثاه حين مات ، توفى ابن مطير سنة ١٦٩هـ . انظر معجم الأدباء ٩٧/٤ ، فوات الوفيات ٤٤/١ ، (الأعلام ٤٨٥/٢) .

(٢) الخيم : الطبيعة والسجية .

(٣) فى جـ : والباخلان أذلة صنوان .

وأخا الفضلِ إذا أكرمتَهُ لم يُصَغِّرْكَ ولكن عَظَّمَكْ

قال أبو الطيب المتنبي :

إذا أنت أكرمتَ الكريم ملكتَه وإن أنت أكرمتَ اللئيم تمرَّدا[1]

وقال آخر :

أراكَ تُؤَمِّـــــل حسن الثَّنَا ءِ ولم يرزُق الله ذاكَ البخيلا

وقال آخر :

تريدين أن أَرْضَى وأنت بخيلةٌ ومن ذا الذي يُرْضِي الأخلاءَ بالبُخْلِ[2]

وقال آخر :

نَدَبْتُكُمُ[3] لِنَفْعِي أَنْ قَدَرْتُم فلم أر فيكم حُرًّا كريماَ
ومَالِيَ عنـــدكم ذنبٌ أراهُ سوى أني عرفتكُمُ قديماَ

وقال زيد بن عمرو النخعي :

لقد كذب المَعَاشِرُ حين قالوا عليٌّ والمُخَارِقُ سَيِّـــدانِ
هما حجرانِ من جبلٍ[4] صَلُودٍ إذا قيل ارْشحا لا يَرْشَحَانِ

---

(١) ديوانه ٣٦١ .
(٢) البيت في عيون الأخبار ٣/١٠٩ من غير نسبة .
(٣) في حـ : فديتكم .
(٤) في ا : من حجر .

فلولا البخلُ إن البخلَ عارٌ أبا عمرٍو إذًا أعجبتمانى

وقال ابن أبى فَنَن(١) :

وإن أحقَّ الناس باللَّوْمِ شاعرٌ يلومُ عَلَى البخل الرجالَ ويبخلُ

قال الحطيئة(٢) :

سُئلت فلم تبخلْ ولم تُعْطِ طائلا فسيّانَ لاذمٌّ عليك ولا حمدُ

وقال منصور الفقيه :

زادُ البخيلِ إذا مضى لسبيلِهِ ذمُّ العِـــدَا وقطيعةُ الورّاثِ

وَأخو السماح لحظه من أهله وَمن الغريب مدائحٌ وَمَراثِ

ولمنصور الفقيه أيضاً :

أما رغيف بنى السَّلِيْـ ـلِ فمنْ حَمَامَاتِ الْحَرَمْ

ما إن يُحَسُّ ولا يُمَسُّ (م) وَلا يُذَاقُ وَلا يُشَم

فإذا نزلتَ بــــــدارهم فانزلْ بِشِـدْقٍ مُلْتَثِمْ

حتى تعيشَ مُسَلَّمًا يا من يعيشُ بغيرِ فمْ

---

(١) هو أحمد بن صالح (أبو فنن) ، شاعر مجود نقى اللفظ ، أكثر من مدح الفتح بن خاقان ، انظر فى ترجمته تاريخ بغداد ٢٠٢/٤ ، زهر الآداب ٦٢/٤ ، وانظر البيت فى العقد ٤٦/٢ .

(٢) لم أعثر على البيت فى ديوانه ، وانظره فى محاضرات الأدباء ١٤٨/١ بدون نسبة .

ولمنصور الفقيه أيضاً :

إذا تَغَدَّوْا رَبطوا قِطَّهمْ بُخلاً بما تطرحُهُ المائدهْ
ما عرضت قطُّ لهم تخمةٌ ولا تَشكّوا مَعِدَةً فاسِدَهْ(١)

قال الحسنُ بن هانئ (٢) :

وباخلٍ جئتُهُ فقدّم لى كِسْرَةَ خبزٍ وعينُه عَبْرى
فقال ما تشتهى فقلت له قطعةَ جُبْنٍ وكسرةً أُخْرَى

وله أيضاً(٣) :

على خبزِ إسماعيلَ واقيةُ البُخْلِ فقد حلّ فى دار الأمانِ من الأكلِ
وماخبزُه إلا كآوى يُرى ابنُهُ(٤) ولم يُرَ آوى فى الحُزُونِ ولا السَّهْلِ
وما خبزُهُ إلاّ كعنقاءِ مُغْرِبٍ(٥) تُصَوَّر فى بُسْطِ الملوكِ وفى المُثْلِ
يُحَدِّثُ عنها الناسُ من غيرأن يروا(٦) سوى صُورَةٍ ما إنْ تَمرُّ ولا تَحْلِي

---

(١) فى حـ : المعدة الفاسدة .
(٢) ديوانه ١٧١ .
(٣) الأبيات قالها فى هجاء إسماعيل بن أبى سهل بن نوبخت ، انظر ديوانه ١٧١ ، وانظر هامش الحيوان ١٢٩/٣ ، ١٣٠ .
(٤) يطلق على الثعلب : ابن آوى ، ولكن آوى نفسه لاوجود له .
(٥) عنقاء مغرب طائر معروف الاسم لا الجسم .
(٦) فى ديوانه : من غير رؤية .

وما خبزُهُ إلاّ كليبُ بنُ وائلٍ ليالىَ يحمى(١) عزُّهُ مَنْبِتَ البَقْلِ
وإذْ هو لا يَسْتَبُّ خَصْمانِ عِنْدَه ولا الصوتُ مَرْفوعٌ بجدٍّ ولاهزلِ
فإنْ خبزُ إسماعيلَ حلَّ به الذى أصاب كُلَيْبًا لم يكنْ ذاكَ عن بَذْلِ
ولـكن قضاءٌ ليس يُسْطاع دَفْعُه(٢) بحيلةِ ذى ذهنٍ ولا فـكرِ ذى عَقْلِ

قلت(٣) : أرادِ بقوله : وإذ هو لا يستبّ خَصمان عنده قول مُهَلْهِـل :

أَوْدَى الخيارُ من المعاشر كُلُّهُمْ واستَبَّ بعدَكَ يا كليبُ المجلسُ
وتنازعوا فى أمرِ كلِّ عظيمةٍ لو قد تـكونُ شَهِدْتَهُمْ لم يَنْبِسُوا(٤)

وَكُلَيْب هذا هو الذى أراده النابغة الجعدى بقوله :

كليبٌ لعَمْرى كان أكثرَ ناصرًا وأيسرَ جُرْمًا منك ضُرِّجَ بالدَّمِ(٥)

قال عُبيد الله بن عِـكْرَاش ، ويروى لأبى يعقوب الخريمى :

وإنى لأرثِى للكريم إذا غدَا على طمعٍ عند اللئيم يُطَالِبُه

---

(١) فى ديوانه : ومن كان يحمى .
(٢) فى ديوانه : رده .
(٣) فى ا ، حـ : قال أبو عمر .
(٤) ورد البيتان فى الكامل ١٨٦/١ ، أمالى القالى ٩٥/١ ، حماسة أبى تمام ٣٩١/١ ، الحيوان ١٢٨/٣ ، والعقد الفريد ٢٩٨/٣ . ورواية الحماسة والأمالى للبيت الأول : نبئت أن النار بعدك أوقدت ، وفى الكامل والعقد : ذهب الخيار . والرواية للبيت الثانى فى الكامل والعقد : وتقاولوا بدل تنازعوا ، و . . . لو كنت حاضر أمرهم . وفى الحماسة والأمالى تكلموا بدل تنازعوا . و ... لو كنت شاهدهم بها . واتفقت رواية الحيوان مع الأصل .
(٥) البيت فى معجم الشعراء ٣٢١ ، العقد الفريد ٢١٥/٥ ، الحيوان ٣٢٢/١ ، التمثيل والمحاضرة ٦٢ ، ويروى : ذنباً بدل جرماً .

وأرني له من وقفةٍ عند بابه ... كمرتبتي للطِّرف والعايج راكبُه[١]

وقال جرير :

إنّ الكريمة ينصرُ الكرمَ ابنُها ... وابنُ اللئيمةِ للّئامِ نَصُورُ[٢]

[٣] وقال آخر :

إن منْ عضّت الكلاب عَصاهُ ... ثم أثرى فَمُعْجِزٌ أن يجُودَا [٣]

وقال منصور الفقيه :

قُلْ للكرامِ اعرِفوا حقَّ اللئامِ لكمْ ... إنّ اللئامَ لهمْ عند الكرامِ يَدُ

لولا اللئامُ لما عُدُّوا الكرامَ ولا ... بانُوا بفضلٍ إذا ما حُصِّل العَدَدُ

لكنهم جنحُوا للنَّقْصِ فانتقصُوا ... وزادَ غيرهُمُ فضلاً بما اعْتَقَدُوا

جادُوا فسادُوا وضَنَّ الآخرُون فما ... يَغْدُو عَلَى والدٍ من لُؤْمِهِ وَلَدُ

قد ساء ظنّي بما قد كنتُ أَحْمَدُه ... لمّا رأيتُ جميع الناسِ قد فَسَدُوا

تدارَسُوا البخلَ حتّى دَقَّ مذهبُهُمْ ... فيه وَدانوا بإخْلافِ الذى وَعَدُوا

فاستثقَلُوا كلَّ مَنْ أصغَى لبُخْلِهِمُ ... واستَجْهَلُوا كلَّ من وَاسى بما يجِدُ

---

(١) البيتان فى عيون الأخبار ١/٨٩ ، البيان ٣/ ١٨٥ وفيه : على حاجة بدل طمح . والطرف : الجواد الكريم .

(٢) ديوان جرير ٣٠١ ، وفى ا : ابن الكريمة .

(٣) ساقط من ا .

فصارَ للبخلِ حَقُّ الجـودِ بَيْنَهُمُ ... وَأَلْزَمُوا الجـودَ عَارَ البخلِ لا رَشَدُوا

وقال آخر :

فإن سمعت بِهُلْكٍ للبخيلِ فقُـلْ ... بُعْدًا وَسُحْقًا له من هالكٍ مُودِى[١]

قال محمود الوراق :

إذا أعطاكَ قتّر[٢] حين يُعطى ... وإن لم يُعْطِ قال أبَى القضاء

يُبخّـل ربَّه سَفَهًا وظُلما ... ويعذِرُ نفسه فيما يشاء

تَنَقَّـلَ عن فعالِ الخيرِ جَهْلا ... مخَافَةَ أن يضرَّ به العنـاء

وقال الحسنُ بن هانىء[٣] :

رأيتُ الفضلَ متـكئًا ... يُناغِى الخبزَ والسَّمَـكا[٤]

فقَطَّبَ حين أَبْصَرَنى ... ونـكَّس رأسَهُ وَبـكى[٥]

---

(١) البيت فى الحيوان ٣/٥٠ من غير نسبة .

(٢) الأبيات فى محاضرات الأدباء ١/٢٩٠ ، وفيها : قصر بدل قتر .

(٣) وردت الأبيات فى ديوانه ١٨٦ ، وكذلك وردت فى ديوان أبى العتاهية ١٨١ ، والصحيح الأشهر أنها لأبى نواس .

(٤) فى ديوان أبى العتاهية : يناغى البحر .

(٥) رواية البيت فى ديوان أبى نواس :

فأسبل دمعه لمـا ... رآنى قادما وبكى

وفى ديوان أبى العتاهية :

وأرسـل عينه لما ... رآنى مقبلا وبكى

فلما أنْ حلفتُ لهُ　　بأنّى صائمٌ ضَحِكا

ولمنصور الفقيه أيضاً :

أتيتُ عَمْرًا سَحَرًا　　فقال : إنِّى صائمُ

فقلت : إنى قاعِدٌ　　فقال : إنى قائمُ

فقلت : آتيكَ غداً　　فقال : صَوْمِى دائمُ

قال جَحْظة[1] :

دخلتُ على باخلٍ بالطعام　　فماتَ من الْخَوْفِ لَمّا دخلتُ

فقلتُ له : لا يَرُعْك الدُّخولُ　　فما جئتُ بيتَكَ حتى أكلتُ

وقال أبو نواس :

أبو نُوحٍ دخلتُ عليه يوما[2]　　فغدَّانى برائحـــة الطعام

فكان كمن سَقى الظمآنَ آلاً　　وكنت كمن تغدّى فى المنام[3]

وقال منصور الفقيه :

إن لم يُصِبْكَ من الكر　　يم الحرِّ وابلُه فطلُّهْ

---

(١) جحظة هو أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكى ، من بقايا البرامكة ، كان فى عينيه نتوء فلقبه ابن المعتز بجحظة ، وكان جحظة مليح الشعر ، حاضر النادرة ، عارفا بالموسيقى ، توفى سنة ٣٢٤ هـ ، انظر معجم الأدباء ١/٣٨٣ ، تاريخ بغداد ٤/٦٥ (الأعلام ١/١٠٣) .

(٢) فى ا : نزلت وسقطت منها كلمة يوما .

(٣) لم أعثر على البيتين فى الديوان ، وهما فى عيون الأخبار ٣/٢٦٤ ؛ ووردا فى العقد الفريد ٦/١٨٧ من غير نسبة .

إن الكريم له على معروفهِ نفسٌ تدُلُّهُ
يُبْدِي مكارمَه كما يُبْدِي فِرِنْدَ السّيف صَقْلُهْ

قال آخر :

وإن جُمِعَ الآفاتُ فالبُخل شَرُّها وشَرٌّ من البُخلِ المواعيدُ وَالمَطْلُ[1]

وقال منصور الفقيه :

إذا كان فى بخله مُحْكَمًا وَحلَّ من المجد أَعْلَى الدَّرجْ
وَجاءكَ يخطبُ زنجيّةً مُشَوَّهةَ الخلْقِ فيها هَوَجْ
فلا تحفلنَّ به خاطبًا وَلا تفرَحَنَّ وَلا تَبْتَهِجْ
وإن كان سَمْحًا جَميلَ الفعَالِ كَرِيمًا جَوَادًا فإنَّ الحَرَجْ
وإن القطيعةَ فى صَرْفِهِ وَلوجاء يخطبُ إحدى المُهَجْ
بغيرِ صَدَاقٍ لإعْسارِهِ وَما عُسْرُ منتَظِرٍ للفَرَجْ

قال حمّاد عَجْرَد ، وتروى للعتّابى[2] :

إن الكريمَ ليُخفى عنك عُسْرَتَهُ حتى تراه غنيًا وهو مَجْهُودُ[3]

---

(١) البيت فى العقد ٢/٢٥٢

(٢) نسبت الأبيات لحماد فى عيون الأخبار ٣/١٧٨ ، العقد الفريد ١/ ٢٧٤ ، ٦/١٩٤ ، ونسبت للعتابى فى أمالى القالى ٢/ ١٣٥ ، وتعقبه البكرى فى التنبيه ١٠٧ فذكر أن الأبيات لبشار وليست للعتابى ، وقد وردت الأبيات فى ديوان بشار ٢/٢٣٦ كما وردت فى ترجمة بشار فى الأغانى ١/٣٠٢ .

(٣) رواية العقد فى الجزء الأول لهذا البيت موافقة لما هنا ، وفى الجزء السادس أورده بهذه الرواية :

إن الكريم ترى فى الناس عفته حتى يقال غنى وهو مجهود

وللبخيـــلِ على أموالِهِ عِلَلٌ زُرْق العُيون عليها أوجهٌ سُود

إذا تكرهتَ أن تعطى القليل[1] ولم تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لم يظهر الجودُ

أَوْرِقْ بخيرٍ تُرَجَّى للنوالِ فما تُرْجَى الثمارُ إذا لم يُورِق العودُ

بُثَّ النـوالَ وَلاَ تَمْنَعْكَ قلتُه فـكلُّ ما سدَّ فقرًا فهو محمودُ

وقال منصور الفقيه :

ما بالبخيل انتفاعٌ والكلب ينفع أَهْلَهْ

فنزِّه الكلب عن أن ترى أَخا الكلب مثلَهْ

أخبرنا عبدالوارث ، قال : حدثنا قاسم ، قال : حدثنا أبو عيسى ، قال : أنشدنى ابن المعلم لعلى بن الجهم :

وإذا الكريمُ أتيتَه بخديعةٍ ألفيتَه فيما تَرُومُ يُسَارعُ

ليس الكريمُ كما ظننتَ بجاهلٍ إن الكريمَ لفضلِهِ يتخادَعُ[2]

قال آخر :

لا تطلبن إلى لئيم حاجـةً واقْعُدْ فإنَّكَ قائمًا كالقاعدِ

---

(١) فى الأمالى : إذا تكرمت عن بذل .

(٢) ديوانه ١٣٢ .

يا خادعَ البُخَلاءِ عن أموالهم هَيْهَاتَ تضربُ فى حـديدٍ باردِ[1]

قال آخر :

طعامُهُ النَّجْمُ لمن رَامَهُ وخبزُهُ أبعدُ مِن أَمْسِهِ
كأنَّه فى جوفِ مِرْآتِهِ يُرَى ولا يُطْمَعُ فى لَمْسِهِ

قال آخر :

إن كنت تَطْمعُ فى كلامِهْ فارْفَعْ يمينَك عن طَعَامِهْ
سِيَّـانَ كَسْرُ رَغيفِهِ أَو كَسْرُ عظمٍ من عِظَامِهْ[2]

وقال دِعْبل بن على الخُزَاعى :

لَئِنْ كُنْتَ لا تُولى يَدًا دون إِمْرَةٍ فلستَ بمولٍ نائلاً آخِرَ الدَّهْرِ
وأىُّ جوادٍ لم يَجُـدْ فى ملمةٍ وأى بخيل لم يُنِلْ ساعَةَ الْوَفْرِ[3]

وقال منصور الفقيه :

راجى البخيلِ وضيعٌ كما البخيـلُ وَضيعُ

(١) البيتان فى عيون الأخبار ٣/١٣٥ .

(٢) ورد البيتان بنفس الرواية فى العقد الفريد ٦/١٩١ ، محاضرات الأدباء ١/٣١٦ ، ووردا على خلاف هذا الترتيب فى عيون الأخبار ٢/٣٧ ، وفيها : لاتكسرن رغيفه إن كنت الخ . وقد نسب البيتان فى المحاضرات لليزيدى النحوى وكذلك فى وفيات الأعيان ٥/٢٣٥ .

(٣) ديوانه ٧٤ .

وما يقول سِوَى ذَا   فى ذَيْنِ إلاّ رَقِيعَ

للعَرْزَمِى ويروى لأبى الأسود الدؤلى :

وإذا طلبتَ إلى كريمٍ حاجةً   فلقاؤه يكفيك والتسليمُ
وإذا طلبت إلى لئيم حاجة   فألحّ فى رفقٍ وأنت مديمُ(١)

وقال آخر :

إذا سُسْتَ قوماً فاجعل الوُدَّ بينهم   وَبينَكَ تأمنْ كلّ ما تتَخَوّفُ
فإن خفت من أهواء قومٍ تَشَتُّتًا   فالباجود فاجمع بينهم يتألَّفُوا
فإنْ كشفَتْ عنكَ الملماتُ عَوْرَةً   كفاكَ غِطاَء الجودِ ما يتكشفُ(٢)

قال ابن شهاب : الكريم لاتبخّلُه التجارب . ويروى عنه أنه قال : إن الكريم لا تحْكمُه التجارب .

وسئل الحسنُ بن على رضى الله عنهما عن البخل ، فقال : هو أنْ يرى الرجل ما ينفقه تلفا ، وما أمسكه شرفا .

قال طاووس : البخلُ أن يبخلَ الإنسان بما فى يديه ، والشّح أن يشح بِمَا(٣)

---

(١) سبق البيتان فى ص ٣٢٢ .
(٢) الأبيات فى أمالى القالى ١/٢٣٩ ، منسوبة إلى أعرابى قالها للنعمان بمناسبة توليته الملك .
(٣) م : على ما فى .

في أيدى الناس ، ويحب أن يكونَ له ما في أيديهم بالحلّ والحرام ولا يقنع

وقال أبو العتاهية[1] :

وإن امرءًا لم يربح الناسُ نفعَهُ ... وَلم يأمنوا منه الأذى للئيمُ
وإن امرءًا لم يجعل البِرَّ كنزَهُ ... وإن كانت الدنْيا له لَعَدِيمُ

---

(١) ديوانه ٢٤٢ .

باب المروءة والفتوة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حَسَبُ المؤمن دِينه ، وكَرَمُه تقوَاه ، وَمُرُوءَتُه عَقْلُه » . ويروى نحو هذا من كلام عمر أيضاً .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلّم ، أنه قال لرجل من ثقيف : « ما المروءة قال : الصلاح فى الدين ، وَإصلاح المعيشة ، وَسخاء النفس ، وَصلة الرحم . فقال عليه السلام : « هكذا هى عندنا (١ فى حكمة آل داود » ١) .

تَذَاكَرُوا المروءةَ عند رسول الله صلى الله عليه وَسلّم ، فأكثروا فيها ، فقال : « أَمَّا مروءتناَ فأن نعفوَ عمن ظَلَمنا ، ونُعطِيَ من حَرَمنا ، و نصل من قَطَعنا » .

قال منصور الفقيه :

أَعْلَنَ وَهبٌ كرمَهْ ... فى وَصْلِهِ من صَرَمَهْ
وَعَفْوِهِ عَنْ كُلِّ مَنْ ... أَسْخَطَهُ أَو ظَلَمَهْ
وبِرِّهِ بنفسه ... وماله من حرمه[2]
فما يراهُ مُعظمٌ ... لِلْحَقِّ إلاَّ أعظمه

(١) ساقط من ح .

(٢) ا : حرمه .

أُبْقِى عليه الله — مَا　　أبقاه فينا — نِعَمَهْ
وزاد فيها عِنْدَهُ　　وَحَاطَهُ وَسَلَّمَهْ

(١ من حديث عطاء عن ابن عباس ، قال : رُفع إلى عمر بن الخطاب رجل فى جُرْم ، فأراد أن يعاقبه ، فأُخْبِر أن له مروءة ، فقال : استوهبوه من صاحبه ١) .

سئل عبد الله بن عمر ، عن المروءة والكرم والنجدة . فقال : أما المروءة : فحفظ الرجل نفسه ، وإحرازه دينه ، وحسن قيامه بصنعته(٢) ، وحسن المنازعة ، وإفشاء السلام . وأما الكرم : فالتبرع بالمعروف ، والإعطاء قبل السؤال ، والإطعام فى المَحْل . وأما النجدة : فالذب عن الجار ، والصبر فى المواطن ، والإقدام على الكريهة .

[وفى رواية أخرى ، أن معاوية قال فى مجلسه يوماً لمن حضره : من يخبرنى عن المروءة والجود والنجدة ؟ فقال عبد الله بن هاشم بن عتبة(٣) ، وكان بعد عفوه عنه يحضر مجلسه : قال : يا أمير المؤمنين ! أما المروءة فالصلاح فى الدين ، والإصلاح

---

(١) ساقط من ا .

(٢) ا : وضيعته .

(٣) الصحيح أنه هاشم بن عتبة بن أبى وقاص أبى المرقال ، وليس عبد الله بن هاشم بن عتبة كما صحح ذلك ابن حجر فى الإصابة ، وهاشم هو ابن أخى سعد بن أبى وقاص ، أسلم يوم الفتح وشهد مع سعد حرب الفرس بالقادسية وله بها آثار مذكورة ، ثم كان على الرجالة فى صفين مع على ، والصحيح أنه قتل بها سنة ٣٧ ولم يجالس معاوية ، انظر الإصابة الترجمة ٨٩١٣ ، وقعة صفين ١٢٥ ، الأعلام ٩/٤٩ .

فى المال ، والمحاماة عن الجار . وأما النجدة فالجرأة على الإقدام ، والصبر عند ازورار الأقدام][(١)] .

قال طلحة بن عبيدالله[(٢)] : جلوس الرجل ببابه من المروءة ، وليس من المروءة[(١)] حمل الكيس في الكم .

سئل الأحنف عن المروءة ، فقال : التفقُّهِ فى الدِّين ، وبرُّ الوالدين ، والصبرُ على النوائب .

ويروى عن الأحنف أيضاً أنه قال : لا مروءةَ لكذُوب ، ولا أخَ لمَلُول ، ولا سُؤْدَدَ لسيّء الخُلُق .

سئل ابن شهاب الزّهرى عن المروءة ، فقال : اجتناب الرِّيَب ، وإصلاح المال ، والقيام بحوائج الأهل .

سئل إياس بن معاوية عن المروءة ، فقال : أما حيث تُعرف فالتقوى ، وأما حيث لا تعرف فاللِّباس .

وقال الزهرى أيضاً : الفَصَاحة من المروءة .

قال إبراهيم النخعى : ليس من المروءة كثرةُ الالتفات فى الطريق .

---

(١) ساقط من ا .

(٢) طلحه بن عبيد الله بن عثمان التيمى القرشى ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وكان يقال له طلحة الجود ، قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة سنة ٣٦ هـ ، ودفن بالبصرة ، انظر المراجع الكثيرة عنه فى هامش الأعلام ٣/٣٣١ ، ٣٣٢ .

قال غيره : من كمالِ المروءةِ أن تصونَ عِرْضك ، وتكرم إخوانك ، وتقيل في منزلك .

قال منصور الفقيه :

من فَارَقَ الصَّبْرَ وَالْمُرُو ءَةَ أَمْكن من نفسه عَدُوَّهْ

قال ربيعة بن عبد الرحمن : للسفر مروءة ، وللحضر مروءة . فالمروءة في السفر : بذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح في غير مساخط الله . والمروءة في الحضر : إدمان الاختلاف إلى المساجد ، وتلاوة القرآن ، وكثرة الإخوان في الله عز وجلّ .

وفي رواية أخرى عن ربيعة أنه قال : المروءة ست خصال : ثلاث في الحضر ، وثلاث في السفر ، فأما التي في السفر : فبذل الزاد ، وحسن الخلق ، ومداعبة الرفيق . وأما التي في الحضر ، فتلاوة القرآن ، ولزوم المساجد ، وعفاف الفرج .

قيل لبعض الحكماء : متى يجب لذي المُرُوءة إخفاء نفسه وإظهارها ؟ قال : على قَدْرِ ما يرى من نَفاق المروءة وكَسَادِها .

كان يقال : صُن عقلَك بالحلم ، ومروءتك بالعفاف ، ونجدَتك بترك الخيلاء ، وجَهْدَك بالإجمال في الطلب .

أخبرنا عيسى بن سَعيد ، حدثنا مِقْسَم ، حدثنا أبو بكر محمد بن حَمْدان ،

حدثنا أبو محمد أحمد بن مُحمّدُ بن عبد الله بن العبّاس بن عثمان بن شافع بن السّائب ، عن عبد يزيد بن هشام بن عبد [1] المطلب بن عبد مناف ، قال : حدثني عمي عن إبراهيم بن محمّد بن العباس ، قال : سمعتُ سفيانَ بن عيينة ، وقد سُئل عن المروءة ماهي ؟ فقال : الإنصافُ من نفسك ، والتفضلُ على غيرك ، ألم تسمعْ قول الله تعالى : ﴿إنّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْلِ والإحْسَانِ﴾ [2] لاتتمُّ المروءة إلاّ بهما ، العدلُ هو الإنصاف، والإحسان التفضل .

[3] روى عن الفُضَيْل بن عياض رحمه الله ، أنه سئل عن الرجل الكامل التام المروءة فقال : الكامل من برّ والديه ، ووصل رحمه ، وأكرم إخوانه ، وحسّن خلقه ، وأحرز دينه ، وأصلح ماله ، وأنفق من فضله ، وحسن لسانه ، ولزم بيته .

قال الشاعر :

وإذا الفتى جَمَع المروءةَ والتُّقى ... وَحَوَى مع الأدبِ الحياءَ فقد كَمُلْ [3]

قال رجل من بني قُرَيْع :

إذا المرءُ أعيتْهُ المروءةُ ناشئًا ... فمطلبُها كَهْلاً عليه شَديدُ [4]

قال جعفر بن محمد : لادِينَ لمن لا مروءة له .

---

(١) ساقطة من ا .

(٢) سورة النحل ، الآية ٩٠ .

(٣) ساقط من ج .

(٤) البيت في البيان ١/٢٧٠ ، العقد الفريد ٢/٤٣٥ .

قال أحمد بن المعدّل : زعموا أن الأحنف بن قَيْس لم يُسْمع له شعرٌ غيرَ هذين البيتين ، وهما :

فلَوْ مُدَّ سَرْوِى[1] بمالٍ كثير ... لجُدْتُ وَكُنْتُ له باذِلاَ

فإنَّ المـــروءةَ لا تُسْتَطَاعُ ... إذا لم يكن مالُها فاضِلاَ[2]

وَقال آخر :

رُزِقْتُ لُبًّا ولم أُرْزقْ مُروءَتَهُ ... وما المروءةُ إلاّ كثرةُ المالِ

إذا أردتُ مُسَامَاةَ تَقَعَّدُنِى ... عما يُنَوِّهُ باسمى رقةُ الحالِ[3]

[4] وقال منصور الفقيه :

كلٌّ من فارق المروءة عاشا ... ونمـــا وفرُه وَزاد رياشاَ

وأخو الفضل والمروءة والدِّيـ ... ـنِ مُقِلٌّ أمورُه تتلاشى [4]

وَقال سفيان الثورى : من لم يَتَفَتَّى لم يُحْسن يَتَقَرَّا[5] .

ذكرت الفتوة عند سفيان رحمـــه الله ، فقال : ليست بالفسق ولا الفجُور ،

---

(١) السرو : المروءة والشرف .

(٢) البيتان فى البيان ١/١٨٤ ، وانظر الثانى فى التمثيل والمحاضرة ٤٢٢ .

(٣) البيتان فى عيون الأخبار ٣/٢٣٩ ، البيان ٣/١٨٣ وفيه تقاعدنى بدل تقعدنى .

(٤) ساقط من حـ .

(٥) تفتى : فعل ما يفعله الفتيان من اللهو ، وتقرا : تنسك وتورع .

ولكنّ الفتوة كما قال جعفرُ بن محمد : طعامٌ موضوع ، وحجابٌ مرفوع ، ونائل مبذول ، وبشر مقبول ، وعفاف معروف ، وأذى[١] مكفوف .

قال محمد بن داود : من كان ظريفاً فليكن عفيفا ، وأنشد لابن هَرْمَة[٢] :

ولربَّ ليلةِ لذةٍ قد نلتُها   وحرامُها بحلالِها مَدْفُوعُ

وقال صريعُ الغَوَانِي[٣] :

وما ذَمّيَ الأيامَ أن لستُ حامِدًا   لعهدِ لَيالِيَّ التِي سَلَفَتْ قَبْلُ
ألا رب يومٍ صادقِ العَيْشِ نلتُهُ   بها ونداماىَ العفافةُ والبذلُ

وقال منصور الفقيه :

فَضْلُ التّقَى أفضلُ من   فَضْلِ اللّسانِ وَالْحَسَبْ
إذا هما لم يُجمعا   إلى العفافِ والأَدَبْ

---

(١) فى ا : وإناه .

(٢) هو إبراهيم بن على بن سلمة بن عامر بن هرمة الكنانى القرشى ؛ شاعر غزل من سكان المدينة ، من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، رحل إلى دمشق ومدح الوليد بن يزيد فأجازه ، ثم وفد على المنصور من بعد فلقى منه جفاء فانقطع إلى الطالبيين ، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم ، توفى سنة ١٧٦ هـ . انظر تاريخ بغداد ١٢٧/٦ .

(٣) ساقطة من حـ وفى ا زاد الناسخ بعد كلمة صريع : « الدلاء » ، على أساس أن البيتان لصريع الدلاء (محمد بن عبد الواحد القصار) ، والواقع أن هذا خطأ ، فالبيت لصريع الغوانى مسلم بن الوليد ، وهو فى ديوانه ١٩١ .

وقال آخر :

وليس فَتَى الفِتيان من رَاحَ واغْتَدى   لشُرْبِ صَبُوحٍ أو لشُرْبِ غَبُوقِ[1]

ولكنْ فتى الفتيان من راح واغتدى   لضَرِّ عَدُوٍّ أو لنفعِ صديقِ[2]

وقال جحظة :

ألا يأهْلَ بغدادٍ جميعاً   عصيتم فى المروءة من بَرَاكُمْ

تذمُّون الزمانَ بغيرِ جرمٍ   وما بزمانكم عيبٌ سِوَاكُمْ

---

(١) الصبوح : ما يشرب من الخمر بالغداة فما دون القائلة ، والغبوق التى تشرب بالعشي .

(٢) البيتان فى عيون الأخبار ٣/١٧٨ ، العقد الفريد ٣/١٧ .

بابُ امتحانِ أخلاقِ الرِّجال

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الأرواح أجنادٌ مُجَنَّدة ، فما تعارف منها ائتلف : وما تناكرَ منها اختَلف » .

أخذه بعضُ الشعراء فقال :

إن القلوبَ لأجنادٌ مجنّدةٌ ... للهِ فى الأرض بالأهواء تعترفُ

فما تعَارفَ منها فهو مؤتلفٌ ... وما تناكرَ منها فهو مُختَلِفُ(1)

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : «النـاس كإبل مائة لا تـكاد تجد فيها راحـلة » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الأمير إذا تجسس على الناس أفسدهم » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَجدت الناس اخبُرْ تَقْلُهْ » . وَقد روى هذا مَرْفوعًا عن أبى الدرداء .

وفى خبر آخر : « إن الناسَ سواسيةٌ كأسنانِ المُشْط » .

---

(1) البيتان فى العقد الفريد ٢/٣٢٩ ، وقد ورد البيت الأول هناك :

إن النفوس لأجنـاد مجندة ... بالإذن من ربنا تجرى وتختلف

كان يقال : لا يزال الناس بخير ماتباينوا ، فإذا تساوَوْا هلكوا .

قال الشاعر :

سَوَاءٌ كأسنان الحمارِ فلا تَرَى لذى شيبةٍ منهم على ناشىءٍ فَضْلاَ[1]

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الناسُ بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : خالطِ المؤمِنَ بقلبك ، وخالط الفاجر بخُلقك .

كان يقال : يُمتحن الرجلُ فى ثلاثة أشياء : عند هواه إذا هَوِىَ ، وَعند غضبه إذا غضب ، وَعند طمعه إذا طمع .

قال أبو عَمْرو بن العَلاَء : إذا أردتَ أن تعرف مالك عند صديقك فاعرف ما كان لصديقه قبلك عنده .

قال سفيان الثورى : إذا أردتَ أن تعرف مالك عند صديقك فأغضبه ، فإن أنصفك فى غضبه وإلا فاجتنبه .

قال الفضلُ بنُ عباس بن عُتْبة بن أبى لَهَب[2] :

إذا أردتَ وِدادَ امرىءٍ فَسَلْ كيف كان لإخْوَانِهِ

(١) البيت لكثير عرة ديوانه ١٦٩/١ ، وقد ورد فى الحيوان ١٠٧/٦ والرواية فيه سواس بدل سواء .

(٢) من فصحاء بنى هاشم ، كان شديد السمرة وعرف لذلك بالأخضر واللهبى نسبة الى أبى لهب ، فى شعره رقة ، مات فى خلافة الوليد بن عبد الملك نحو سنة ٩٥ هـ المؤتلف والمختلف ٣٥ (الأعلام ٣٥٦/٥) .

فإمّا رضيتَ فأحببتَهُ　　وإما ترغَّبتَ عن شأنِهِ

قال الأحنف بن قيس : ما كشفتُ أحدًا قط إلاّ وجدته دون ما كنت أظن

قال تأبّط شرًّا :

لتقرعِنّ عليّ السّنّ من ندمٍ　　إذا تذكرتِ يومًا بعضَ أخلاقي[1]

وقال آخر:

إنّ المودةَ بالتجاربْ　　قَضَّتْ من النّاسِ المآربْ
لم تَتْرُكْ لِي صَاحِبًا　　أصبُو إليه ولا أُعاتِبْ
متفردًا بتَوَحُّدي　　دونَ الأباعِدِ والأقاربْ
ارغبْ إلى اللهِ الذى　　يُعْطِي الجزيلَ من المواهبْ
بالله تَتّسِعُ الفجا　　جُ إذا تضَايقت المذاهبْ

كان سفيان الثّوري يتمثل بهذه الأبيات :

ابْلُ الرجالَ إذا أردت إخاءهُمْ　　وتوسّمنّ أمورَهم وتفقّدِ
وإذا ظفرتَ بذى الأمانةِ والتّقى　　فبهِ اليَدَيْنِ قريرَ عين فاشْدُدِ
ودع التذلّلَ والتخشّعَ تَبْتَغِي　　قربَ الّذى إنْ تدنُ منه يبعدِ[2]

---

(١) البيت فى الشعر والشعراء ١٧٦ ، والحيوان ١/٦٣ ، التمثيل والمحاضرة ٥٩ .

(٢) نسبت الأبيات لعبد الله بن معاوية الجعفرى فى حماسة البحترى ٧٨ ، ونسبت فى أمالى القالى للمقنع الكندى ، والرواية فى حماسة البحترى : أخا العفافة والنهى بدل ذى الأمانة والتقى ، وفى الأمالى : توسمن فعلهم بدل أمورهم ، وذى اللبابة بدل الأمانة .

وقال آخر :

أَهْلَكَنِي بزيادٍ ثِقَتِي وَظُنُونٌ بزيادٍ حَسَنَهْ
ليس يَسْتَوْجِبُ شكرا رجلٌ نلتُ خيرًا منه من قبلِ سَنَهْ[1]

وقال يزيدُ بن محمد المهلبيّ :

ومن ذا الذى تُرْضَى سجاياه كلُّها كفى المرء نُبْلاً أن تُعدَّ معايبُهْ[2]

وقال آخر :

إنَّ الرجالَ إذا اختبرتَ طباعَهُمْ ألفيتَهُمْ شتّى على الأَخْبارِ
لا تعجلَنَّ إلى شريعةِ مَوْرِدٍ حتى تبيَّنَ صَفْحَةَ الإصْدارِ[3]

وقال آخر :

اترك مكاشفةَ الصديق إذا غطّى على هَفَواته سِتْرُ
وتجافَ عنه بلا مُصارَمَةٍ فلنعمَ صائنُ عرضِك الصَبْرُ

وقال آخر :

لا تحمدنّ امرءًا حتى تجربَهُ ولا تذمنه من غيرِ تَجْرِيبِ[4]

(١) البيتان فى عيون الأخبار ٣/١٦٥ ، محاضرات الأدباء ١/٢٧٠ .
(٢) البيت فى محاضرات الأدباء ١/١٤٥ .
(٣) البيتان فى عيون الأخبار ٣/١٧٠ وفيها خطة بدل صفحة .
(٤) نسب هذا البيت فى حماسة البحترى ٣٦٩ لأبى الأسود الدؤلى ، ونسب فى المؤتلف ١٩٢ للنابغة الذبيانى .

وقال محمود الوراق :

لا يغلبنَّكَ غالبُ الحِرْصِ　　واعلمْ بأنَّ النَّاسَ فى نَقْصِ
والبس أخاكَ على تَصَنُّعِهِ　　فلرُبَّ مُفْتَضِحٍ على النَّصِّ
ما كدتُ أفحص عن أخى ثقة　　إلا ذممتُ عواقب الفَحْصِ(١)

وقال آخر :

إذا أنكرتَ أخلاقَ الصّديق　　فلستَ من التَّحَيُّزِ فى مَضِيقِ
طريقاً كنتَ تَسلكهُ سليماً　　فأسْبِعَ فاجتنبْهُ إلى طريقِ

وقال آخر :

لا تحمدنّ امرءًا حتى تجربَهُ　　فرُبّما لم يوافق خُبْرُه خَبَرَهْ

وقال آخر :

إذا أنت لم تَسْتَقْبِل الأمرَ لم تَجِدْ　　لكفِّك فى إدْبَارِه مُتَعَلَّقَا
إذا أنت لم تترك أخاك وَزَلَّةً　　إذا زلّها أوشكتُمَا أن تفرَّقَا

قال آخر :

قد كنتُ أحمدُ أمرى فيك مُبْتَدِئًا　　فقد ذممتُ الذى أحْمَدْتُ فى صَدَرِى

(١) هذا البيت ساقط من ا . وانظر الأبيات فى نهاية الأرب ٣/٨٥ ، أمالى القالى ٢/١٣٨ ، والثالث فى التمثيل والمحاضرة ٨٥.

فاذهبْ فأنْتَ امرُؤٌ لا شَكَّ أوّلُهُ حُـلْوٌ وآخره مُرٌّ على الخَبَرِ

قال مُعاذُ بن جَبَل : إذا أحببتَ أخًا فى الله ، فلا تُمارِه ولاتشاره (١) ولاتسلْ عنه أحدًا ، فلربما أخبرك بما ليس فيه ، فحالَ بينك وبينَه .

قال الشاعر :

أردتُ لكيما لا تُرَى لِيَ زَلَّةٌ ومن ذا الذى يُعْطَى الكَمَالَ فَيَكْمُلُ (٢)

أجمعوا على القول بأن الله تعالى تفرّد بالكمال ، ولم يبرئ أحداً من النقصان .

قال أبو بكر بن دُرَيْد :

إذا تصفحتَ أمورَ النّاسِ لم تلْفِ امْرَءًا حازَ الكمالَ فاكتفى (١)
من لك بالمهذب النّدْب الذى لا يَجدُ العيْبُ إليه مُخْتَطاً
كم من أخٍ مسخوطةٍ أخلاقهُ أصفَيْتُهُ الوُدَّ لخلق مُرْتَضى (٣)

وقال النابغة الذبيانى :

ولست بمستبْقٍ أخًا لا تَلُمُّهُ على شعثٍ أىُّ الرجالِ المُهَذَّبِ (١)

---

(١) الكلمة ساقطة من حـ ، ومعنى لاتشاره لاتجادله ولا تعيبه .
(٢) البيت لثروان العكلى كما فى أمالى القالى ٢/٤٣ .
(٣) انظر الأبيات فى مقصورة ابن دريد ٥ .
(٤) البيت فى ديوانه ١٤ .

وقال ابن وكيع :

من لم يكن مُؤاخياً إلاّ الّذِى　　لاعيبَ فيهِ عاشَ فَرْداً فى الوَرَى

وقال آخر :

ما بالمنازلِ من ضِيقٍ ومن ضَجَرِ　　بل الطَّبائعُ منها الضّيقُ والضَّجَرُ

وقال آخر :

كل خليلٍ كنتُ خاَلَلْتُه　　لا ترك اللّهُ له واضِحَــهْ[1]

كلُّهُمْ أروغُ من ثعلبٍ　　ما أشبهَ الليلةَ بالبارحــهْ[2]

وقال آخر :

كل امرئ صائرٌ يوماً لشيمته　　وإن تخلّق أخلاقاً إلى حينِ[3]

وقال عباس بن الأحنف :

وما مرّ يومٌ أرتجى فيه راحةً　　فأُخْبِرَه إلاّ بكَيْتُ على أمْسِ[4]

---

(١) الواضحة : الأسنان التى تبدو عند الضحك .

(٢) البيتان لطرفة بن العبد ، ديوانه ٤٣ ، وفى الحيوان ٣٠٥/٣ وردت الرواية : وصاحب قد كنت صاحبته .

(٣) البيت لذى الإصبع العدوانى ، وقد ورد فى الكامل ١١/١ ، حماسة البحترى ٣٥٨ ، عيون الأخبار ٦/٣ ، والمؤتلف ١١٨ ، والرواية فيها كلها : راجع بدل صائر .

(٤) ديوانه ٧٥ ، وقد نسب البيت للأحنف بن قيس فى عيون الأخبار ٤/٢ .

وقال آخر :

عليكَ بالقصدِ فيما أنتَ فاعلُهُ إنّ التخلُّقَ يأبَى دُونَه الخلُقُ

ولا يواتيك فيما نابَ من حَدَثٍ إلاّ أخُو ثقةٍ فانظرْ بمن تثقُ[1]

وقال زهير بن أبي سلمى :

ومهما تكن عندامرئٍ من خَليقةٍ وإنْ خالَها تخْفى على الناس تُعْلَم[2]

وقال نُصَيْب الأصغر ، مولى المهدى[3] :

إن البقاعَ إذا استسرّ بها الندى أُنِسَ النباتُ بها وطابَ المَرْبَعُ

وإذا جَهِلتَ من امرىءٍ أخلاقَهُ وقديمَهُ فانظرْ إلى ما يَصْنَعُ[4]

وقال محمود الوراق :

ذممْتُكَ أولاً حتّى إذا ما بلوتُ سواكَ عادَ اللوْمَ حَمدًا

ولم أحْمَدْكَ من خيرٍ ولكن رأيتُ سِواكَ شرًّا منك جِدًّا

---

(١) نسب البيتان لسالم بن وابصة الأسدى فى الكامل ١/١١ ، البيان ١/٢٣٧ ، الحماسة لأبى تمام ١/٣٠١ ، الحيوان ٣/١٢٨ . ونسب الأول للعرجى فى العقد ٣/٣ ، وإلى ذى الإصبع العدوانى فى حماسة البحترى ٢٥٩ ، عيون الأخبار ٢/٦ ، وقد اختلفت رواية البيت الأول فى كل مرجع عنها فى الآخر حتى ليصعب إثباتها هنا ، وإن كانت كلها تؤدى المعنى المقصود .

(٢) شرح ديوان زهير ٢٦ .

(٣) نصيب الأصغر : مولى المهدى ، وشاعر مجيد من الموالى السود ، من بادية اليمامة ، عرض على المهدى قبل أن يلى الخلافة فاستنشده فأنشده من شعره فأعجب به فاشتراه ثم أعتقه ، له مدائح كثيرة فى المهدى والهادى وغيرهما ، توفى نحو سنة ١٧٥ هـ انظر : فوات الوفيات ٢/٣٠٧ (الأعلام ٨/٣٥٦) .

(٤) انظرهما فى وفيات الأعيان ٣/٢٠٣ ، ٤ وفيها : أعراقه بدل أخلاقه .

فعدتُ إليك محتملا خليلا لأنى لم أجدْ من ذاك بُدَّا
كمجهودٍ تحامَى أكل مَيْتٍ فلما اضطُرّ عاد إليه شَدَّا(١)

وقال أيضاً :

لَمْ أبكِ من خُبْثِ خِلٍّ إلاّ بكيتُ عليهِ
ولم أمِلْ عن صديقٍ للزُّهْـــدِ فيما لَدَيْه
إلى سِوَاهُ فأَبْلُو إلاّ رجعتُ إليـــهِ
كلٌّ امرئٍ مستبدٌّ بحفــظِ ما فى يَدَيْهِ

ذكرا بن مِقْسم ، حدثنا محمد بن يحيى النديم ، قال : حـدثنا المبرد ، قال : كان بين عمارة بن حمزة وبين إسماعيل بن عليّ مودة ، ثم تنافرا . فكتب إليه عمارة :

سأتركُ ما بينى وبينـك سا كنًا فإن عـدتَ عُدْنا والوصالُ سليمُ
ولو قد خبرتَ الناسَ حقّ اختبارهم رجعتَ إلى وصلى وأنت ذميمُ(٢)

أَخبرنا عبد الوارث ، قال : حـــدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : أَنشدنا عيسى الأعمى ، قال أَنشدنا ابن المعلم لعلى بن الجهم :

الناسُ إخوانُك حتى إذا عَرَضْتَ للإخوانِ بالدِّرْهَمِ

---

(١) الأبيات فى محاضرات الأدباء ١/١٥٠ ، وفيها : محتملا ذليلا بدل محتملا خليلا ، وتعاظم بدل تحامى .

(٢) انظرهما فى محاضرات الأدباء ٢/٥ .

ساءكَ ما سرّكَ من خُلْقِهِم   وصرتَ وسطَ الحلقِ كالمَلْقَمِ (١)

وقال آخر :

عتبتُ على سَلْمٍ فلما فقدتُهُ   وجرّبْتُ أقواماً بكيتُ على سَلْمِ (٢)

وقال آخر :

لم أَبْكِ من زمنٍ لم أَرضَ خَلَّتَهُ   إلا بكيت عليه حين ينصرمُ

وقال آخر :

متى تحسَبْ صديقَكَ لَمْ يَقِلُّوا   وإن تخْبُرْ يقلُّوا فى الحسابِ

وقال آخر :

ونعتبُ أحيانًا عليه ولو مَضَى   لكنّا على الباقى من النّاسِ أعْتَبَا (٣)

وقال آخر :

سبكناهُ ونحسَبُهُ لُجَيْنًا   فأبْدَى الكيرُ عن خَبَثِ الحديدِ (٤)

---

(١) ديوانه ٢٠٦ .

(٢) ورد البيت منسوباً لنهار بن توسعة فى عيون الأخبار ٢/٤ ، وورد فى إعتاب الكتاب ١٧١ من غير نسبة ، وفيه : عتبت على عمرو الخ . ونسب فى المستطرف ١/٢٣٣ لابن عرارة السعدى فى سلم بن زياد .

(٣) عيون الأخبار ٢/٤ .

(٤) عيون الأخبار ٢/٤ ، العقد الفريد ٣/٤٥٥ .

وقال آخر :

ومن يبتدعْ ما ليس من خِيمِ نَفْسِهِ ... يَدَعْهُ ويغلِبْه إلى النفس خِيمُهَا[١]

وقال أبو دُؤَاد الإيادى :

إذا كنتَ مرتادَ الرجال لنفعِهِم ... فرِشْ والتمس نَفْعَ الَّذى بهمُ تَرْمِى

وقال محمود الوراق :

أتمُّ الناس أعرَفُهُم بنقصِهْ ... وأقمَعُهم لشهوته وَحِرْصِهْ

فدانِ على السّلامة من تُدانى ... ومن لم ترض صُحبته فأقصِهْ

وخلِّ الفحصَ ما استغنيتَ عنه ... فكم من جالبٍ غيظًا بفَحْصِهْ

ولا تستغلِ عافيةً بشىء ... ولا تسترخصَنَّ أذًى لرُخْصِهْ

وقال آخر :

ارضَ من المرء فى مودّتِهِ ... بما يُؤَدِّى إليك ظاهِرُهُ

من يكشف الناس لم يجد أحدًا ... تصحّ منهم له سَرَائِرُهُ[٢]

---

(١) نسب هذا البيت فى الكامل ١١/١ الى أم الهيثم الكلابية ، وفيه : ومن يتخذ خيما سوى خيم نفسه ، ونسب إلى سليمان بن المهاجر فى حماسة البحترى ٧٢ وفيه : ومن يبتدع ما ليس فيه سجية ، ونسب إلى حاتم فى حماسة أبى تمام ٢١١/٢ ، كما نسب إلى كثير فى عيون الأخبار ٥/٢ ، وفيها : سوس نفسه بدلى خيم نفسه ، والسوس والخيم معناهما واحد وهو الطبيعة والأصل ، وانظره بالرواية التى هنا وبدون نسبة فى العقد الفريد ٣/٣ .

(٢) نسب البيتان لابن حازم فى العقد الفريد ٣١٢/٢ .

وقال آخر :

يكفيك من قوم شَوَاهِدُ أَمْرِهِمْ ... فخُذْ عفوَهُمْ قبل امْتِحَانِ السَّرائرِ
فإن امتحانَ القومِ يُوحِشُ بَيْنهم ... ومالك إلا ما ترى فى الظـواهرِ
وإنك إن كَشَّفْتَ لم ترَ طائلا ... وأبدى لك التكشيفُ خُبْثَ الضمائرِ

وقال آخر :

ولا خيرَ فى وُدّ إذا لم يكنْ له ... على طولِ مَرِّ الحادثاتِ بَقَاءُ[1]

وقال منصور الفقيه :

إذا جَمَعَ الفتى حسبا ودينًا ... فلا تَعْـدِلْ به أبدًا قرينا
ولا تسمحْ بحظك منه بل كنْ ... بحظك من مودّته ضنينا

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ ما مالُ الفَتى بذخيرةٍ ... ولكنّ إخوانَ الثّقاتِ الذَّخائِرُ[2]

وقال ابن الرومى :

إذا شئتَ تعرف أصلَ الفتى ... أجِلْ لحظَ طَرْفِكَ فى منظرِهْ
فإن لم يَبِنْ لك فانظرْ إلى ... أفاعيلِهِ فهى من جَوْهَرِهْ

---

(١) البيت فى البيان ٣/١٨٤ ، وفيه : ولا خير فى فضل .

(٢) عيون الأخبار ٣/١ ، وقال أنشده ابن الأعرابى ، وانظره فى العقد الفريد ٢/٣٠٤ ، وفيه : إخوان الصفاء بدل إخوان الثقات .

فإن غابَ عنكَ بهـذا وذَا   فلا تطلُبَنّ سـوى مَحْضَرِهْ
فإنـ المحاضرَ سرّ الرجال   بها يُعْرَف النَّذْلِ من خَيّرِهْ
بلوتُ الرجالَ وأفعـالَهُمْ   فـكلٌّ يعـودُ إلى عُنْصُرِهْ(١)

وقال ربيعةُ الرَّقى :

إن اللئيمَ وإنـ خلتَهُ   كريمًا يذودك عن عُرْفِهِ
ويرجِـعُ محصولُ أخلاقِهِ   إلى أَصْلِهِ وإلى صِنْفِهِ(٢)

---

(١) الأبيات فى ديوانه ٧٢ .

(٢) البيتان فى معجم الأدباء ٥/١٦٢ .

باب التودُّد إلى النّاس

قال رسولُ الله صل الله عليه وسلم : « مداراةُ الناسِ صَدَقة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أمرني ربي بمداراة الناس ونهاني عن ملاحاتهم »[1] .

روى عن النبي صلّى الله عليه وسلم أنه قال : « رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس » .

وقد روى في خبرٍ مرفوع : « التودّدُ إلى الناس نصفُ العقْل ، وحُسن التّدبير نصفُ المعيشة ، وما عالَ من اقتصد » .

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : إنَّ مما يصفى لك وُدّ أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيتَه ، وأن تدْعُوَه بأحبّ الأسماء إليه ، وأن توسّع له في المجلس .

قال بعضُ الحكماء : رأس المداراة ترك المماراة[2] .

وفى الحديث المرفوع : « إذا أَحبّ اللهُ عبدًا أَحبَّه الناسُ » .

---

(١) الملاحاة : المشاتمة والسباب .

(٢) المماراة : الشك وسوء الظن . وفى ا : المودات بعد المداراة .

أخذه الشاعر فقال :

وإذا أحبّ الله يوماً عبدَهُ ⁂ أَلقى عليه محبةً في الناسِ[١]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بشراركم » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « من لا يقيل عَثرة ولا يقبل معذرة . ألا أنبئكم بشر من ذلكم[٢] » قالوا : بلى . قال : «من يبغض الناس ويبغضونه ».

روينا أن داود عليه السلام ، جلس كئيبًا خاليا ، فأوحى الله إليه : مالى أراك خاليا ؟ قال : هجرتُ الناس فيك . قال : أفلا أَدُلّك على شيء تبلغ به رضاى ؟ خالِق الناسَ بأخلاقهم ، واحتجز الإيمان فيما بيني وبينك .

كان يقال : من رضى من الناس بالمسامحة طال استمتاعه بهم .

قال أكثم بن صيفى : من تشدّد فرّق ، ومن تراخى تألف ، والسرورُ فى التغافل .

قال علي رضى الله عنه : شرط الصحبة إقالة العَثرة ، ومسامحة العِشرة ، والمواساةُ فى العُسْرة .

(١) فى ا : عبدا واصطفى بدل يوما عبده ، والبيت لابن عبد ربه صاحب العقد ، انظره فى العقد الفريد ٣١٢/١ .

(٢) ا : ذلك .

قيل للعتّابى : إنك تلقى الناسَ كلَّهم بالبشْر ! قال : دفعُ ضغينةٍ بأيسر مؤونة ، واكتساب[1] إخوان بأيسر مبذول .

قال محمود الوراق :

أَخُو البِشر محمـودٌ على كلّ حالةٍ ... ولن يعدم البغضاء من كانَ عابساً
ويُسْرِع بخلُ المرء فى هَتْك عِرْضه ... ولم أرَ مثل الجود للعِرْض حارساً

قال أعرابىّ يمدح رجلا بساماً هو زياد الأعجم[2] يمدح عبد الله بن عامر ابن كريز[3].

أَخٌ لك ما تراه الدّهرَ إلاّ ... عَلَى العِلاَّتِ[4] بسَّامًا جوادَا
سألناه الجزيلَ فما تَلَكّا[5] ... وأعطى فوق مُنْيَتِنَا وَزادَا
وأحسنَ ثم أحسنَ ثم عُدْنا ... فأَحسَنَ ثم عـدتُ له فعادَا

---

(١) فى ا : وإكرام .

(٢) هو زياد بن سليمان أو سليم الأعجم مولى عبد القيس ، من شعراء الدولة الأموية ، جزل الشعر ، فصيح الألفاظ ، كانت فى لسانه عجمة سمى بسببها الأعجم ، وأكثر شعره فى مدح أمراء عصره وذم بخلائهم (الأعلام وهامشه ٣/٩١) .

(٣) ابن ربيعة الأموى ، أمير فاتح ، فتح كثيراً من بلاد فارس وما وراء النهر ، وكان سخيا وصولا لقومه رحيما ، قال عنه الإمام على : ابن عامر سيد فتيان قريش . انظر الإصابة الترجمة ٦١٧٥ (الأعلام ٤/٢٢٨) .

(٤) على العلات : أى على كل حال .

(٥) فى حماسة أبى تمام ، والأغانى : تأبى .

مرارًا ما أعودُ إليـــه إلاّ　　تبسمَ ضاحكاً وَثـنَى الوِسادَا(١)

وقال آخر :

ولى صاحبٌ كالموت يومُ فراقِهِ　　تَغَـــيَّر والأيامُ جَمٌّ عجيبُها

أريدُ له هَجْرًا لبعض خلاله　　فَتَعْطِفُنى أخـرى له فأجيبها(٢)

وقال آخر :

أخ لى كأيام الحيـــاة إخاؤُه　　تَلوَّنُ ألوانًا كثيرًا خطوبُها

إذا عِبْتُ منه خَـلَّةً فهجرتُه　　دَعَتْنِى إليـه خَلَّةٌ لا أعيبُها(٣)

(٤ وقال ابن وكيع :

من لم يدار الناسَ عن عِلمٍ بهم　　انصرفُوا وَكلُّهُمْ له عِـدَا ٤)

وقال كُثَيِّر(٥) :

ومن لا يغمِّضْ عينَهُ عن صديقِهِ　　وعن بعضِ مافيه يَمُتْ وهوعاَتِبُ

---

(١) وردت الأبيات فى عيون الأخبار ٧٦/٣ ، والبيتان الثالث والرابع فى ١٥٢/٣ ، ووردت فى الحماسة لأبى تمام ٣٤٩/٢ ، والأغانى ١٠٢/١٤ (بولاق) ، وورد بعضها فى المصون ٦٧ ، وفيات الأعيان ٣٢٨/٥ ، وقد نسبت فيها كلها لزياد ماعدا الوفيات فقد نسبت فيها للـكميت ، وقال فى العيون إنها فى مدح عمر بن عبدالله ابن معمر .

(٢) محاضرات الأدباء ٣٢/٢ .

(٣) عيون الأخبار ١٧/٣ .

(٤) ساقط من ا .

(٥) ديوانه ٢١٠/١ .

ومن يَتَتبَّعْ جاهِداً كل عثرةٍ ... يَجِدْها ولا يَسْلَمْ له الدَّهرَ صاحِبُ

وقال آخر :

وكم من أَخٍ لَمْ تحتملْ منه خَلَّةً ... قطعتَ ولم يُمْكِنْكَ منه بديلُ

ومن لم يُرِدْ إلا خليلاً مُهَذّبا ... فليسَ له فى العالمين خليلُ

قال آخر :

وأحبب إذا أحببتَ حُبّا مُقاربًا ... فإنك لا تدرى متى أنت نازِعُ[1]

[2] وأبغض إذا أبغضتَ بُغضًا مُقارَبًا ... فإنّك لا تَدْرِى متى أَنت راجعُ [2]

هذا مأخوذ من الحديث المرفوع : « أحبب حبيبك هونًا ما فعسى أن يكون بغيضك يومًا ما ، وابغض بغيضك هونًا[3] ما فعسى أن يكون حبيبك يومًا ما » .

وأحسن ما نظم فى هذا المعنى قول أبى العتاهية[4] :

قل لمن يعجبُ مِنْ ... حُسْنِ رُجُوعِي وَمَقالِي

رُبَّ صَدٍّ بعد وُدٍّ ... وَهَوَى بعد تَقَالِي

قد رأينا ذا كثيرًا ... جاريًا بَيْنَ الرجالِ

---

(١) فى ح : راجع .

(٢) ساقط من ح ، وقد نسب البيتان فى أمالى القالى ٢/٢٠١ لهدبة بن الخشرم العذرى ، وورد فى العقد ٢/٢٨٦ من غير نسبة ، وفيه : وأبغض إذا أبغضت غير مباين .

(٣) فى ح : يوما .

(٤) ديوانه ٢٠٥ .

أَنشد حبيبٌ للفِنْدِ الزِّمَّانِي — وقال الجاحظ لا أظنها له[1] :

صفحنا عن بنى ذُهَــل   وقلنا : القوم إخــوانُ
عسى الأيام أَنْ يُرْجِعْـ   ـنَ قوما كالذى كانوا[2]

قال آخر :

وكُنتُ إذا صحبْتُ رجالَ قوم   صَحِبْتُهُم وشيمَـــتِىَ الْوَفَاءُ
فأحْسِنُ حِينَ يحسنُ محسنُوهم   وأجتنب الإساَءَةَ إن أساءُوا
وأبْصِرُ ماَ يُنَقِّصِـــنِى بِعَيْنِ   عليها من عيوبِهِـــمُ غِطاَءُ[3]

قال آخر :

ما نالت النّفْسُ على شهوةٍ   أَلَذَّ من وُدّ صــديقٍ أمينْ
من فَاَتَهُ ودُّ أخٍ صالحٍ   فذلك المغبون حــقَّ اليقينْ[4]

[وقال آخر :

استوحشَ الناسُ علَىّ جــدًّا   ولا أُرى لى من أُناسٍ بُدًّا

---

(١) انظر الحيوان ٦/٤١٥ ، ٤١٦ .

(٢) ورد البيتان فى حماسة أبى تمام ١/١٥ ، حماسة البحترى ٧٤ ، أمالى القالى ١/٢٦٠ منسوبين للفند الزمانى ، وكذلك فى الحيوان وردت هذه النسبة مشفوعة بالعبارة التى نقلها عنه المصنف ، ولكن الجاحظ اكتفى بهذا الشك ولم يذكر شيئا عن بواعثه . هذا وقد وردت الرواية مختلفة فى هــذه المراجع ففى حماسة البحترى والحيوان : بنى هند بدل ذهل ، وفى الأمالى وحماسة أبى تمام كما هنا ، كما ورد فى حماسة البحترى ، أن ترجع قوما ، وفى الحيوان : ترجعهم جميعا . . الخ .

(٣) أى أبصر عيوبى فأعالجها ، ولا أبصر عيوبهم فأتتبعها وأغفل عن معايبى .

(٤) فى ح : المحروم بدل المغبون ، وانظر البيتين فى عيون الأخبار ٣/١٦ .

إن لم أعاشرْهم بَقيتُ فردَا][١]

وقال آخر :

أغمّض للصديق عن المَسَاوى مخافة أن أعيشَ بلا صـــديقِ[٢]

قال آخر :

أغمّضُ عينى عن صديقى تغَافُلاَ كأنِّى بما يأتى[٣] من الأمر جاهِلُ
وما بىَ جهلٌ غير أنَّ خليقتى تُطيقُ احتمالَ الكُرْهِ فيما يحاولُ[٤]
[٥ متى ما يُرِبْنى مِفْصَلٌ فقطعتُه بقيتُ ومالى فى النهوض مفاصلُ ٥]

وقال آخر :

وكنت إذا الصديقُ أرادَ غيظى فأشْرَقَنِى على حنق بِرِيقِى
غفرتُ ذنوبَه وصفحتُ عَنْهُ مخـافَةَ أن أعيشَ بلا صـديقِ[٦]

وقال آخر :

إذا ما خَليلى رابنى بعضُ خُلْقِهِ ولم يَكُ عمـــا ساءنى بمُفِيقِ

---

(١) ساقط من حـ .
(٢) عيون الأخبار ١٦/٣ .
(٣) فى ا : آتى .
(٤) فى ا : رمانى ... أحاول .
(٥) ساقط من ا .
(٦) البيتان فى أمالى القالى ١١١/٣ .

صَبَرْتُ على أشياءَ منه تَرِيبُنى ... مخافةَ أن أبقى بغيرِ صديقِ [1]

وأنشد ابن الأنبارى عن أبيه :

إذا ما صديقى ساءنى بفَعَالِهِ ... ولم يكُ عما ساءنى بمُفيق

صَبَرْتُ عَلَى الضَّرَّاء من سوء فعلِهِ ... مخافةَ أن أبقى بغير صديقِ [2]

([3] قالوا : لا خيرَ فى الناس ، ولا بدّ من الناس [3])

---

(١) انظرها فى عيون الأخبار ١٦/٣ ، وفيها : سوء فعله يدل بعض خلقه .

(٢) أمالى القالى ١١٨/٣ .

(٣) ساقط من ا .

باب الاستيحَاشُ من الناس والفرار منهم[1]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيرُ الناس منزلةً يوم القيامة ، رجل آخذ بعَنَان فرسه فى سبيل الله يخيف العدو ويخيفونه » . وفى رواية أخرى : « حتى يموت أو يقتل ، والذى يليه رجل معتزل فى شِعْبٍ من الشِّعاب يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ، ويعتزلُ شرور النَّاس » .

قال عمر بن الخطاب [2] رضى الله عنه [2] الطمع فقرٌ واليأسُ غنى ، والعُزلة راحةٌ من جليس السوء ، وقرين الصدق خير من الوحدة .

قال أبو الدَّرْدَاء : نعم صومعة الرجل[3] المؤمن بيته ، يصون دينه وعرضه ، وإياكم والأسواق ؛ فإنها تلغى وتلهى .

قال مكحول : إن كان فى الجماعة فضل ، فإن فى العُزلة سلامة .

قال عمر بن الخطاب : خالطوا الناس فى معايشكم ، وزايلوهم بأعمالكم .

قال أبو الدرداء : كان الناس ورقاً لا شوك فيه ، وهم اليوم شوك لا ورق فيه .

يقال : إن فيما أنزل الله فى الإنجيل على عيسى عليه السلام : كن وسطاً وامش جانباً .

---

(١) فى ا : عنهم .

(٢) ساقط من ح .

(٣) ساقطة من ا .

قال ابن المقفع[١] : وحشةُ الانفرادِ أبقَى على المرءِ من أُنْس التلاقي .

قال بعضُ العلماء : العُزْلة عن الناس توقى[٢] العِرْض ، وتبقى الجلالة ، وترْفع مؤونة المكافأة فى الحقوق اللازمة ، وتستر الفاقة .

قال أوس بن حجر :

وإنّى رأيتُ النَّاسَ إلاّ أقلّهم ... خفافَ العُهود يُكثِرُون التَّنَقُّلاَ
بنى أُمِّ ذى المال الكثيرِ يَرَوْنَه ... وإن كان عَبْدًا سيِّدَ القوم جَحْفَلاَ
وهم لمُقِلِّ المـــالِ أولادُ عَلَّةٍ ... وإن كان مَحْضًا فى العمومة مُخْوِلاَ[٣]
وليس أخوكَ الدائمُ العهدِ بالذى ... يَسُوءكَ إن ولّى ويُرضيك مقبلاَ
ولكنَّ الأخَ النَّائِى إذا كُنْتَ آمِناً ... وصاحبُكَ الأدْنَى إذا الأمرُ أَعْضَلاَ[٤]

وقال الحسَنُ بن عبد الرَّحمن[٥] .

توحشـتُ ولكنِّى ... أُسَرُّ بالوَحْشـةِ أحيانا

---

(١) فى ح : أبو الفتح .

(٢) فى ا : توفر .

(٣) العلة : الضرة ، وأولاد العلات هم أبناء أمهات شتى ورجل واحد ، ومحضا : خالصا .

(٤) انظر الأبيات فى ديوانه ٢٢ .

(٥) ابن خلاد الرامهرمزى ، محدث العجم فى زمانه ، ومن أدباء القضاة ، له شعر حسن أورد بعضه الثعالبى فى اليتيمة ، وكان الحسن مختصا بابن العميد ، وله اتصال بالوزير المهلبى . انظر فى ترجمته يتيمة الدهر ٣٨٦/٣ (الأعلام ٢٠٩/٢) .

وفى الوَحْشة ما يُؤْ نِسُ من صحبة منْ خانَا

وقال أيضاً :

يا حبّـذَا الوَحْشة من أنيسٍ إذاخَشِيتَ منأذَى الجليس

وقال أبو العتاهية(١) :

برمتُ بالنـاسِ وأخلاقِهِمْ فصِرتُ أستأنسُ بالوَحْدَهْ

ما أكثرَ النَّاسَ لعَمْرِى وما أقلَّهُمْ فى حاصِلِ العِـدَّهْ

كتب شيخ من أهل الرّى عَلَى باب داره : جزى اللهُ عنا من لا نعـرفه (٢) ولا يعرفنا (٢) خيرًا ، وأما أصـدقاؤنا الخاصة فلا جزاهم الله خيرًا ، فإنا لم نُؤْتَ إلا منهم .

قال سفيانُ : ما وجـدتُ من يغفر لى ذنباً ، ولا يستر لى عيباً(٣) ، فرأيت فى الهرب من الناسِ السَّلامة .

قال الفُضَيْل بن عيَاض لسُفيان الثورى : دُلَّنِي عَلَى رَجُل أَجلسُ إليه ، قال : تلك ضالّة لا توجد .

---

(١) ديوانه ٩٠ .

(٢) ساقط من ح ، م .

(٣) ا : على زلة .

(١ قال أكثم بن صيفي : الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة ، وإفراط الأنس مكسبة لقرناء السوء ١) .

وقال سهلُ الوراق :

ألا ما لِذَا الناسِ قد بُدِّلوا فهم كذئاب عليها(٢) ثيابْ
تواطئوا عَلَى كلِّ مستقبَحٍ فما لقبيح لديهم مُعَابْ
وخانوا الأمانة ما بَيْنهم وهل بالأمانة تُوفى الذئابْ

قال الأضْبَط بن قُرَيْع :

أذودُ عن حوضِهِ ويدفعُني ياقوم ِمن عاذِرى من الخُدَعَهْ(٣)

أنشد الحريرىُّ(٤) لنفسه :

مخالطُ الناسِ في الدُّنْيا عَلَى خَطَرٍ وفي بلاءٍ وَصَفْو شِيبَ بالكَدَرِ
كراكبِ البحر إن تسلم حُشَاشَتُه فليس يسلم من خَوف ومن حذرِ

وقال قُدَامة بن إبراهيم الجُمَحى(٥) :

---

(١) ساقط من حـ .

(٢) في حـ : عليهم .

(٣) البيت في أمالي القالي ١/١٠٧ ، ١٠٨ .

(٤) لم أعثر على من تصدق عليه هذه النسبة في كتب التراجم وأطمئن إلى أنه هو المقصود وليس هو بالطبع الحريري صاحب المقامات فقد ولد هذا في سنة ٤٤٦ وتوفى ٥١٦ هـ ، أي أنه ولد بعد وفاة المصنف ، فلعله الحريري (عبد الملك بن إدريس) انظر اليتيمة ٢/٨٨ .

(٥) المدنى ، لم يذكر عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب ٧/٢٦٣ ، إلا أنه من الثقات ، ثم أورد أسماء الرجال الذين روى عنهم ، وأسماء من رووا عنه .

العجزُ ضعف وما بالحزم من ضررٍ وأحزمُ الحزم سوءُ الظنِّ بالناسِ
لا تترك الحزم في أمرٍ تحاذرُهُ فإنْ أصبت فما بالحزمِ من باسِ

أنشدني عبد الرحمن بن أبان، عن عثمان، قال: أنشدني أبو بكر محمد بن الحسن الزُّبيدي(١) لنفسه:

أشعرنْ قلبكَ يأساَ ليسَ هذا الناسُ ناساَ
قد مضى الإبريزُ منهمْ وبقوا بعدُ نُحاساَ
سامِريّينَ يقُولو نَ جميعًا لا مِساساَ

لهلال بن العلاَء(٢) :

لما عفوتُ ولم أحْقِدْ على أحدٍ أرحتُ نفسيَ من همِّ الْعَداوَاتِ
إني أحيِّي عدوِّي عند رؤيتِهِ لأدفعَ الشرَّ عنِّي بالتحياتِ
وأحْسِنُ البِشْرَ للإنسان أُبْغِضُهُ كأنَّه قد مَلاَ قلبي مَحبّاتِ
ولستُ أسلمُ ممن لست أعرِفُهُ فكيف أسلمُ من أهل المودّاتِ

(١) الأندلسي الإشبيلي، أعرف أهل زمانه باللغة والأدب ولد ونشأ واشتهر بإشبيلة، وعاش في قرطبة مدة، ثم رجع إلى إشبيلية وتولى بها القضاء، له تصانيف كثيرة في النحو واللغة، توفي سنة ٣٧٩ هـ. انظر بغية الملتمس ٥٦، معجم الأدباء ٥١٨/٦ (الأعلام ٣١٢/٦).

(٢) أبو عمرو الرقي، قال عنه ياقوت في المعجم ٢٩٤/١٩: «كان من أهل العلم واللغة بالرقة، مات سنة ٢٨٠ هـ، ولا أعلم من أمره غير هذا».

وقال ابن الرومى[١] :

ياذا الذى منه التَّغيُّ ... رُ والتَّنَكُّر والتَّبُوُّ
إن كان أدركك الملا ... ل فقد تداخلنى السُّلُوُّ

آخر :

قد كنت عبدًا والهوى مالكى ... فصرتُ حرًّا والهوى خادمى
وصرتُ بالوَحْدةِ مستأنسًا ... من شرِّ أَولادِ بنى آدمِ
ما فى اختلاط الناس خير ولا ... ذو الجهل بالأشياء كالعالِمِ
يا عاذِلى فى تركهم[٢] جاهلا ... عُذرِىَ منقوش على خاتَمى

وكان فى خاتمه منقوشًا : ﴿وما وَجَدْنَا لأَكثرِهم من عَهْدٍ﴾[٣]

وقال منصور الفقيه :

نفرتُ من كلِّ من وثقتُ به ... إذ كلُّهُم خانَنى ولم أَخُنِ
من لانَ لى جانباه لِنْتُ له ... ومن أَبَى أن يلين لم أَلِنِ

وقال آخر :

هذا زمانٌ ليس إخوانُه[٤] ... يا معشرَ الناسِ بإخوانِ

---

(١) ديوانه ٣٠١ .
(٢) فى ا : لومهم .
(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٠٢ .
(٤) فى حـ : لى هله .

إخوانُ سَوْءٍ كلُّهم فَاسِقٌ   له لسانان ووجهانِ
يلقاكَ بالبشرِ وفى قلبهِ   داءٌ يواريه بكتمان
حتّى إذا ما غبتَ عن وجههِ   رماكَ فى الغيب ببهتانِ
يأَيها المرء فكُنْ واحدًا   فردًا ولا تأنسْ بإنسانِ

منصور الفقيه :

الناسُ بحرٌ عميقٌ   والبُعْد منهم سفينهْ
وقد نصحتُك فانظرْ   لنفسِكَ المسكينهْ[1]

طرفة بن العبد :

كلّ خليل كنت خاللتُه   لا ترك الله له واضِحَه
كلهم أروغُ من ثعلبٍ   ما أشبهَ الليلةَ بالبارحهْ[2]

وقال منصور الفقيه :

يا أخا الدّهر إن وفا   وأخا الدهر إن غَدَرْ
كن من الناس كيف شئْ   ت على غايةِ الحَذَرْ

كان يقال : صحبةُ الأشرارِ تورث سوء الظن بالأخيار .

---

(١) البيتان فى معجم الأدباء ١٩/١٨٦ ، التمثيل والمحاضرة ١٠٥ .

(٢) سبق البيتان فى ص ٦٥٤ .

وقال ابنُ وكيع ·

فسد الناس كلّهم وانقضى الودُّ (٠) فما فى الورى أخٌ ذُو صَفاءِ
وأرى طالبَ الفرارِ من النا س وَمُرْتادَ قربهم فى بلاءِ
ذاك بالانقباضِ[1] يكسب المق ت ويُعْزَى به إلى الكبرياءِ
وأخُو الانبِساط يخشى انقلابًا من صديق يُضيعُ حق الإِخاءِ
وإذا ما الصديقُ عاد عدوًّا فهو مستْفَرَهٌ[2] من الأعداءِ

وقال منصور الفقيه :

فى الناسِ خيرٌ كثيرٌ والشر فى الناسِ أكثرْ
وقد نصحتك جَهْدى فانظر لنفسك واحذرْ
فإن وثقتَ بقولى فيهم وإلا فغرِّرْ

وله أيضًا :

إنما الناس فَزْعَةٌ ليس فى الناس مَفْزَعْ
ذم من شئت منهمْ فهو للذمِّ موضعْ

ولما حضرته الوفاة ، قال[3] : أستغفر اللهَ من هذين البيتين .

(١) فى ح : لانقباس .
(٢) ا : مستنكره .
(٣) ساقطة من ا

قال سُوَيْدُ بن مَنْجُوف :

فبلِّغ مُصْعَبًا عَـنِّى رَسُـولا ... وهل تجد النصيحَ بكل وادِ
تَعلَّم أن أكثَرَ من تُنَاجِى ... وإن ضحكوا إليك هم الأعادِى[1]

أنشد الزبير لأبى هَمْهَمة :

إخوة ما حضرت سَرُّونَ بَرُّو ... نَ[2] فإن غبتُ فالسِّباعُ الجياعُ
باينونى حتى إذا عاينـونى ... بَانَ منهم تضاؤلٌ واختشاعُ
[3] فهم يَغْمِزُونَ منى قنـاةً ... ليس يألون غَمْزَها ما استطاعُوا [3]
ما كذا يفعلُ الـكرامُ ولـكن ... هـكذا يفعل اللئام الوِضاعُ

قال أبو غسان مالك بن عبدالله غلام أبى العتاهية : [4] كنت عند أبى العتاهية [4] قبل موته بثلاثة أيام ، وإنه لشـديد العلّة لما به ، فرفع رأسه إلى وقال : يا أبا غسان !

لله دَرُّ أبيك أَىَّ زَمَانٍ ... أَصبحتَ فيه وأَىَّ أهلِ زمانِ
كلٌّ يُوازِنُكَ المودة دَائبًا[5] ... يُعْطِى ويأخـذُ منك بالميزانِ

---

(١) البيتان فى الحيوان ٥/٥٩٤ ، وفيه : فأبلغ مصعبا ، أكثر من تؤاخى .
(٢) فى ا : سروا وبروا فإذا .. الخ .
(٣) ساقط من جـ .
(٤) ساقط من ا .
(٥) فى ا : جاهدا .

فإذا رأى رُجْحانَ حبةِ خردلٍ مالتْ مودتُهُ مع الرُّجْحَانِ
فى كلِّ يومٍ منهُ تبدو قِصَّةٌ تَنْعى إليك مودَّةَ الإخوانِ[١]

وقال منصور الفقيه :

أىّ زمان نشأت فيــه كذِى ضلالٍ بأَرض تيـهِ
ما شئتَ من عالم خبيثٍ فيه ومن جاهــلٍ سفيهِ

وقال أبو العتاهية[٢] :

إن الزمانَ يغـرُّنى بأمانه ويُذيقُنى المكروهَ من حِدْثانِهِ
فأنا النذيرُ من الزمان لـكلّ من أمْسَى وَأصْبَحَ واثقاً بزمانهِ
ما الناسُ إلا للـكثير المـال أو لِمُسَلَّطٍ ما دام فى سُـلْطانِهِ
فإذا الزمانُ رماهما[٣] بملمّـةٍ كان الثِّقاتُ هناك من أعوانِهِ

قال إبراهيم بن العباس الصولى[٤] :

بلوتُ الزمانَ وأهـلَ الزمانِ فـكلٌّ بذم ولومٍ حقيـق
وأوحشنى من صديقِى الزمان وآنسَنِي بالعدوِّ الصـــديق[٥]

---

(١) الأبيات الثلاثة الأولى فقط فى ديوانه ٢٦١ .
(٢) الأبيات فى ديوانه ٢٨٠ .
(٣) فى الديوان : رمى الفتى .
(٤) ساقطة من ج .
(٥) ديوانه ٤٤ .

وله أيضاً

ورُبَّ أخٍ ناديتُه في ملمةٍ　　فألفيتُه منها أجلَّ وأعظما[1]

أنشدني محمد بن نصير الكاتب لنفسه :

تطلَّبْ سبيلَ الهُدَى جاهِدًا　　وَدَعْ عَنْكَ مُشْتَبِهاتِ السُّبُلْ
وَأصْبِحْ من الناس مستوفزًا　　فأكثرُهم راصدٌ للزَّلَلْ
وأجبن من قد ترى منهمُ　　لعَمْرُكَ يُرْدى الشجاع البطلْ
وتُصمي المَقَاتِلَ أقوالُهُمْ　　بألسنةٍ وقعها كالأسَلْ
ومن حكَّمَ الناسَ في عِرْضِه　　فمن جَارَ أكثرُ ممن عَدَلْ[2]

وقال آخر :

وإذا دعوتَ أخاً إخا　　ئِكَ عِنْدَ نائبةٍ تنوبْ
ألفيتَه أَحَدَ الخُطُو　　بِ إذا تتابعَت الخطوبْ

وهذا كله عندي — واللهُ أعلم — مأخوذ من قول القائل :

كنت من كربتي أفر إليهم　　فهم كربتي فأين الفرار[3]

---

(١) ديوانه ٥٧ .

(٢) الأبيات في نفح الطيب ٥/٢١٧ وفيه : وأخير بدل أجبن ، وترى بدل تصمي .

(٣) البيت في عيون الأخبار ١/٧٨ ، العقد الفريد ٤/٢٢٨ .

منصور الفقيه :

تبارك من لو شاء ملكنى نفسى   وَصَيَّر فى الإيحاش من خلقه أُنْسِى

وباعدَ دارى عاجلاً عن ديارهمْ   كبُعْدِ مغيبِ الشمس عن مطلع الشمسِ

لعلّىَ أن أُمْسَى من الشر آمنـا   وَأُصْبِح مسرورًا بذاك كما أمسِى

فما نكّدَ الدنيا على طيب ظلها   وقرب جناها العذب شىء سوى الإنسِ

قال أعرابى ، وهو جابر بن ثابت ، ويعرف بتأبط شرا :

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئب إذ عوى   وصوّت إنسان فكدتُ أطيرُ

دَرَى الله أنى للأُنَيْسِ لَشَانِئٌ   وتبغضهم لِى مُقْلَةٌ وَضَمِيرُ(١)

وقال آخر :

قد بلوتُ النّاسَ طُرًّا   لم أجد فى الأرض حُرّا

صارَ أَحْلَى الناسِ فى عَيْـ   نِى إذا ما ذِيق مُرّا

ووجدت الحلوَ منهمْ   عندما جرّبتُ صَبِرا(٢)

وقال منصور الفقيه :

إنّ بنى دهرِنا أفاعٍ   ليس لمن ساَوَرَتْ طبيبُ

---

(١) البيتان فى الحيوان ١/٣٧٩ ، المؤتلف ٣٦ ، ٣٧ ونسبهما فيه للأحيمر السعدى ، وفيه : لوح بدل صوت ، ويرى بدل درى .

(٢) نسبت الأبيات لابن أبى حازم فى العيون ٢/٣٨٤ ، ووردت فى العقد الفريد ٣/٢١٤ بدون نسبة .

فلا يكنْ فيك بعدَ هذا لواحـدٍ منهمُ نصيبُ

وقال آخر :

قد لزمتُ السكوتَ من غير عِيٍّ ولزمتُ الفراش من غـير علّهْ

وهجـرتُ الإخوان لمـا أتتنى عنهمُ كلُّ خَصْـلَة مضحكهْ

فعـلى أهـلِ ذا الزمان جميعاً ضِعْفُ قطر السّماء من لعنة اللّهْ

وقال آخر :

لا تعرفَنْ أحدًا فلستَ بواجدٍ أحدًا أضرَّ عليك ممن تعرفُ

أما نظيرُك فهو حاسـدُ نعمةٍ أو دون ذاك فذو سؤال ملحفُ

أو فوق ذلك حال دون لقائه بوابُ سوءٍ واليَفاعُ المشرفُ

وللشافعى الفقيه رحمه الله ، وقيل إنه تمثل بها ، وهى :

ليت السباعَ لنا كانت مجاوِرَةً وليتنا لا نرى مما نرى أحـدَا

إن السباعَ لتهدَا فى مرابضها والناس ليس بهادٍ شرُّهُم أبدَا

فاهرُبْ بنفسك واستأنس بوَحْدتها تَعِشْ سَلِيماً إذا ما كنت منفردَا

وقال منصور الفقيه :

أحـذِّرُك الناسَ إلاّ قليلا فلا تبغيَنَّ إليهـم سَبيلا

وفارقهُمُ عن قِليً واتخذْ إذا ما خشيتَ انفرادًا خليلاَ
من الجنِّ والجنُّ إن تلقَهمْ تجدْهُمْ أَبرَّ فعالا وقليلاَ
من الإنسِ، لا كان مستأنسًا بهم طالبٌ من سواهم بديلاَ

وقال أبو العتاهية :

أيا ربِّ إنّ الناسَ لا ينصفوننى وإن أنا لم أنصفهمُ ظلمونى
وإن كان لى شيءٌ تَصَدَّوْا لأخذه وإن جئتُ أبغى شيئَهم منعونى
وإن نالهم بذلى فلا شكرَ عندهم وإن أنا لم أَبْذُل لهم شتمونى
وإن طرقتنى نكبةٌ فرحوا بها وإن صحبتنى نعمةٌ حسدونى
سأمنعُ قلبى أن يحنَّ إليهمُ وأحجبُ عنهم ناظرى وجُفُونى (١)

أنشدنى حكم بن المنذر لنفسه :

وكنتُم أخلائى الذين أعدّهُمْ لصَرْف زمان إن ألَمّ بداهِيَهْ
فأخلفتمُ ظنى بكم فقَلَيتكمْ فنفسي عنكمُ آخرَ الدهر سَالِيَهْ

وقال آخر :

ولما رأيتُ الناسَ لا عهدَ عندَهُمْ صَدَفْتُ — وبيتِ اللهِ — عن صحبةِ الناسِ
وصرتُ جليسَ الكُتْبِ ماعِشْتُ فيهمُ وأعملتُ حسن الصَّبر عنهم مع الياس

---

(١) ديوانه ٢٥٥ ، وفيه : رفدى بدل بذلى فى البيت الثالث ، وفكهوا بدل فرحوا فى البيت الرابع .

رأيت لهم كاسًا من الغَدْرِ بينهم تُدَارُ وما بالقومِ صبرٌ عن الكاسِ

وهذا الباب وما جانسه من معانى صحبة الناس والفرار منهم ، واتخاذ الإخوان والزهد فيهم ، قد أكثر الناسُ فيه جدا ، وقد جمع فيه ابنُ وكيع فتقصّى وكثّر وجوّد وغزر ، وغرضنا فى الكتاب أن نورد فيه ما تصلح المذاكرة به من غير تطويل ، لأن الحفظ أكثر ما يكون مع التقليل ، وبالله العون والتأييد والحول والقوة[1] .

---

(١) فى ا : وبالله العون لاشريك له .

بابُ الصَّديق والعَدو

قال جعفرُ بن محمد : لقد عَظمتْ منزلةُ الصّديق حتى عند أهل النار ، ألم تسمع إلى قول الله تعالى حاكيا عنهم : ﴿ فَمَا لَنَا من شافِعِين ، ولا صَدِيق حَمِيم ﴾[1] .

قال علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه : لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ صديقه فى غيبته وبعد وفاته .

قال سويدُ بن الصَّامت[2] :

ألا رُبّ من تدعو صديقاً ولو ترى مقالَتَهُ بالغيب ساءك ما يَفْرِى
مقالتُه كالشَّهْدِ ما كان شاهدًا وبالغيب مَأْثورٌ عَلَى ثُغْرَة النّحْرِ
تُبِينُ لك العَيْنَان ما هو كاتمٌ من الشرِّ بالبغضاء والنظرِ الشّزْرِ
يَسُرُّكَ بادِيهِ وتحتَ أديمِهِ نميمةُ غشٍّ تبترِى عَقِبَ الظهرِ
فَرِشْنِي بخَــير طالما قد برِيتَنِي وخيرُ الموالى من يَرِيشُ ولا يَبْرِى[3]

---

(١) سورة الشعراء آية ١٠١ .

(٢) ابن حارثة بن عدى، الخزرجى الأنصارى، شاعر من أهل المدينة فى سوق، كان يسميه قومه الكامل، اشتهر فى الجاهلية ، وأدرك الإسلام وهو شيخ كبير ، ولقيه النبى صلى الله عليه وسلم فى سوق ذى المجاز ، فدعاه إلى الإسلام، وقرأ عليه : شيئا من القرآن فاستحسنه، ثم انصرف عائدا إلى المدينة ولم يلبث أن قتل، وإن كان ابن سعد والطبرى يقولان إنه شهد أحداً . انظر الإصابة الترجمة ٢٥٩٢ .

(٣) وردت الأبيات كلها فى البيان ٣/٢٥٦، الأمالى ٢/١٩٨ ، وماعدا الرابع فى عيون الأخبار ٣/٨١ ،=

كان أبو العباس السّفاح إذا تعادى اثنان من أهل بطانته لا يسمع من أحد منهما في صاحبه شيئاً ، وإن كان عَدْلا ، ويقول : (١ العداوة تزيل العدالة .

كان يقال ١) : لا تجالس عدوّك فإنه يحفظ عليك عيوبك ، ويماريك في صوابك .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : ابذُلْ لصديقك كلَّ المودة ، ولا تبذل له كلّ الطمأنينة ، وأعطه من نفسك كلَّ المواساة ، ولا تُفْضِ إليه بكلّ الأسرار .

رُوى عن علىّ بن الحسين رحمه الله ، أنه قال : لا يكونُ الصديق صديقاً حتى يقطع لأخيه المؤمن قطعةً من دينه يرقّعها بالاستغفار .

قال غيره : من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً ، ولعدوّ صديقه عدوا .

= منسوبة لسويد ، ووردت مع أبيات أخرى فى اللسان مادة نشر منسوبة لزهير بن جناب ، وهى فى الإصابة لسويد ، انظر الترجمة ٣٥٩٢ .

المعنى والروايات : يفرى : يختلق ويكذب ، والرواية فى الأمالى : لسانه بدل مقالته .

المأثور : السيف فى متنه أثر ، وقد فسره فى العيون بأنه الذى يؤثر عنه شر وتهمة ، وأحسبه ليس دقيقا ، ثغرة النحر : نقرته . والرواية فى العيون : كالشجم بدل الشهد ، وفى البيان : مادام بدل ما كان ، وفى الأمالى : حاضرا بدل شاهدا ، ومطرور بدل مأثور .

النظر الشزر : النظر فيه إعراض ، أو هو نظر الغضبان أو الحاقد بمؤخرة العين ، والرواية فى العيون : من الضغن والشحناء بالنظر الشزر ، وفى البيان من الغل والبغضاء .

تبترى : تقطع .

راش الصديق : أصلح حاله وضده براه .

(١) ساقط من ا .

قال يزيدُ بن الحَكَم الثقفى :

تصافحُ من لاقيْتَ لِى ذا عَدَاوَةٍ　　وأنت صديقى ليسَ ذَاكَ بمُسْتَوِى

فى أبيات قد ذكرتها فى باب البغى والحسد وغيره ، وفى رواية أخرى :

عـدوُّك يَخشى صولتى إن لقيتُه　　وأنت صديقِى ليس ذاك بمُستوِى

وقال آخر :

عدوٌّ صديقى داخلٌ فى عداوتى　　وإنّى لمن وَدَّ الصـديقُ ودُودُ

فلا تقتربْ منى وأنت عدوُّ مَنْ　　أصادقُه فالخـيرُ منك بعيـدُ(١)

(٢ وقد أنشد المبرد هذين البيتين على قافية القاف على ما رواه شيخنا ٢) عيسى عن ابن مِقْسَم ، قال : أنشدنى أبو على إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّار ، قال : أنشدنى أبو العباس المبرّد :

صديقُ عدوى داخـل فى عداوتى　　وإنّى على ودّ الصـديقِ صديقُ

أُعَادى الذى عادَى وأهوى له الهوى　　كأنِّى منه فى هَـوَاهُ شَقيقُ(٣)

---

(١) البيتان فى العقد الفريد ٢/٣٠٧ ، ورواية البيت الثانى فيه :

فلا تقربن منى وأنت صديقه　　فإن الذى بين القلوب بعيد

(٢) فى ا : بدل هذه العبارة : وفيما رواه .

(٣) فى ا : وأهوى الهوى له ، وانظر البيتين بهذه الرواية فى أمالى القالى ١/٨٣ .

وقال العتّابى :

تودّ عـدوّى ثم تزعمُ أنّنى   صديقُك إنَّ الرأىَ عنك لعازبُ
وليس أخى من ودَّنى رأىَ عينِهِ   ولـكنْ أخِى من ودّنى وهو غائبُ[١]

قال آخر :

إذا وَالَى صديقُك من تُعَادِى   فقد عَادَاكَ وانقطعَ الكلامُ

قال معاوية : النبل مؤاخاة الأكفاء ، ومداجاة[٢] الأعداء .

قيل لعبد الحميد الكاتب : أيّما أحب إليك أخوك أو صديقك ؟ قال : إنما أحب أخى إذا كان صديقى .

قال بعضُ علماء أهل المدينة : من ثقُل على صديقه خفّ على عـدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه مالا يعلمون .

عذل رجل رجلا ، فقال : أراكَ رطب اللسان من عيوب أَصدقائك ، فلا تردهم فى أَعدائك[٣] ، فإن الصديق يحوَّل بالجفاء[٤] عدوا ، وكذلك العدو يحول بالصلة صديقا[٥] .

---

(١) نسب البيتان فى حماسة البحترى لصالح بن عبد القدوس وفيها : وهو حاضر بدل رأى عينه ، وقد وردا فى أمالى القالى ١/٨٣ ، العقد الفريد ٢/٣٠٧ كما هنا ، وانظر عيون الأخبار ٣/٦ وفيها : ولـكن أخى من صدقته المغايب .

(٢) المداجاة : المدارة ، والمنع بين الشدة والرخاء .

(٣) فى ا : إغرائك .

(٤) ساقط من حـ .

(٥) فى ا : صديقا بالصلة .

كان يقال : لا تجترئ على عداوةِ رجل بصداقة أُلف .

قال الشاعر :

تكثّرْ من الإخوان ما استطَعْتَ إنَّهم بطونٌ إذا استنْجَدتَهم وظهُورُ
وليس كثيرًا ألفُ خلٍّ وصاحبٍ وإن عدوًّا واحدًا لكثيرُ (١)

ومما أنشده المبرد :

ترفّعْ عن مخاشنةِ الصَّديق ولا تُلْجِ العدوَّ إلى مَضيقِ
وإن يَسْنح من المعروف شيء فبادرْ خوفَ إمكان الطريقِ
وأحسنُ من مجاهدةِ الأعادى مجاهدةُ النفوسِ على الحقوقِ

كان المغيرة بن شعبة يقول : إن أنكأ لعدوك ألّا تعلمه أنك اتخذته عدوّا .

سُئل أعرابى عن ابن العمّ ، فقال : عدوُّك وعدوّ عدوِّك .

كان يقال : من سعادة المرء أن يرى عدوَّه خلفه فى حياته ، ويقدمه أمامه فى وفاته .

كان يقال : لا تلتمس معاونة ذى عداوة بإعطائه فضل قوة يستكثر بها عليك فى مخالفتك .

جمع كسرى يوما مرازبَتَه وعيونَ أَصحابه ، فقال لهم : من أىّ شىء أنتم أشد حذرًا ؟ قالوا : من العدوّ الفاجر ، والصديق الغادر .

---

(١) نسب البيتان فى محاضرات الأدباء ٢/٢ إلى محمود الوراق .

قال موسى بن جعفر : اتَّقِ العدوَّ ، وكُن من الصديقِ على حذر ، فإن القلوب إنما سميت قلوبًا لتَقَلُّبِها .

منصور الفقيه :

احــــذر مودةَ ماذقٍ[١] مَزَجَ المـرارةَ بالحلاوَهْ
يُحْصِي الذنوبَ عليك أَيْـــــامَ الصداقةِ للعَــــداوَهْ[٢]

وقال جحظة البرامكى :

لا تُعِدَّنَّ للزمانِ صــديقًا وأعدَّ الزمانَ للأصــدقاءِ[٣]

قال آخر :

دار الصديقَ إذا استشاطَ تَغَضُّبًا[٤] فالغَيْظُ يُخْرِجُ كامنَ الأحقـادِ
ولرُبما كانَ التغيظُ باحثًا[٥] لمعـــــايب الآباء والأجـــدادِ

استعدى أعرابى على بلال بن جرير بن الخَطَفى إلى قُثَم بن العبّاس فقال :

أعـوذُ بعبّاس وَحَقْـوَىْ محمّدٍ وَحَقْوَيْـك[٦] من طولِ الأذى والغَوائلِ

---

(١) الماذق : غير خالص الود .

(٢) البيتان فى عيون الأخبار ١٠٧/٣ من غير نسبة وفيه : والمداوة ، وانظرهما فى الصداقة والصديق ٤١ .

(٣) البيت فى التمثيل والمحاضرة ١٠٧ ، نهاية الأرب ٩٩/٣ .

(٤) فى ا تغيظا .

(٥) فى ا : باديا .

(٦) ساقط من ج ، والحقو : الكشح ، وهو مابين الخاصرة إلى الضلع الخلف .

فإنّ بلالاً يابن عمّ محمدٍ عـدوٌّ إذا جاملتُه لم يُجامِلِ
إذا نال يوماً رِشْوَةً من مخاصِمٍ رمى كل حقٍّ أدعيه بباطلِ

قال ابنُ وكيع :

ليس بالمُنْكَرِ انقلابُ صديقٍ ربما غُصَّ شاربٌ بالشَّرابِ
وتلاقى الإخوانِ بعد فسادٍ كتلاقى(١) الأرواحِ بعد الذهابِ
لا تضيِّعْ مودةً من صديقٍ فانقلابُ الصديقِ شرُّ انقلابِ

قال آخر :

وَرُوِّعْتُ حتى ما أُرَاعَ من النَّوى وإن بَان جِيرانٌ علىّ كرامُ
فقد جعلَتْ نفسى على النأيِ تَنْطَوِى وَعَيْنِى عَلَى هَجْرِ الصديقِ تنامُ(٢)

وقال صالح بن عبد القدوس :

إذا وَتَرْتَ امرءًا فاحذرْ عداوَتَه من يزرع الشوكَ لا يحصد به عِنَبَا
إن العدوَّ وإنْ أبدَى بشاشته إذا رأى منك يوماً فرصة وثبا(٣)

---

(١) فى ا : وتلاف ... كتلاف .

(٢) نسب البيتان فى وفيات الأعيان ٣٩٠/٤ ، وهامش الحماسة ١٠٣/١ إلى عبدالصمد بن المعذل والرواية فى الأعيان : وفارقت بدل روعت ، وغاب بدل بان ، وعلى فقد الحبيب بدل هجر الصديق .

(٣) البيتان فى نهاية الأرب ٧٩/٣ ، التمثيل والمحاضرة ٧٨ .

قال الصاحبُ بن عبّاد :

لقد صدقُوا — والرّاقصاتِ إلى منى — بأنّ مُدَرَاةَ العدى ليس تَنْفَعُ
ولو أننى دارأتُ عمرِىَ حيةً إذا استمكنت يوما من اللّسع تلسعُ(١)

وقال آخر :

ليس الصديقُ الذى إن زلّ صاحبُهُ يوماً رأى ذاك ذنباً غيرَ مغفورِ
إن الصديقَ الذى تلقاه يَعْذِرُ فى ما ليس صاحبُه فيه بمعذورِ (٢)

وقال آخر :

كان صديقى وكان خالِصَتى أيامَ نجْرِى مَجارِىَ السُّوَقِ (٣)

قال أبو تمام الطائى :

وحسبُكَ حسرةً لك من صديقٍ رأيتَ زمامَهُ بيدىْ عَدُوِّ(٤)

قال العَطَوى :

إذا أنكرتَ أخلاقَ الصديق فلستَ من التحيُّرِ فى مضيقِ

(١) البيتان فى التمثيل والمحاصرة ١٢٣ ، نهاية الأرب ٣/١٠٩ ، يتيمة الدهر ٣/٢٧٨ ، وفيها : إذا مكنت بدل استمكنت ، وفى ا : من السم بدل اللسع .
(٢) ساقطان من ا ، وانظرهما فى العقد الفريد ٢/٣٠٧ .
(٣) السوق : عامة أفراد الناس ، ومعنى البيت : أنه كان صديقى أيام كنا فردين من عامة الناس ، وقد ورد البيت ضمن أربعة أبيات فى عيون الأخبار ٣/٧٤ منسوبة لمحمد بن مهدى ، وبعد البيت الوارد هنا فى العيون :

حتى إذا راح والملوك معاً عد اطراحى من صالح الخلق

(٤) البيت ساقط من ا ، وانظره فى ديوانه ٢٦٧ ، والرواية فيه : يكون زماه .

طريقًا كنتَ تسلكه سليماً فأسبع فاجْتَنِبْه إلى طريقِ
فإن قابلَتْ يُسْرَى منه عُسْرَى فراجعْ من قطَعْتَ من الصَّديقِ

وقال عبدُ بنى الحَسْحَاس[1] :

رأيتُ الحبيبَ لا يُملُّ حديثُه ولا ينفعُ المشنوءَ أن يتودّدَا

وقال زياد الأعجم :

عدوُّك مسرورٌ وذو الودّ بالذى أتى منك من غيظٍ علىَّ كظيظ
تلينُ لأهل الغِلِّ والغَمْزِ منهمُ وأنتَ على أهلِ الصفاء غليظُ
نَسِيٌّ لما أَوْلَيْتُ من صالحٍ مَضَى وأنت لتأنيبٍ عَلَيَّ حفيظُ
وسُميتَ غَيّاظًا ولستَ بغائظٍ عدوًّا ولكنَّ الصديقَ يَغيظُ[2]

وقال أبو الطيب :

وأرحمُ أقوامًا من العِيِّ والغَبَا وَأَعْذِرُ فى بُغضى لأنهمُ ضِدُّ
ومن نَكَدِ الدُّنيا عَلَى الحرِّ أن يرى عدوًّا له ما من صداقته بدُّ[3]

---

(١) اسمه سحيم ، كان شاعراً رقيق الشعر ، أصله عبد نوبى ، أعجمى اللسان ، اشتراه بنو الحسحاس ، وهم بطن من أسد ، فنشأ فيهم ، مولده فى أوائل عصر النبوة ، ورآه النبى صلى الله عليه وسلم وكان يعجب بشعره ، قيل : قتله بنو الحسحاس فى آخر خلافة عثمان حوالى سنة ٤٠ هـ ، وأحرقوا جثته لتشبيبه بنسائهم . انظر فوات الوفيات ١/١٦٦ ، الشعر والشعراء ١٥٢ (الأعلام ٣/١٢٤) .

(٢) نسبت الأبيات فى أمالى القالى ٢/١٩٨ ، المؤتلف ٨٨ للحضين بن المنذر يقولها فى ابنه « غياظ » .

(٣) البيت الأول فى الديوان ١٦٩ ، والثانى فى ص ١٦٨ ، أى أن الثانى يرد فى الترتيب قبل الأول فى القصيدة .

(١) وقال آخر:

شر البلادِ مكانٌ لا صديقَ به ... وشرُّ ما يكسبُ الإنسانُ ما يَصِمُ(٢)

وقال منصور الفقيه:

إذا تَخَلَّفْتَ عن صديقٍ ... فلم يعاتبْكَ فى التخلفْ
فلا تعد بعدَها إليه ... فإنما وده تكلفْ
وإن تعد بعدها إليه ... فلا تلمه على التصلفْ(٣)

وقال آخر:

إذا كتم الصديقُ أخاه سِرًّا ... فما فضلُ الصَّديق عَلَى العَدُوِّ (١

وقال ابن الرُّومى:

عَدُوُّكَ من صديقِكَ مستفادٌ ... فأَقلِلْ ما استطعتَ من الصِّحَابِ
فإن الداءَ أكثرَ ما تراهُ ... يكونُ من الطَّعام أو الشرابِ
وإنَّكَ قَلَّمَا استكثرتَ إلَّا ... وقعتَ على ذِئابٍ فى ثيابِ
فدعْ عنك الكثيرَ فكم كثيرٍ ... يُعَابُ وكم قليلٍ مستطابِ
وما اللُّجَجُ المِلاحُ بِمُرْوِيَاتٍ ... وتلقى الرِّىَّ فى النطف العذابِ

---

(١) ساقط من ج.

(٢) البيت للمتنبى أيضاً، انظر ديوانه ٢٧٧.

(٣) البيتان الأول والثانى فى خاص الخاص ١٠٧، التمثيل والمحاضرة ١٠٥، معجم الأدباء ١٨٩/١٩.

إذا انقلبَ الصديق غدا عدوًّا　　مُبينًا والأمورُ إلى انقلابِ (١)

وقال منصور الفقيه :

احذَرْ عــدوّك مرةً　　واحذر صديقك ألفَ مَرَّهْ

فلرُبّما انقلب الصـديـ　　قُ فكانَ أعلمَ بالمضَرَّهْ (٢)

قال آخر :

كُنْ من صديقك خائفًا　　فلرُبَّما حال الصـــديق (٣)

وقال آخر :

احذر صديقَك لا عـدوَّك إنما　　مَسْتُورُ سرِّك عند كلِّ صديقِ (٤)

قال أبو بكر الخالديّ (٥) :

مافى زمانِك ما يعِزُّ وجودُهُ　　إن رمتَه إلاّ صديقٌ مخلصُ (٦)

---

(١) ديوانه ٤٦ .

(٢) ورد البيتان فى محاضرات الأدباء ١٩/٢ منسوبين إلى على بن عيسى .

(٣) فى ا وردت الشطرة الثانية من البيت : فلربما حال الصديق فكان غير صدق .

(٤) فى ا : كل صدوق .

(٥) هو محمد بن هاشم بن وعلة ، شاعرأديب من أهل البصرة ، اشتهر هو وأخوه سعيد باسم الخالديين ، وكانا من خواص سيف الدولة ولاهما خزانة كتبه ، ولهما عـدة مؤلفات فى الأدب ، انظر فوات الوفيات ٢٧١/٢ الأعلام ٢٥٣/٧) .

٦) بيت في نهاية الأرب /١٠٣ ، لتمثيل والمحاضرة ١١٣ ، يتيمة الدهر ١٩٨/٢ .

وقال الكُمَيْت يخاطب بنى العباس[1] :

إذا نحن خِفْنَا فى زمان عدوِّكُمْ وخفناكُمُ إنّ البلاءَ لرَاكِدُ[2]

وقال آخر :

وبغضُك للتَقِيِّ أقلُّ ضُرًّا وأسلمُ من مودة ذى الفُسُوقِ

ولن تنفكَّ تُحسدُ أو تُعادَى فأكثرْ ما استطعتَ من الصديقِ[3]

خالفه ابن الرومى فقال :

عدوُّك من صديقك مستفادٌ فأقلِلْ ما استطعتَ من الصديقِ

فإن الداءَ أكثرَ ما تراهُ من الأشياء تَحْلُو فى الْحُلُوقِ[4]

أكثر رجل على رجل بالسّلام وقال له : أناصديقُك . قال : وكيف ؟ قال : لأنى أسلِّمُ عليك . فأنشأ يقول :

لئن كانَ من قالَ السّلامُ عليكُمُ يُعَدُّ صديقاً فالصديقُ كثيرُ

---

(١) الصحيح أنه المستهل بن الكميت بن زيد الأسدى ، كما فى عيون الأخبار ومعجم الشعراء ، لأن الكميت مات سنة ١٢٦ هـ ، أى قبل قيام الدولة العباسية ، والمعروف أن المستهل هو الذي وفد على أبى العباس السفاح بالأنبار ، فأخذه الحرس لحبسوه ، فكتب إلى أبى العباس شعرا منه هذا البيت فأطلقه وأحسن جائزته . انظر الأغانى ١٥/١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، وانظر الأعلام ٨/١٠٧ .

(٢) فى جـ : لواحد وانظر البيت فى عيون الأخبار ٣/٢٠ ، معجم الشعراء ٤٧٩ .

(٣) البيتان فى عيون الأخبار ٣/٢ ، وفيها : وبغضاء التقى أقل ضيرا .

(٤) ديوانه ١١٠ ، المصون ١٥٢ .

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

لا تُهِنْ للصّديقِ تكرِمُهُ نفْسَكَ حتى تعدّ من خوَلِهْ
يحمل أثقالَه عليك كما يحملُ أثقالَه على جَمَلِهْ
ليس الفتَى بالذى يَحُول عَنِ الْـ عَهْدِ وَيُؤْتَى الصّديقُ من قِبَلِهْ
ولست مستبقياً أخاً لك لا تصفح عن جهله وعن زَلَلِه(١)

وقال آخر :

إن الصَّديقَ فلا تأْمَنْ بوائقَهُ أسْوَا العدوِّ إذا ما سُؤْتَه أثَرَا

وقال رجل من بنى سَليم :

لَعَمْرُك إننى وأبَا رَباح على حالِ التّكاشُرِ منذ حينِ
فأبغضه ويبغضنِي وأيضاً يرانى دونه وأراه دُونى
فلو أنّا على حجرٍ ذُبِحنَا جرى الدَّمَيَان بالخبرِ اليقينِ

وقال المُتَلَمِّس :

أحارثُ إنا لو تُشاطُ دماؤُنَا تَزَايَلْنَ حتى لا يَمَسَّ دمٌ دَمَاَ(٢)

---

(١) الأبيات فى عيون الأخبار ١٧/٣ ، حماسة البحترى ١٧/٣ ، والبيت الأول فيها : لاتهن لئيم ، وتصفح عما يكون من زلله .

(٢) تشاط : تسفك وتختلط ، ويروى : تساط وهما بمعنى ، تزايلن : افترقن ، والبيت فى العقد الفريد ٣٥٩/٥ ، البيان والتبيين ٥٧/٣ ، الحيوان ١٣٦/٣ ، فصل المقال ١٣٢ .

وقال آخر :

إذا كنتَ ممن لا تُرَى نافعًا صديقًا ولا بعدوٍّ تضرّْ
فسيانَ إنْ متَّ أو إن حييتَ فلا ذا يَسُوءُ ولا ذا يَسُرّْ

لأبى عيينة المهلبي، [1] أو على بن جبلة [1] :

ولما رأيتُك لا فاجرًا قويًّا ولا أنتَ بالزّاهِدِ
وليسَ عدوُّك بالمتقِى وليسَ صديقُكَ بالحامدِ [2]
دخلتُ بك السُّوقَ سوقَ الرقيقِ وناديتُ هل فيك من زائدِ؟ [3]
فما جاءنى رجلٌ واحدٌ يزيدُ على درهمٍ واحدِ
[4] سوى رجل حانَ منه الشقا ء وحلت به دعوة الوالدِ [4]
مُحَاطٍ بِهِ [5] معه درهمٌ ردىءٌ فأقبلَ كالراصدِ
فبعتُك منه بلا شاهدٍ مخافةَ ردِّك بالشّاهدِ

---

(١) زيادة فى حـ .

(٢) يرد بدل هذا البيت فى العقد بيت آخر هو :

ولا أنت بالرجل المتقى ولا أنت بالرجل العابد

(٣) بعد هذا البيت فى العقد :

على رجل خائن الصديق كفور بأنعمه جاحد

(٤) ساقط من حـ ، هذا ولم يرد هذا البيت ولا الذى بعده فى العقد بل ورد مكانهما بيت آخر هو :

سوى رجل رادني دانقا ولم يك في ذاك بالجاهد

(٥) فى حـ : سوى رجلٍ .

وأُبْتُ إلى منزلى غانماً   وَحَـلَّ البـلاء عَلَى الناقدِ[١]

وقال آخر[٢]:

سأصبرُ من صديقى إن جفانى   على كلِّ الأذى إلاّ الهوانَا
فإنَّ المرء يجزعُ فى خَلاَءٍ[٣]   وإن حضر الجمـاعةَ أن يُهانَا

قال العَطَوى :

إذا ما الحرُّ فاز[٤] بحُسْنِ حالٍ   أجازَ صديقَه من سُوءِ حَالِ
إذا أَثْرَى رأى حقًّا عليه   له الإفْضَالَ من قبل السؤالِ
لعَمْرُكَ ما رأيتُ فتى كريمًا   يحب المـالَ إلا للنوالِ
أبا حسن ثـكلتُ الحزمَ فيما   أحاولُ من مقالى أو فعالِى
[٥] لقدْ كذبت ظنونى فيك أن لم   أتبْ من حُسْن ظنِّى بالرجالِ [٥]

وقال آخر :

إذا ما المرء كانَ له صديقٌ   فبرُّ صديقِهِ فَرْضٌ عَلَيْهِ

---

(١) انظر الأبيات كما هنا فى الصداقة والصديق ٨٦ ، وانظرها مع الخلاف الذى أوضحت فى العقد الفريد ٤٥٢/٣ ، ولم تنسب فى كليهما .

(٢) هو عمير بن جعيل التغلبى كما فى معجم الشعراء ٢٤٥ ، وسماه فى العقد الفريد ٣١١/٢ عمر بن جميل التغلبى وهو تحريف ، انظر البيتين فيهما ، وفى الـكامل ١٩٩/١ ، عيون الأخبار ١٥/٣ .

(٣) فى حـ : فى هوان .

(٤) ا : إذا ما المرء جاز بحسن حال .

(٥) ساقط من ا .

فإنْ عَنْهُ الصَّديقُ أقامَ يوماً ... فوَجْهُ البرِّ أن يَسْعَى إليهِ
وإنْ كانَ الصديقُ قليلَ مالٍ ... يضيقُ بذرعِهِ ما فى يديهِ
فمِنْ أسْنَى فعالِ المرءِ ألا ... يضنَّ على الصديق بما لديهِ

وقال آخر :

ما ضاقتِ النَّفْسُ عَلَى شَهْوَةٍ ... ألذَّ من ودِّ صديقٍ أمينْ
من فاته ودّ أخ صالح ... فذلك المغبون حق اليقينْ

(١ عبد الله بن طاهر ، ويروى لعلى بن الجهم ، وهى له لا غيره ١) ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا قاسم بن أصبغ ، حدثنا أبو عيسى الأعمى الخباز ببغداد ، قال : أخبرنى يحيى بن المعلم ، قال : مررت بعلىّ بن الجهم ، وقد أُذّن لصلاة الظهر ، وقد دخل المسجد يريد أن يركع(٢) ، فسلمتُ عليه وقلت له : لا يمكننى أن أقيم حتى تصلى لأنى مبادر ، قال : فيم ذا ؟ فقلت : أبيع قميصى هذا وأكافئ به صديقا له قِبَلِى يدٌ . قال : فلم أمش إلاّ قليلا حتى ردنى ، فقال لى : اكتب وأنْشِدْنى(٣) :

أميلُ مَعَ الصديقِ على ابنِ أُمّي ... وَأَحْمِلُ للصّديق على الشقيقِ(٤)

---

(١) ساقط من ا ، م .
(٢) فى ا : ابن وكيع وهو تحريف .
(٣) هذه الرواية ساقها المؤلف لتصحيح نسبة الأبيات إلى على بن الجهم ، والواقع أنها تنسب أيضا إلى أحد اثنين ، إلى عبد الله بن طاهر وقد ورد ذلك فى عيون الأخبار ٢٦٦/١ ، أمالى القالى ٣١٤/٢ ، أو إلى إبراهيم بن العباس الصولى كما ورد فى الأغانى ٢٣/٩ (بولاق) ، زهر الآداب ١٥٦/٤ ، ٥٧ ، معجم الأدباء ١٧٤/١ .
(٤) فى الأمالى والعيون : أميل مع الذمام ، وفى العيون : وأحتمل الصديق .

وإن ألفيتَنِي مَلْكاً مُطَاعاً   فإنّك واجدِي عبدَ الصديقِ[١]
أفرّقُ بينَ معروفى ومَنِّى   وأجمعُ بين مالى والحقوقِ

قالوا : احذر من وتَرْتَه وإن أحسنت إليه ، ومن أوحشته فلا تثقْ به .

قال الشاعر[٢] :

إذا وتَرْتَ امرءًا فاحذر عداوتَهُ   مَنْ يزرع الشَّوكَ لا يحصدْ به عنباَ
إن العـدوَّ وإن أبدى بشاشتَهُ   إذا رأى منك يومًا فرصةً وثباَ

وقد تقدم فى باب التودد إلى الناس أبياتٌ تصلح فى هذا الباب ، فلم أر وجهًا لتكرارها .

(١) فى معجم الأدباء وزهر الآداب : حرا بدل ملكا .
(٢) هو صالح بن عبد القدوس كما سبق فى ص ٩٦٠ .

بابٌ جامعٌ متخيَّرٌ فى الإخوان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرءِ على دين خليله ، فلينظر امرؤٌ من يخالِلْ » .

(١ قال الأوزاعىّ : الصاحبُ للصاحب كالرقعةِ للثوب ؛ إن لم تكن مثله شانَتْه ١) .

قال الشاعر :

وماصاحبُ الإنسان إلا كرُقْعةٍ على ثوبه فليتخذْهُ مُشَاكلا

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا خيرَ فى صحبةِ من لايرَى لك كالذى يرى لنفسه » .

وفى الخبر المرفوع أيضا « شيئانَ لا يزدادانِ إلاّ قلة : درهمٌ حلال ، وأخٌ فى الله (٢) تسكن إليه » .

وقد رُوى مرفوعاً : « المرءِ كثيرٌ بأخيه » .

قال علىٌّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه : لا خير فى صحبة من تجتمع فيه هذه

---

(١) ساقط من ح .

(٢) ساقط من ا .

الخلال : من إذا حـدّثك كذَبَك ، وإذا ائتمنته خانك ، وإذا ائتمنك اتهمك ، (١ وإذا أنعمت عليه كفَرك ١) ، وإذا أنعم عليك منّ عليك .

ومن كلام أبى الدرداء : معاتبةُ الأخ أهونُ من فقده ، ومن لك بأخيك كله ، فأعط أخاك ، وهب له ، ولا تطع فيه كاشحاً فتكون مثله .

وعن ابن عباس أنه قال : أحْبِبْ فى الله ، وأبْغِض فى الله ، وعادِ فى الله ، فإنه لا تُنال موالاةُ الله إلا بذلك ، ولن يجد عبدٌ طعمَ الإيمان — ولو كثرت صلاته وصومُه — حتى يكون كذلك . قال : ولقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدى على أهله[٢] ، ثم قرأ ابن عباس : ﴿الأخلاَّء يومئذٍ بعضُهُم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتقين﴾[٣] ، وقرأ : ﴿لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله﴾[٤] الآية .

قال المغيرةُ بن شعبة : التّارِكُ للإخوانِ مَتْروك .

قال المنصور لإسحق بن مُسلم العقيلى : ما بقىَ من لذّاتِك ؟ قال : أخٌ أشتهى معه طولَ السهر ، ودابةٌ أشتهى معها طولَ السَّفَر .

قال جعفرُ بن محمد : حِفظُ الرجل أخاه بعد وفاته فى تركته كَرَم .

---

(١) ساقط من ا .

(٢) فى ا : وذلك لا يجرى على أهلها .

(٣) سورة الزخرف ، الآية ٦٧ .

(٤) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

كان يقال : أنصحُ الناس لَك[١] من خاف الله فيك .

قال موسى بن جعفر : من لك بأخيك كلِّه ، لا تَسْتقص[٢] عليه فتبقى بلا أخ .

كان يقال : الأُخُوّة قرابةٌ مستفادة .

كان يقال : ما شيءٌ أسرع فى فساد رجل وصلاحه من صاحبه .

ذكر الرياشى ، عن الأصمعى ، قال : ما رأيت شعرًا أشبه بالسنة من قول عَدِيّ بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينِهِ   فكلُّ قرينٍ بالمُقَارنِ مُقْتَدِى
وصاحبْ أُولِى التَّقوى تنلْ من تُقَاهُمُ   ولا تصحبِ الأرْدَى فتردَى مع الرّدِى[٣]

وقال أبو العتاهية :

من ذا الذى يَخْفَى عليْـ   ـكَ إذا نظرتَ إلى قَرِينْه[٤]

قال الخُوَارزمى :

لا تصْحبِ الكسلانَ فى حاجاته   كم صالحٍ بفسادِ آخـــر يَفْسُدُ

---

(١) فى ح : فيك .

(٢) فى ا : لا تستنقص .

(٣) ورد البيتان معاً فى : شعراء النصرانية ٤٦٦ ، جمهرة أشعار العرب ١٠٢ ، وورد الأول فى : معجم الشعراء ٢٥ ، عيون الأخبار ٣/٧٩ ، حماسة البحترى ٣٢٦ ، التمثيل والمحاضرة ٥٢ ، وقد نسب البيت لطرفة وورد فى ديوانه ، ولكن الراجح أنهما لعدى .

(٤) ديوانه ٢٨٢ ، وفيه : خدينه بدل قرينه .

عدوَى البليدِ إلى الجليدِ سريعةٌ ... والجمرُ يُوضعُ فى الرمادِ فيخمُد (١)

كان سفيان بن عيينة يتمثل :

لكلِّ امرئٍ شكلٌ يقرُّ بعينِهِ ... وقرة عينِ الفَسْل أن يصحب الفَسْلاَ (٢)

وقال صالح بن جَنَاح :

وصاحبْ إذا صاحبتَ حُرًّا مُبرِّزاً ... يَزِينُ وَيُزْرِى بالفــتى قرناؤه (٣)

وقال سهل الوراق :

تخـيَّرْ قريناً لا يَعيبُ (٤) فإنّه ... يقاسُ لَعَمْرى بالقرين قرينُه

وشرُّ خـدينٍ قاطعٌ لخـدينه ... إذا حادَ يوماً عن هواه خدينُهُ

وقال آخر :

إن النَّديمَ وإن الـكأسَ صيَّرنِى ... كما ترانى سليبَ العقـلِ والدينِ (٥)

(٦ قالوا : من أراد أن يدوم له ودُّ أخيه ، فلا يمازحه ، ولا يعده موعـداً فيخلفه ٦) .

---

(١) البيتان فى التمثيل والمحاضرة ١٢٥ .

(٢) البيت فى البيان والتبيين ٣/١٧٥ ، الحيوان ٧/١٥٨ . والفسل : النذل الذى لا مروءة له .

(٣) فى ا : وزراؤه .

(٤) فى ح : لا يعاب .

(٥) فى محاضرات الأدباء ١/٣٢٠ ، ورد الشطر الأول من البيت : إنى غفلت عن الساق فصيرنى .

(٦) ساقط من ا .

أوصى رجلٌ ابنه فقال : يا بنىّ ! اصحب من إذا غبتَ عنه خَلَفَك ، وإن حضرتَ كنَفَك ، وإن لقى صديقَك استزادَهُ لك ، وإن لقى عدوَّك كفَّهُ عنك .

وقال بعضُهم : لا تؤاخِ شاعرًا ؛ فإنه يمدحك بثمن ، ويهجوك مجانًا .

لابن أخى زِرّ بن حُبَيْش[1] :

وما استخبأتَ فى رجلٍ خبيئًا   كَدِينِ الصّدقِ أو حَسَبٍ عتيقِ

كان من كلام خالد بن صفوان : اصحب من إن صحبته زانك ، وإن خدمته صانك ، وإن أصابتك فاقة مانك[2] ، وإن رأى حسنة عدها ، وإن رأى سيئة كتمها وسترها ، لا تخاف بوائقه ، ولا تختلفُ طرائقه .

قال أبو العتاهية :

لَكَ الخيرُ إنّى ناصحٌ لك فاسْمَعِ   طمعتَ من الإنسانِ فى غير مَطْمَعِ
طمعتَ من الإنسان فى صَفْوِ وُدِّهِ   ألا ليس يَصْفُو ذو طبائعَ أربعِ

---

(١) زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الأسدى ، من جلة التابعين ، وقد عاش فى الجاهلية وأدرك الإسلام ولكنه لم ير النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان زر عالما بالقرآن فاضلا ، سكن الكوفة وعاش فيها حتى مات فى وقعة بدير الجماجم سنة ٨٣ هـ . انظر الإصابة ٥٧٧/١ (الأعلام ٧٥/٣) هذا ولم أستطع معرفة ابن أخيه هذا الذى نسب المصنف إليه البيت ، وقد نسب فى حماسة البحترى ٢٥٦ ليزيد بن الحكم الثقفى ومن المؤكد أن يزيد ليس ابن أخى زر ، فيزيد ثقفى من الطائف ، وزر أسدى كوفى .

(٢) مانك : احتمل مؤونتك .

خذالعفوَ من كلِّ امرىءٍ سُمْتَ وُدَّهُ ... وإن ضاق عمـــا سُمْتَهُ فتوسعِ[1]

ولأبى العتاهية أيضا :

يارُبَّ خدنٍ كنت آمن غَيْبَهُ ... أصبحْتَ تنطفُ فى يديه جراحِى

سلَّحتُه ليردَّ بأسَ عــــدوِّهِ ... فعـدَا علَىَّ فبزَّنِى بِسِلاَحِى[1]

وقال العاقُولى[2] :

من يُـكرمِ الناسَ يُـكْرِمُوهُ ... ومن يُهِنْهُمْ يجـدْ هَوَانَاَ

ومن يُقِـــل عثرة يُقَلْهَا ... ومن يُعِنْ لَمْ يزَلْ مُعَـانَاَ

كان أخاَ صاحباً زمانا ... فـــــالَ عن وَصْلِناَ وَخاَنَاَ

تاه علينا ، وصـدّ عَنّـا ... فـــا نراهُ ولا يَرَانَاَ

وقيل لخالد بن صفوان : أىُّ إخوانك أحب إليـك ؟ قال : الّذى يغفر زَلَلى ، ويقبلُ عِلَلى ، ويسدّ خَلَلِى .

قال المأمون : الإخوانُ على ثلاث طبقاتٍ : فإخوان كالغذاء لا يُسْتغنى عنهم أبدا ، وهم إخوان الصَّفَاء ، وإخوان كالدواء يُحتاج إليهم فى بعض الأوقات ، وهم

---

(١) لا توجد هذه الأبيات فى ديوانه المطبوع .

(٢) هذه النسبة إلى دير العاقول وهى بليدة بالقرب من بغداد ، ذكر ابن الاثير فى اللباب ٢/١٠٥ ، ٦ بعض من ينسب إليها من العلماء ، ولا يمكن القطع بنسبة الأبيات إلى أحدهم لمجرد أنه عاقولى ، هذا وقد ورد فى ديوان ابن المعتز ٢/٢٣ البيتان الأخيران مع اختلاف يسير فى ألفاظ الرواية .

الفقهاء ، وإخـوان كالداء لا يُحتاج إليهم أبدا ، وهم أهـل الملق والنفاق لا خير فيهم .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : اصْحبْ من ينسى معروفه عنـدك ، ويذكر حقوقَك عليه .

كان(١) ابن عُيَيْنة ماشيا بمـكة مع بعض إخوانه ، فنظر فإذا أحداثٌ يتبعونه ، فقال له : انظر من صار جلاّسى اليوم بعد ثمانين سنة ... لقد كنتُ ابنَ عشرين سنة وما كنتُ أجالس أبناء العشرين ، وإنما كنت أجالس الشيوخ والـكهول ، ألم تسمعْ إلى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ؟ قلت : لا . قال : قال عبيدُ الله :

ألا أبْلِغَا عنى عِرَاكَ بن مَالِكٍ ... فإن أنتما لم تَفْعـلا فأبَا بَـكْرِ(٢)

ويروى : ... ولا تَدَعَا أن تُثْنِيَا بأبى بكرِ

---

(١) من هنا حتى آخر أبيات أبى الأسود الدؤلى فى الصفحة التالية زيادة فى ا .

(٢) أما عراك فهو عراك بن مالك الغفارى الـكنانى المدنى ، تابعى جليل ومحدث ثقة ، كان من أشـد أصحاب عمر بن عبد العزيز على بنى مروان فى انتزاع ما حازوا من الفيء والمظالم من أيديهم ، فلمـا ولى يزيد ابن عبد الملك نفاه إلى دهلك على حدود اليمن ، ومات بها فى خلافته على الأصح . انظر تهذيب التهذيب ٧/١٧٢ ، ١٧٣ ، وأما أبو بكر فهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى الخزرجى . قاضى المدينة وأميرها لعمر بن عبد العزيز ، كان عابداً ثقة كثير الحديث ، ويقال : إنه كان أعلم أهل المدينة بالقضاء ، توفى عن سن عالية نحو سنة ١٢٠ هـ . انظر : شذرات الذهب ٢/١٥٧ ، تهذيب التهذيب ١٢/٣٨ . هذا وقد ورد البيتان ضمن أربعة أبيات لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة الفقيه فى أمالى المرتضى ١٢/٣٩٨ ، ٣٩٩ ، وذكرهناك القصة الأصلية لها ، كما وردت القصة أيضاً برواية مختلفة فى الأغانى ٨/٩١ ، ٩٢ . وملخصها أن عراك بن مالك وأبا بكر بن حزم وعبيد الله كانوا يتجالسون بالمدينة زمانا ، ثم ان ابن حزم ولى إمرتها ، وولى عراك القضاء ، وكانا يمران بعبيد الله فلا يسلمان ولا يقفان ، وكان ضريرا فأخبر بذلك فأنشأ يقول : وأورد الأبيات انظر البيتين أيضا فى عيون الأخبار ٣/١ ، ٨ ، الحيوان ٧/١٥٨ .

فكيف تَلُومانِ ابنَ سبعينَ حِجةً   على ما أتى وهو ابنُ عشرين أو عشرِ

وقال آخر :

أبن لى فكنْ مثلى، أو ابتغِ صاحبًا   كمثلكِ إنّى مبتغٍ صاحبًا مثلى

ولا يلبث الإخوان أن يتفرقوا   إذا لم يؤلَّفَ روح شكل إلى شكلِ

قيل لبعض المدنيين : أى الهوى أغلب ؟ قال : هوى مُتَشاكِلَيْن .

ولعبد الصّمد بن المعذّل :

الناس أشكالٌ فكلُّ امرئٍ   يعـرِفُه الناس بمنتابِهِ

لا تسألنّ المـرءَ عن حالهِ   ما أشبهَ المرءَ بأصحابِهِ

وقال أبو الأسود الدؤلى :

لكلِّ امرئٍ شكل من الناس مثلُهُ   وكل امرئ يَهْوَى إلى من يُشَاكِلُهْ

ومالك بُدٌّ من نزيل فلا تكن   نزيلاً لمن يسعى به من يُنَازِلُهْ

وإن أنت نازلتَ الكريم فلاقِهِ   بما أنت من أهـل المروءة قائلُهْ

وإن أنت نازلتَ اللئيم فكن فتًى   تزايلُه فى فعـله وتحامِلُهْ

إذا لم تُدَاخِلْ حزٌّ من كان ذا حجًا   وعزمٍ وحزمٍ لم تجدْ من تُدَاخِـلُهْ

وما الناسُ إلاَّ بالأصـولِ فإنّما   يُنَبِّتُ أعلى كلِّ بيتٍ أسافلُهْ (١)

---

(١) الأبيات فى ديوانه ١٦٢ .

وقال جرير[١] :

وإنى لأستحيي أخى أن أرى لَهُ ... علىَّ من الحقِّ الذى لا يَرَى لِيا

وفى هذا الشعر يقول جرير :

ألاَ تخافاَ نبـوتى فى مُلِمّـة ... وخافا المنايا أن تفوتـكُماَ بِيَا

تعَرَّضْتُ فاستمرَرْتَ من دُونِ حاجتى ... فحالَكَ إنِّى مستمِرٌّ لحاليَا

وإنّى لمغـرور أعلَّلُ بالمُنى ... لَيَـالِيَ أرجو أنَّ مالكَ ماليَا

فأنتَ أخى مالم تـكن لىَ حاجةٌ ... فإن عَرَضتْ أيقنتُ ألاّ أخاليَا

وهذا البيت من شعر جرير هذا قد أدخله عبد الله بن معاوية [٢]بن عبد الله بن جعفر[٢] فى أبياته التى يقول فيها ، فلا أدرى من تقدم صاحبه إليه :

رأيت فُضَيْلاً كان شيئا ملفَّفًا ... فـكشّفَهُ التمحيصُ حتّى بدا لِيَا

فأنتَ أخى مالم تـكن لِىَ حاجةٌ ... فإن عَرَضَتْ أيقنتُ ألاّ أخاليَا

فلا زادَ ما بينى وبينك بَعْـدَمَا ... بـلوتُك فى الحاجات إلا تَنَائيا

ولستَ براءٍ عيبَ ذى الود كلّه ... ولا بعضَ ما فيه إذا كنتَ راضيا

فعينُ الرضا عن كل عيبٍ كليلةٌ ... ولـكنَّ عين السُّخْط تُبْدِى المساويا

---

(١) الأبيات الآتية فى ديوان جرير ٥٠٦ ، وانظرها من قصيدة طويلة فى النقائض ١٧٧ ط أوربا ، وفيها : فأنت أبى ... لا أباليا .

(٢) ساقط من ا .

كلانا غنيٌّ عن أخيه حياتَه ونحن إذا متنا أشد تغانيا [1]

وقد أدخل بعضهم فى هذه الأبيات بيتين ، وهما :

ولستُ بهيَّابٍ لمن لا يَهَابُنِى ولستُ أرى للمرءِ مالا يَرَى لِيَا
متى تَدْنُ منِّى تدنُ منك مَوَدّتى وإن تَنْأَ عنِّى تُلْفِنى عنك نَائِيَا [2]

[3] وقال روح أبو همام :

فعينُ السّخط تُظْهِرُ كلَّ عَيْبٍ وعين أخى الرِّضا عن ذاك تَعْمَى [3]

وقال معنُ بن أوس :

إذا أنت لم تُنصفْ أخاكَ وجدتَهُ على طرفِ الهِجْرانِ إن كان يعقلُ
ستقطعُ فى الدنيا إذا ما قطعتَنِى يمينك فانظرْ أى كفٍّ تبدّلُ [4]

---

(١) هذا البيت وارد فى ا فقط ، وانظر الأبيات لعبد الله بن معاوية فى عيون الأخبار ٣/ ٧٥ ، الكامل ١٢٥/٠ ، زهر الآداب ١/ ١٢٥ .

(٢) نسب هذان البيتان فى حماسة أبى تمام ٠/ ١٦٤ لأبى بن حمام العبدى ، وورد مع بيت جرير الأول: وإنى لأستحيى ، والبيت الأخير من أبيات عبد الله : كلانا غنى .. فى قصيدة طويلة فى أمالى القالى ٣/ ٧٣ ، ٧٤ لسيار بن هبيرة أحد بنى ربيعة الجوع بن مالك بن زيد مناة فى عتاب أخويه خالد وزياد ، كما نسب البيتان المذكوران فى التمثيل والمحاضرة ٣١٠ للمتلبى ولا يوجد ن فى ديوانه .

(٣) ساقط من ح ، وفى ا : قال أبو العتاهية وهو خطأ فالبيت ليس له ولم يرد فى ديوانه ، وسيأتى بالنسبة الصحيحة فيما بعد ، وانظره فى الصداقة والصديق ٩٠ .

(٤) وزد البيتان منسوبين لمعن فى حماسة أبى تمام ٢/ ٣ ، ٤ ، الكامل ١/ ٣٦٤ النوادر ٢١٨ ، حماسة البحترى ٢٨ ، ٩ ، العقد الفريد ٤/ ٤٤٤ ، ونسبا فى العيون ٣/ ١٨ لجرير وليسا فى ديوانه .

كتب ابن عمار[١] إلى برجوان كتابا فيه قول الشاعر :

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني ... يمينك فانظر أي كف تبدل

فدعا برجوان شاعرا كان قد استخصه يعرف بابن أعين ، وقال له : أجب عن هذا البيت ، فقال :

ومازلتُ أُهْدى النصحَ حتّى اطَّرَحْتَهُ ... وأقبلتَ عن سبلِ الهِدَايةِ تَعْدِلُ

فهبك يميـنى اسْتَخبثتْ فقطعتُها ... لتسلمَ لى نفسى أم الهُلْكُ أَجمـلُ

وهذا المعنى مأخوذ من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

ألم تر أن المـــــرء تَدْوَى يمينُه ... فيقطعُها عمدًا ليسلمَ سائرُهْ

فـكيف تراهُ بعـد يمناه فاعِلاً ... بما ليس منه حين تَدْوَى سَرَائِرُهْ[٢]

أنشدنى أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان ، قال : أنشدنا أبو محمد[٣] قاسم ابن أصبغ ، قال : أنشدنا أبو بكر بن أبى خيثمة لأبى الشيص محمد[٣] بن عبد الله ابن رزين[٤] :

---

(١) لعله إسماعيل بن عمار بن عيينة بن الطفيل الأسدى ، وهو شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، كان هجاء مرا ، وقد اتهمه والى الكوفة بأنه من الشراة ، وأنه من دعاة المختار بن أبى عبيد الثقفى ، فسجنه ولم يطلق سراحه طيلة ولايته ، فلما تولى الكوفة الحكم بن الصلت أطلقه وأحسن إليه فأكثر من مدحه ، وقد توفى ابن عمار حوالى سنة ١٥٧ هـ . انظر الأغانى ١١/٣٦٤ وما بعدها (طبعة دار الكتب) . هذا ولم أعثر على ترجمة لبرجوان أو شاعره ابن أعين فيما تحت يدى من مراجع .

(٢) تدوى : تمرض ، وانظر البيتين فى التمثيل والمحاضرة ١٠٣ ، نهاية الأرب ٣/٩٦ .

(٣) ساقط من ا .

(٤) انظر الأبيات فى الصفحة التالية فى الصداقة والصديق ٥٣ ، ومع اختلاف فى الترتيب فى عيون الأخبار ٣/٨١ ، ووردت الأبيات ١ ، ٢ ، ٥ فى العقد الفريد ٢/٣٤٧ منسوبة لابن أبى حازم ، وانظر المحاسن والأضداد ٤١ ،

صاحبٍ كان لى وكنتُ لَهُ أشفقَ من والدٍ على ولدِ
كنا كساق تَسْعى بها قدمٌ أو كذراعٍ نيطتْ إلى عَضُدِ
وكان لى مُؤْنِسًا وكنتُ له ليستْ بنا حاجةٌ إلى أحدِ
حتى إذا حلت الحوادثُ مِن ساحَتِى وحلّ الزمانُ من عُقَدِى
احْوَلَّ عنى وكان ينظرُ مِنْ عَيْنِى ويرمِى بساعدِى ويَدِى
(١حتى إذا استرفدَتْ يدى يدُه كنت كمسترفدٍ يد الأسَدِ١)

وقال آخر :

وإنى لأستحيي آخى أن أبرُّهُ قريباً وأن أجفُوهُ وهو بعيدُ

وقال آخر :

قلت للفرْقدَيْن إذ طال لَيْلِى وهما فى السماء مُقْترنانِ
[ابقيا كيفَ شِئْتُمَا عن قليلٍ سوف تُطْوَى السّما وتفترقانِ](١)

قيل لأعرابى : لم قطعت أخاك من أبيك ؟ فقال : إنى لأقطع الفاسد من جسدى الذى هو أقرب إلىّ من أبى وأمى وأعز فقدا .

قال ابن ميّادة :

ألم تكُ فى يُمْنَى يديك جعلتَنِى فلا تجعلنّى بعدها فى شمالِكا

(١) ساقط من م .

وقال آخر :

لا تُهِنّى بعد أن أكرمْتَنِي ... فشَديدٌ عادةٌ منتزَعَهْ[١]

وقال آخر:

وكلُّ أخٍ مفارقُهُ أخوه ... لعَمْرُ أبيك إلاّ الفرْقدانِ[٢]

وقال آخر[٣] :

لن يلبث القرناء أن يتفرقوا ... ليلٌ يكرُّ عليهم ونَهارُ

وقال محمد بن أبى حازم الباهلى :

لم يكُ مِنْ شَكلِى ففارقتُه ... والناسُ أَشْكالٌ وَأُلاّفُ[٤]

وقال ابن الرومى[٥] :

* وبعض السجايا ينتمين إلى بعض *

---

(١) نسب البيت فى عيون الأخبار ٣/١٩٥ لأبى العيناء ، ونسب فى حماسة البحترى ٢٠٩ إلى أنس بن أبى أنس الليثى ، وفيهما : بعد إكرامك لى ، ونسب فى زهر الآداب ١/٣٢٦ إلى أبى الأسود ، وورد فى إعتاب الكتاب ٢٥٥ بدون نسبة .

(٢) ورد البيت فى المؤتلف ٨٥ ، حماسة البحترى ٢٣٤ منسوبا إلى حضرمى بن عامر ، ونسب إلى عمرو ابن معد يكرب فى الكامل ٢/٢٩٨ ، البيان والتبيين ١/٢٢٣ ، وورد فى التمثيل والمحاضرة ٢٣٥ بدون نسبة .

(٣) هو جرير ، انظر ديوانه ٢٠١ .

(٤) فى ح : لم يك لى شكلا ، وانظر البيت فى المؤتلف والمختلف ٨٥ ، المحاسن والمساوئ ٢/٢٠٦ .

(٥) لم ترد هذه الشطرة فيما طبع من ديوانه .

قال حبيب :

ولن تنظِمَ العِقْدَ الكَعَابُ لزينةٍ   كما ينظمُ الشَّملَ الشَّتيتَ الشمائلُ[1]

وقال المُسَاحِقِى :

تُزَهّدنى فى وُدّك ابنَ مُسَافِعٍ   مودتُك الأَرْذَالَ دون ذوِى الفَضْل

وأن شِرَار النــاسِ سادُوا خيارهم   زَمانَكَ إن الرَّذْل للزمنِ الرَّذْلِ[2]

قال أكثم بن صيفى : أحقُّ من يَشْرَكُك فى النعمة شركاؤك فى المكاره .

أخذه دعبل فقال ، ويروى لحبيب :

وإن أولَى البرايا أن تواسِيَهُ   عندالسُّرور لمن واساك فى الحَزَنِ

إنّ الكرامَ إذا ما أسهلوا ذكروا   من كان يألفُهُمْ فى المنزل الخشِنِ[3]

وقال آخر :

إذا ما خليلى أسَــــا مَرَّةً   وقد كان من قبلها مُجْملاَ

شكرتُ المقدَّمَ من فعلِهِ   ولم يُفْسِدِ الآخرُ الأوّلاَ[4]

---

(١) ديوانه ٣٠٥ .

(٢) البيتان فى عيون الأخبار ٣/٨ .

(٣) نسب البيتان لأبى تمام فى خاص الخاص ٩٥ ،عيون الأخبار ٣/٢٠ ، وانظرهما فى ديوانه ٣١٤ ،ونسبا للصولى ووردا فى ديوانه ١٧٧ ، وانظر وفيات الأعيان ١/٢٩ ، معجم الأدباء ١/١٩٢ ، ويروى لمن والاك بدل واساك ، وانظر التحقيق فى ديوان دعبل ٣٥٧ .

(٤) ورد البيتان فى العقد الفريد ٢/٢٧٧ منسوبين لطاهر بن عبد العزيز ، ونسبا فى محاضرات الأدباء ٣/٥ لأبى منصور الفقيه .

وقال امرؤ القيس بن عانس الكندى[١] :

إنّى بحَبْلِكَ واصلٌ حَبْلِي ... وبريشِ نَبْلِك رائشٌ نَبْلِي
وشمائِلِي ما قد علمتَ وَمَا ... نبحَتْ كلابُك طارقًا مثلِي

قال عَبيد[٢] :

لا أُلْفِيَنَّك بَعْدَ الموت تندُبُنِي ... وفى حياتِيَ مازوَّدْتنى زادِي
الخيرُ أبقَى وإنْ طال الزمانُ بهِ ... والشَّرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زَادِ

قال آخر :

وإذا تكونُ عظيمةٌ أُدْعَى لهَا ... وإذا يحاسُ الحيْسُ يدعى جنْدَبُ[٣]

وقال آخر :

إذا كنت تأتِى المرء تَعرِفُ حقَّهُ ... ويجْهلُ منك الحقَّ فالتَّرْكُ[٤] أجملُ

---

(١) مضت ترجمته فيما سبق ، وانظر البيتين فى الأغانى ١/٣١٣

(٢) انظر البيتين لعبيد بن الأبرص فى التمثيل والمحاضرة ٥٠ ، الشعر والشعراء ١٤٥ ، اللسان ١٥/٣٩٧ ، والأول فى البيان والتبيين ٣/١٠٥ فصل المقال ٢٠٥ ، الصداقة والصديق ٨١ ، وورد الثانى فى العقد الفريد ٤/٣٠ إلى النابغة ، هذا وقد فصل ناسخ النسخة ج بين البيتين بكلمتى : قال آخر ، وهو خطأ .

(٣) الحيس : تمر يخلط بسمن فيعجن شديدا ثم يندر منه نواه ، وربما جعل فيه سويق ، هذا وقد ورد البيت وحده ومع أبيات فى كثير من كتب الأدب ، واختلفت نسبته فيها . ففى حماسة البحتري ١٠٩ قال : إنه لعامر بن جوين الطائى أو منقذ بن مرة الكنانى ، وفى المؤتلف ٣٨ ، أمالى القالى ٣/٨٥ نسب لابن أحمر الكنانى أو زرافة الباهلى ، ونقلت هذه النسبة بنصها فى اللسان مادة حيس ، وانظر البيت ضمن سبعة أبيات فى عيون الأخبار ٣/١٨ ، ١٩ ، وانظر التحقيق فى هامشه ، فقد أورد للأبيات نسبة أخرى .

(٤) فى م : فالصبر .

وفى البُعْد منجاةٌ وفى الصرم راحةٌ … وفى الأرضِ عمن لا يواتيك مَرْحَل (١)

وقال آخر :

لهُ حقٌ وليس عليه حَقٌ … وَمَهْمَا قال فالحسنُ الجميلُ
وقد كان الرسولُ يرى حقوقاً … عليه لأَهْلِها وهو الرسول (٢)

قال آخر :

وددْتك لما كان وُدُّكَ خالصاً … وأعرضتُ لما صار نهباً مُقَسَّماَ
ولن يلبث الحوضُ الجديدُ بناؤُهُ … على كُرُهِ الوُرَّادِ أن يتهدَّمَا (٣)

وقال إبراهيم بن العباس الصولى :

(٤ نعم الزمانُ زمانِى … والشّانُ فى إخوانِى
ممن رمانِى لمـا … رأى الزمانَ رمانِى ٤)
لو قيل لى خذ أماناً … من أعظم الحدثانِ

(١) ويروى : مرحل وهما بمعنى ، وانظر البيتين فى عيون الأخبار ٣/١٩ ، وفيها : وفى العيش منجاة وفى الهجر راحة .

(٢) نسب البيتان فى الكامل ١/٣٢٢ إلى عبد الله بن حسن بن حسن ، ووردا فى عيون الأخبار ٣/٢٠ بدون نسبة ، وفيهما : عليه لغيره بدل أهلها ، وفى زهر الآداب ١/١٢٦ أنهما لأبى عاصم محمد بن حمزة الأسلمى فى الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب .

(٣) البيتان فى زهر الآداب ٤/٢٦ ، محاضرات الأدباء ٢/١٠٥ وفيها : تبعتك لما كنت عندي ممتعا بدل الشطرة الأولى .

(٤) ساقط من ا .

لما أخـــــذت أمانًا إلا من الإخـوانِ[١]

وقال أيضاً :

وكنتَ أخي بإخاءِ الزمانِ فلما نَبا صرتَ حرباً عوانا

وكنت أذمُّ إليك الزمانَ فأصبحت فيك أذم الزمانا[٢]

وكنت أعدك للنائبات[٢] فها أنا أطلب منك الأمانا[٣]

وقال آخر — وهو كُثَيِّر عَزَّة[٤] :

خير إخوانك المشارك فى المرّ (م) وأين الشريك فى المرّ أينا

الذى إن حضرتَ زانك فى الحىّ (م) وإنْ غبت كان أُذْنًا وَعَيْنَا

أنت فى معشرٍ إذا غبتَ عنهم بدَّلُوا كل ما يَزِينُك شَيْنَا

وإذا ما حضرتَ قالوا جميعاً : أنتَ من أكرمِ العِبادِ علينَا

وقال آخر :

لحا اللهُ وصلا إن تغيبتَ ساعةً فأنتَ وأقصى الناس فيه سواءُ

وخِلاًّ إذا لم تأتهِ بهديةٍ[٥] بدَتْ لك منـــه غَفْلَةٌ وجفاءُ

---

(١) الأبيات فى ديوانه ١٦٨ .

(٢) ساقط من ا .

(٣) الأبيات فى ديوانه ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٤) وردت الأبيات غير منسوبة فى العقد الفريد ٢/٣٠٨ ، وانظرها فى ديوان كثير ٢/١٩٤ .

(٥) ساقطة من ا .

وقال المُثَقِّبُ العَبْدى(١) :

تَواعِدُنى مواعِـدَ كاذباتٍ ... تمرُّ بها رياحُ الصيفِ دُونى

فإما أن تـكونَ أخي بحقٍّ ... فيُعْرَفَ منك غَثِّى من سمينى(٢)

وإلا فاطَّرِحْنى(٣) واتخذِنى ... عدوًّا أتقيـــكَ وَتتَّقِينِى

فإنى لَوْ تُعَانِدُنِى شِمَـــالِى ... عنادَكَ ما وصلتُ بها يمينِى

إذاً لَقَطعتُها ولقلتُ بِينِى ... كذلك أَجْتَوِى من يَجْتَوِينِى

وقال آخر :

أُفًّا وَتُفًّا لِمنْ مودَّتُه ... إنْ زُلْتَ عنه سُوَيعَةً زالَتْ

إن مالت الريحُ هكذا وكذا ... مَالَ مع الريح حيثما مَالَتْ(٤)

وقال صالحُ بن عبد القدّوس(٥) :

قل للذى لستُ أدرِى من تَلَوُّنِهِ ... أناصـــحٌ أم على غشٍّ يُداجِينِى

(١) ديوانه ٢٩ .
(٢) فى عيون الأخبار ٣/٧٧ حماسة البحترى ٧٩ : فأعرف منك غثى من سمينى .
(٣) فى ديوانه وفى الشعر والشعراء ٢٣٤ فاتركنى ، وفى عيون الأخبار : فاجتنبنى .
(٤) انظر البيتين فى التمثيل والمحاضرة ٢٤٢ .
(٥) وردت أبيات صالح فى حماسة البحترى ٧٩ ، ٨٠ ما عدا الأبيات ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦ ووردت كلها فى تهذيب ابن عساكر ٣/٤٥ منسوبة إلى أسماء بن خارجة ، ووردت مفرقة فى محاضرات الأدباء ١/١٤١ (٣ أبيات) ، الصداقة والصديق ١٢١ (٤ أبيات) ، فصل المقال ٤٣ (٦ أبيات) مع اختلاف يسير فى ألفاظ الرواية من كتاب إلى آخر .

إنى لأكثرُ مما سُمتَنى عَجَباً يد تشجُّ وأخرى منك تأسُونى
تغتابُنِى عند أقوامٍ وتمدحنى فى آخرين ، وكلٌّ عنك يأتينِى
هذان أمران شتّى البَوْنُ بينهماَ فاكففْ لسانَك عن ذَمى وتزيينِى
لو كنتُ أعلم منك الودَّ هان إذًا علىَّ بعضُ الذى أصبحتَ تولينِى
لا أسألُ الناسَ عما فى ضمائرِهمْ ما فى ضميرِى لهم من ذاك يَكفِينِى
أرضَى عن المرء ما أصْفَى مودَّتَهُ وليس شىء من البغضاء يُرْضينِى
واللهِ لو كرِهتْ كفِّى مصاحبَتى لقلتُ إذ كرهت قُرْبى لها بِينِى
ثم انثنيتُ على الأخْرَى فقلتُ لها : إن تسْنديِنى وإلا مثلَها كونى
لا أبتغِى وُدَّ من يبغِى مقاطعتِى ولا أَلِينُ لمن لا يبتغِى لِينِى
إنّى كذاك إذَا أمر تعرَّضَ لِى خشيتُ منه على دنياى أو دِينِى
خرجتُ منه وَعِرْضِى ما أدَنّسُهُ ولم أقم غَرَضًا للنَّذْلِ يرمينِى
رُبَّ امرئ أجنبيٍّ عن مُلاطَفتِى مَحْضِ المودّةِ فى البلوى يواسينِى
ومُلْطِفٍ بى مدارٍ ذى مكاشرة مُغْضٍ على وَغَرٍ فى الصدرِ مكنونِ
ليس الصَّديقُ الذى تُخشى بوادره ولا العـــــدو على حال بمأمونِ
يَلُومُنى الناسُ فيما لو أخبِّرُهم بالعُذْر منّى فيه لم يلُومونى

وقال آخر :

لسانُك معسولٌ ونفسُك شُحّةٌ ... ودون الثريا من صديقك ما لكَا

وقال آخر :

بنو عَبْسٍ أشدُّ الناس بغضاً ... لنا وأشدُّهم بغضا إلَيْنَا

فلا تقبلْ شهادتَنَا عليهم ... ولا تقبلْ شهادتَهُم علينا

قال لقمان لابنه : ثلاثةٌ لا يُعرفون إلاّ فى ثلاثة مواطن : لا يُعرَفُ الحليمُ إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلّا عند الحرب ، ولا الأخ إلا عند الحاجة .

قال بعض الحكماء : الإخوان بِمنزلة النار ؛ قليلُها متاع ، وكثيرها بَوَار ، فلا تَسرّنّ بكثرة الإخوان إذا لم يكونوا أخيارًا .

قال أسماءِ بن خارجة : إذا قَدُمَت المودةُ سَمُجَ الثناء .

قال أبو العتاهية :

انت ما استغنيت عَنْ صَا ... حِبِكَ الدهرَ أخُوهْ

فإذا احتجتَ إليه ... ساعةً مجّكَ فُوهْ

لو رأى الناس نبيًّا ... سائلاً ما رحموهْ[1]

(١) الأبيات فى ديوانه ٢٩٥ ، وفيه : ما وصلوه بدل ما رحموه .

وقال سويدُ بن مَنْجُوف :

فأبلغْ مُصْعبا عنى رسـولا ... وهل تجدُ النصيح بكل وادِ
تعلَّمْ أن أكثرَ من تناجى ... وإن ضَحِكُوا إليك هم الأعادِى

وقال آخر :

لَعَمْرك ما وُدّ اللّسانِ بنافعٍ ... إذا لم يكن أصْلُ المودّة فى القلبِ[1]

كان يقال : تناس مساوئ الإخوان ، يَدُمْ لك ودّهم .

وقال آخر :

يا غارساً شجر الكرو ... م بجهله وسط السّباخْ
ومحضّناً بيضَ القطاَ ... تحت الحِدَا لرجا الفِرَاخْ
إن الذين تودُّهمْ ... هم ناصبُو شبك الفخاخْ
ذهب الزّمانُ بأهله ... فانظر لنفسك من تُوَاخْ[2]

وقال عَبْدَةُ بن الطَّبيب :

إن الذين تَرَوْنَهم إخْوانَكمُ ... يشفي صُدَاعَ رُءوسهم أن تُصْرَعُوا

---

(١) البيت فى عيون الأخبار ٣/٧٨ ، البيان والتبيين ١/٢٢٢ ، وفيه : فى الصدر بدل القلب .
(٢) وردت أبيات قريبة من هذه فى ديوان أبى نواس ١٥٤ هى :

يا واضعا بيض القطا ... تحت الزمامج للفراخ
لو أيقنت ما تحتها ... لم تخل من فقر الصماخ
فسد الخلائق كلهم ... فانظر لنفسك من تؤاخ

فَضَلَتْ عداوتُهم على أحْلامِهِم وأبَتْ ضِباب صدورهم ما تُنْزَعُ
لا تأمَنُوا قومًا يَشِبُّ صبيهم بين القَوابِلِ بالعداوةِ يرضَعُ(١)

قال لقمان لابنه : يابنى ! إياك وصاحبَ السوء ، فإنه كالسيف المسلول ، يعجبك منظره ، ويقبح أثره .

قال المثقّب العَبْدى(٢) :

وصاحب السَّوْءِ كالدَّاءِ العَيَاءِ إذا ما ارفضَّ فى الجوفِ يجْرِى هاهُنا وهُنا(٣)
يُنبى ويُخبِرُ عن عَوْرَاتِ صَاحِبِه وما رأى عنده من صالحٍ دَفَنَا(٤)
كمهرِ سَوْءٍ إذا رَفَّعتَ سيرَتَهُ رام الجِمَاحَ وان أخفضته حَرَنَا(٥)
إن يَحْىَ ذاك فكن منه بمعزلةٍ أو مات ذاك فلا تقرب له جَنَنَا(٦)

ولقعنب بن أم صاحبٍ ، وهو قعنب بن حمزة ، أحد بنى عبد الله بن غَطَفان ، (٧ يهجو بنى ضبة — حىّ من غطفان — ٧) :

صُمٌّ إذا سمعوا خيراً ذُكِرْتُ به وإن ذُكرت بسُوء عندهم أَذِنُوا

(١) انظر الأبيات فى عيون الأخبار ٢/٢١ ، حماسة البحترى ٢٤١ .
(٢) الأبيات فى ديوانه ٣٣ ، وقد نسبت فى أمالى القالى ٢/١٨٢ إلى رافع بن إبراهيم اليربوعى ، ونسبت فى البيان والتبيين ٣/١٣٩ إلى المقنع الكندى .
(٣) ورد هذا البيت فى نسخة حـ على هيئة كلام نثرى . والرواية فى الأمالى الغميض بدل العياء .
(٤) فى ا : يفتى بدل ينبى ، وفى الأمالى : يبدى ويظهر .. وما رأى من فعال صالح ... الخ .
(٥) فى ا : راحت مسرته بدل رفعت سيرته ، وفى الأمالى : سكنت بدل رفعت ، ورفعته بدل أخفضته .
(٦) الجنن : القبر ، والرواية فى الأمالى : إن عاش ذاك فأبعد عنك منزله ... الخ .
(٧) ساقط من ا وانظر الأبيات التالية فى حماسة أبى تمام ٢/١٧٩ ، عيون الأخبار ٣/٨٤ .

فَطَأْنَة فطنـوها لو تـكونُ لَهُمْ   مروءةٌ أو تُقَى لله ما فَطَنُوا
إن يسمعوا سَيْئًا طارُوا به فَرَحًا   مِنِّى ، وما سَمِعُوا من صالحٍ دَفَنُوا
جَهلا عَلَيْنا وَجُبْنًا عن عدوهمُ   لبئست الخَلَّتَان الجهـلُ والجبُنُ
فلن يراجعَ وُدّى ودهم أبدا   وكنت من بغضهم مثل الذى زكنوا[١]

روى عن معاذ بن جبل ، وقد رفعه بعضهم ، قال : إذا أحببت أخًا فى الله فلا تماره ولا تشاره ولا تسل عنه أحدًا ، فربما صادفتَ له عدوًّا فأخبرك بما ليس فيه ، فحال بينك وبينه .

قال أبو الأسود الدؤلى :

وصِلْهُ ما استقامَ الوصلُ منه   ولا تسمـعْ به قِيـلاً وقالاً[٢]

قال محمود الوراق :

لستُ ممن يذاقُ الصاحب الـ   ـود إذا أظهر الجفاء الصريحاَ
أنا أنهاه ما استطعتُ فإنْ لَـ   ـجّ أعرتُ الفؤاد يأسا مُريحاَ
غير أنى على القطيعة لا أظْـ   ـهِر هُجْرًا ولا أقول قبيحاَ

(١) زكنوا : ظنوا عن يقين ، ويروى : قلبى بدل ودى ، وأمرهم بدل بغضهم .
(٢) البيت فى ديوانه ٢٠٦ .

بابُ العِتَــاب

قال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — : أعقلُ الناس أعذرُهم لهم .

قال الأحنف : العتابُ مفتاح التّقالى ، والعتاب قرينُ الحقد .

وعن الأصمعىّ قال : قال أعرابى : عاتبْ من ترجو رجوعَه .

قال بعض الحكماء : العتاب علامة الوفاء ، وسلاح الأكفاء ، وحاصد الجفاء[1] .

قال العتابى : ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ، وضربةُ الناصح خير من محبة الشّانى .

قال بعض الحكماء : من كثر حقده قلّ عتابه .

قال محمدُ بن داود : من لم يعاتب على الزَّلة ، فليس بحافظٍ للخَلَّة .

قال أسماء بن خارجة : الإكثار من العتاب ، داعية إلى الملال .

قيل لبعض الأعراب : من الأديب العاقل ؟ قال : الفَطِنُ المتغافل .

قال بعض الأدباء : من أحب أن يسلمَ له صديقه ، فليقبلْ عُذره ، وليقلّ عتابه ؛ فإن العتاب يجرُّ الملال[2] .

---

(١) فى ا : سلاح الأكفاء ، وعاضد الجفاء .

(٢) فى حـ : يجر العتاب .

قال غيره : العتاب مفتاح القطيعة .

قال عمرُو بن بحر : العتابُ رائد الإنصاف ، وشفيع المودة ، ويد للمحافظة .

أنشدنا الرِّياشى ، وهى لهشام الرقاشى[١] :

أبلغ أبا مِسْمَعٍ عنى مُغَلْغَلَةً ... وفى العتاب حياةٌ بين أقوامِ[٢]

قدَّمت قبلى رجالا لم يكن لهمُ ... فى الحق أن يلجوا الأبواب قُدّامِى[٣]

لو عُدّ قبرٌ وقبرٌ كنتَ أكرمَهم ... قبرًا ، وأبعدَهُم من منزل الذّامِ[٤]

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

أعاتبُ من يحلُو بقلبي عتابُه ... وأتركُ من لاأشتهى ، لاأعاتبُه

وقال آخر :

وليس عتابُ المرءِ للمرءِ نافعًا ... إذا لم يكنْ للمرء لُبٌّ يعاتبُه[٥]

---

(١) وردت الأبيات منسوبة لهشام الرقاشى فى البيان والتبيين ٣/٣٢٤ ، العقد الفريد١/ ٨٠ ، ونسبت إلى عصام بن عبيد الزمانى فى معجم الشعراء ٢٧٠ ، تاج العروس مادة غل ، حماسة أبى تمام ١/٤٧٥ ، ونسبت إلى أبى القمقام الأسدى فى عيون الأخبار ١/٩١ ، ٩٢ ، وانظر التمثيل والمحاضرة ٤٦٥ .

(٢) المغلغلة : الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد . والرواية فى العيون : أبا مالك بدل أبا مسمع .

(٣) رواية الحماسة : قوماً بدل رجالا . وأن يدخلوا بدل يلجوا .

(٤) اختلفت رواية هذا البيت فى المراجع ، فقد وردت كما هنا فى البيان ، ثم اختلفت بعد ذلك ، ففى العقد : لوعد قوم وقوم كنت أقربهم قربى . وفى العيون : ... بيت وبيت كنت أقربهم بيتا ، وفى الحماسة ومعجم الشعراء وتاج العروس : أكرمهم ميتا ... الخ .

(٥) البيت لبشار ، من قصيدته المعروفة : إذا كنت فى كل الأمور معاتبا ، انظره فى ديوانه ١/٣٠٩ .

وقال آخر :

أعاتبُ من أحببتُ فى كلِّ زَلّةٍ ... ليحتمىَ الأمرَ الذى معه العَتْبْ

فإنى أرى التأديب عند وجوبه ... بمنزلة الغَيْث الذى قبله الْجَدَبْ[1]

وقال على بن الجهم :

أعاتبُ ذَا المودَّة من صديقٍ ... إذا ما رَابنى منه اجتنابُ

إذا ذهبَ العتابُ فليس وُدٌّ ... ويبقى الوُدُّ ما بقى العتابُ[2]

وقال آخر :

لولا محبتكمُ لما عاتبتكمْ ... ولكنتم عندى كبعضِ الناسِ[3]

وقال نصرُ بن أحمد :

وتعاتُبُ الإخوان فيما بينهم ... بعثٌ على الإجلالِ والإكرامِ

لولاَ اعترافى باعترافكِ فى الّذى ... تأتى وَتَتْرُكُ ما أتاك مَلاَمِى

وهذا يشبه قول البحترى[4] :

أباحَسَنٍ ما كان عَتْبِيكَ دُونَهُم ... لواحــدةٍ إلاّ لأنك تَفْهَمُ

---

(١) فى ا : فإنى رأيت العتب ، وانظر البيتين فى التمثيل والمحاضرة ٢٣٩ .

(٢) انظر البيتين فى ديوانه ٧ .

(٣) نسب البيت فى وفيات الأعيان ٢/٢٣٠ إلى العباس بن الأحنف ولم أعثر عليه فى ديوانه .

(٤) ديوانه ٢/١٤٦ .

وقال نصر بن أحمد :

إنْ كان لفظى كريها فاصْطَبِرْ فعَلَى ... كُرْه العلاج يُصحّ الله أبدانَا
لولا العوارضُ ما طاب العتابُ لنا ... لولا قِصَارَتُنا للثـوب ما زانَا[1]
إنى أعاتب إخوانى وهم ثقتى ... طورًا وقد تُصْقَل[2] الأسياف أحيانَا
هى الذنوب إذا ما كُشِّفت دَرَسَتْ ... من القلوب وإلا صِرْنَ أضغانَا

وقال ابنُ وكيع :

عتابى أخى فى كل ذنب أتى به ... مخوفٌ على حال الأُخوة فى الودِّ
ولستُ أرى وجهًا لترك عتابِهِ ... على ما جنى إذْ كان خيرًا من الحقد

وقال ابن بَسّام :

عاتبْ أخاك إذا هَفَا ... واعطفْ بودِّك واستعدْهُ
وإذا أتاك بغيبـهِ ... واشٍ فقلْ لم يعتمدْهُ
من ناقشَ الإخـوانَ لم ... يُبْدِ العتابَ ولم يُعِدْهُ

وقال محمد بن أبى حازم :

خـلِّ عنك العتابَ إن ... خانَ ذو الوُدّ أَوْ هَفَـا

---

(١) قصارة الثوب : غسله وتبييضه .
(٢) فى ا : تقتل .

عينُ من لا يُحبُّ وَصْ　لَكَ تُبْدِى لك الجَفاَ[١]

وقال بشار العقيلى :

إذا كنتَ فى كلّ الأمور معاتباً　صديقَك لم تلق الذى لا تُعاَتبُهْ

فعش واحدًا أو صل أخاكَ فإنه　مُقَارِف ذنب مرة ومجانبُهْ

إذا أنت لم تشربْ مرارًا على القَذَى　ظِمئْتَ وأى الناس تصفو مشاربُهْ[٢]

وقال آخر :

البس الناس ما استطعت على النَّقْـ　ـصِ وإلاّ لم تستقم لك خُـلَّهْ

عش وحيدًا إن كنت لا تقبل العُذْ　رَ وإنْ كنتَ لا تجاوزُ زَلَّهْ[٣]

وقال آخر :

خذ من صديقك ما صَفَا　لَكَ لا تكن جَمّ المعايبْ

إن الكثير عتابُهُ الْ　إخوانَ ليس لهم بصاحبْ

وقال أحمدُ بن يوسف[٤] :

رأيتُكَ لا تميلُ إلى صوابِ　ولا ترضَى الصوابَ من الجوابِ

---

(١) عيون الأخبار ٣/١١٠ ، العقد الفريد ٣/١٣٤ ، والثانى فى فصل المقال ٣٨٤ .

(٢) الأبيات فى الديوان ١/٢٠٩ .

(٣) البيتان لأبى العتاهية ، انظر الديوان ٢٣٦ .

(٤) ابن القاسم بن صبيح المعروف بالكاتب ، وزير من كبار الكتاب ، ولى ديوان الرسائل للمأمون ثم استوزره بعد خالد الأحول ، وكان فصيحا قوى البديهة ، يقول الشعر الجيد . انظر : تاريخ بغداد ٥/٢١٦ ، الوزراء والكتاب ٣٠٤ (الأعلام ١/٢٥٨) .

وتركُك ما يَرِيبُكَ فى كثيرٍ أحفُّ عليك من طولِ العتابِ

ولعبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

خليلىّ لو كان الزمانُ مساعدِى وعاَتَبْتُمانى لم يضقْ عنكما صَدْرِى
فأمّا إذا كان الزمانُ معانِدِى فما لكما أن تؤذيانى مع الدهرِ

وقال آخر :

إن الظَّنينَ من الإخوان يُبْرِمُه طولُ العتاب وتُغْنيه المعاذيرُ
وذو الصفاء إذا مسّته معتبةٌ كانت له عظةٌ منها وتذكيرُ

وهذا قول مميّز منصف ، حكم فعدل ، وشرح فأوضح .

أنشد نِفْطَوَيْهِ :

وكم من مُليم لم يُصِب بمَلامةٍ ومُتَّبع بالذَّنْب ليس له ذنبُ
وكم من محبّ صد من غير بِغْضةٍ وان لم يكن فى وُدّ خُلّته عَتْبُ(١)

وقال أبو العباس الناشئ :

ولست معاتبًا خِلاًّ لأنّى رأيتُ العتبَ يُغْرِى بالعُقُوقِ
ولو أنى أُوَقِّفُ لى صديقًا على ذنبٍ بقِيتُ بلا صديق

(١) انظر البيتين فى أمالى القالى ١/١٦ .

وله :

إنى ليهجُرنِى الصديقُ تجنّيًا   فأريه أن لهجره أسْبابَا
وأخاف إن عاتبتُه أغريته   فأرى له تركَ العتاب عتابَا(١)

وقال آخر :

عتبت علىَّ ولا ذنبَ لِى   بما الذنبُ فيه بلا شكّ لَكْ
وحاذرتَ لومى فبـادرتنى   إلى اللَّوْم من قبل أن أدّرِكْ(٢)
فكنّا كما قيـل فيما مَضَى   خُذِ اللِّص من قبل أن يأخذَكْ(٣)

---

(١) البيتان فى وفيات الأعيان ٣/٥٣ .
(٢) ى ا . وبادرت بدل حاذرت ، وفى العيون : قبل أن أبدرك .
(٣) انظر الأبيات فى عيون الأخبار ٣/١٠٨ .

بابُ الثُّقَلاَء والطُّفَيْلِيِّين

سئل جعفرُ بن محمد عن المؤمن ، هل يكون بغيضاً ؟ قال : لا يكون بغيضاً ، ولكن يكون ثقيلا .

قال سفيان بن عيينة : قلت لأيوب السَّختياني(١) : لِمَ(٢) لَمْ تكتبْ عن طاووس(٣) ؟ قال : أتيتُه فوجدته بين ثقيلين ؛ عبد الكريم بن أبي المخارق(٤) ، وليث بن أبي سليم(٥) .

---

(١) هو أيوب بن (أبي تميمة) كيسان السختياني البصري ، سيد فقهاء عصره ، من النساك الزهاد ، ومن أجل حفاظ الحديث الثقات . توفي سنة ١٣١ هـ . انظر في ترجمته تهذيب التهذيب ٢٩٧/١ ، اللباب ٥٣٦/١ .

(٢) في ا : مالك لم تكتب الخ .

(٣) هو طاووس بن كيسان الخولاني ، من أكابر التابعين تفقها في الدين ورواية للحديث وتقشفا في العيش ، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك ، أصله من الفرس ، ومولده ونشأته باليمن ثم سكن البصرة ، وتوفي حاجا بالمزدلفة أومنى سنة ١٠٦ هـ . انظر في ترجمته : تهذيب التهذيب ٨/٥ وما بعدها ، وفيات الأعيان ٢٣٣/١ (الأعلام ٣٢٢/٢) وانظر هامشه .

(٤) عبد الكريم بن أبي المخارق أو ابن أبي أمية واسم أبيه (صاحب هاتين الكنيتين) قيس ويقال طارق، وعبدالكريم معلم بصري ، نزل مكة وعاش فيها ، قال عنه معمر : مارأيت أيوب اغتاب أحدا قط إلا عبدالكريم أبا أمية فإنه ذكره فقال : رحمه الله كان غير ثقة ، لقد سألنا عن حديث لعكرمة ثم قال سمعت عكرمة .

وكان ابن عيينة يستضعفه ، وقال ابن عبد البر : مجمع على ضعفه . انظر لتفصيل أكثر تهذيب التهذيب ٣٧٦/٦ وما بعدها .

(٥) ابن زنيم القرشي ، مولاهم ، روى عن طاووس ومجاهد وعطاء وغيرهم ، قال عنه عبد الله بن أحمد ابن حنبل عن أبيه إنه مضطرب الحديث ، وقال أيضا : ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأيا منه في أحد مثل ليث ابن أبي سليم . والأقوال كثيرة في ضعفه ولينه . انظر : تهذيب التهذيب ٤٦٥/٨ وما بعدها .

قال الحسن البصرى ، فى قوله عز وجل : ﴿ فإِذَا طَعِمْتُم فانْتَشِرُوا ﴾[1] ، قال : نزلت فى الثقلاء .

وقال السّرىّ[2] : ذكر الله تعالى الثقلاء فى القرآن ، فى قوله : ﴿ فإذا طعمتم فانتشروا ﴾ .

وقال أبو أسامة[3] : كنا عند الأعمش[4] ، فجاء زائدة بن قدامة[5] ، فقال الأعمش حين رآه :

وما الفيلُ تحملُه مَيّتًا ... بأثقلَ من بعض جُلاَّسِنا[6]

كان أبو هريرة إذا استثقل رجلا ، قال : اللّهم اغفر لنا وله ، وَأَرِحْنا منه . رواه سهيل بن أبى صالح عن أبيه ، عن أبى هريرة .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٥٣ .

(٢) ابن يحيى بن إياس الشيبانى ، أحد رجال الحديث الثقات ، توفى حاجا بمكة سنة ١٦٧ هـ . تهذيب التهذيب ٣/٤٦١ .

(٣) الكوفى ، حماد بن سلمة بن زيد القرشى ولاء ، محدث ثقة ، كان أعلم الناس بأمور الناس وأخبار أهل الكوفة ، توفى سنة ٢٠١ هـ . تهذيب التهذيب ٣/٢ وما بعدها .

(٤) هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء ، أبو محمد الملقب بالأعمش ، تابعى مشهور ، كان عالما بالقرآن والحديث والفرائض ، توفى ١٤٨ هـ . انظر ابن سعد ٦/٢٣٨ .

(٥) الثقفى ، أبو الصلت الكوفى ، محدث ثقة ، صدوق من أهل العلم ، مات غازيا فى أرض الروم سنة ١٦١ هـ . تهذيب التهذيب ٣/٣٠٠ .

(٦) البيت فى العقد الفريد ٢/٢٩٦ ، عيون الأخبار ١/٣٠٩ .

[كان حمّادُ بن سَلمة[١] إذا رأى من يستثقله ، قال : ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾[٢] .

وعن حمّاد بن سلمة أيضاً ، أنه قال : الصوم فى البستان من الثقل][٣] .

كان يقال . مجالسة الثقيل حُمّى الروح .

قيل لأبى عمرو الشيبانى : لأىّ شىء يكون الثقيل أثقلَ على الإنسان من الحمل الثقيل ؟ فقال : لأن الثقيل يقعد على القلب ، والقلب لا يحتمل ما يحتمل الرأس والبدن من الثقل .

كان فلاسفةُ الهند يقولون : النظرُ إلى الثقيل يورث موت الفجأة .

قال ثقيل لمريض : ما تشتهى ؟ قال : أشتهى ألا أراك .

مرض الأعمش فعاده أبو حنيفة ، فقال : يا أبا محمد ! لولا أنه يثقل عليك ، لعدتك كل يوم . فقال الأعمش : والله إنك علىّ لثقيل وأنت فى بيتك ، فكيف إذا عُدتنى ؟

قال مَعْمَر[٤] : ما بقى من لذّاتِ الدنيا إلاّ ثلاثة : محادثةَ الإخوان ، وحكّ الجرب ،

---

(١) ابن دينار البصرى ، محدث صحيح السماع ، لم يكن بالبصرة من أقرانه من هو مثله فى الفضل والعلم والصلابة فى السنة والقمع لأهل البدع ، توفى سنة ١٦٧ هـ . تهذيب التهذيب ٣/١٣ .

(٢) سورة الدخان ، الآية ١٢ .

(٣) ساقط من ا .

(٤) ابن راشد بن أبى عمرو الأزدى ، أبو عروة ، فقيه حافظ للحديث ثقة ، من أهل البصرة سكن =

والوقعةَ في الثقلاء ، وهي أفضل الثلاث .

وقال عبد الرزّاق عن مَعْمر ، قال : ما بقيَ من لذّات الدنيا إلاّ ثلاثة : محادثة الإخوان ، وأكلَ القديد ، وحكّ الجرب . وأزيدكم واحدة : الوقيعة في الثقلاء ، وأنشد :

ليتني كنتُ ساعةً مَلَكَ المو تِ فأفني الثّقال حتى يَبيدوا

قال : وسمعت مَعْمرا يقول : رحم الله عبدَ الكريم أبا أمية ، إن كان لثقيلا غير ثقة .

قيل لأبي النضر[1] : لم تكثر عن شُعبة[2] ؟ قال : كان يستثقلني ، وكنت أهلا لذلك .

قال أبو هفان :

مشتملٌ بالبغضِ لا تَنْثَني إليه طوعاً مُقْلَةُ الرَّامِقِ

= اليمن ولما أراد العودة كره أهل صنعاء أن يفارقوه ، فزوجوه فأقام ، وهو عند مؤرخي الحديث أول من صنف باليمن ، توفى سنة ١٥٣ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٢٤٣/١٠ (الأعلام ١٩٠/٨) .

(١) البغدادي ، هاشم بن القاسم بن مسلم الليثي الحافظ ، سمع من شعبة جميع ما أملى ببغداد ، وهو أربعة آلاف حديث ، وكان ابن حنبل يقول : أبو النضر شيخنا من الآمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، مات سنة ٢٠٧ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ١١/١٨/١٩ .

(٢) ابن الحجاج بن الورد العتكي ، من أئمة رجال الحديث حفظا ودراية وتثبتا ، ولد ونشأ بواسط ، وسكن البصرة إلى أن توفى ، قال الشافعي : لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، وكان إلى جانب هذا عالما بالأدب والشعر ، مات سنة ١٦٠ ، انظر تهذيب التهذيب ٣٣٨/٤ (الأعلام ٢٤٢/٣) .

يظلُّ في مجلسنا قاعــداً　　أثقلَ من واشٍ على عاشقِ[1]

كان الأعمشُ إذا قام من مجلسه ثقيلٌ يتمثل :

إن غاب عنك ثقيلُ كلِّ قبيلةٍ　　ممن يَشُوبُ حديثه بمِرَاءِ
فهناك طابَ لكَ الحديثُ وإنما　　طيبُ الحديثِ بخفةِ الجلساءِ[2]

وقال آخر :

إني أجالسُ معشراً　　نوكَى أخفُّهمُ ثقيلُ
قوم إذا جالستهــمُ　　صَدِئَتْ بقربهمُ العقولُ
لا يفقهون مقــالتى　　ويَدِقُّ عنهم ما أقولُ[3]

وقال آخر :

إذا جلس الثقيلُ إليك يوماً　　أتتك عُقوبةٌ من كل بابِ
فهل لك يا ثقيل إلى خِصالٍ　　تنالُ ببعضها كرمَ المآبِ
إلى مالى فتأخذه جميعاً　　أحلَّ لديك من ماء السَّحابِ
وتنتف لحيتى وتدقّ أنفى　　وما فى فىَّ من ضرسٍ ونابِ

(١) البيتان فى زهر الآداب ٢/١٣٦ ، وفيه : لحظا بدل طوعا .

(٢) فى ا : لخفة الثقلاء .

(٣) نسبت الأبيات فى العقد الفريد ٢/٢٩٩ للشعبي ، وانظرها فى عيون الأخبار ١/٣٠٩ .

على ألّا أراكَ ولا ترانى   مقاطعةً إلى يوم الحسابِ[١]

كان يقال : مجالسة الثقيل عذابٌ وبيل .

قال عبد الأعلى بن مُسْهِر[٢] : كان نقش خاتم أبى : « أبرمتَ فقُم » فكان إذا استثقل جليسه ناوله خاتمه ليقرأ نقشه .

وهذا الخبر رواه أبو مُسْهِر عبد الأعلى بن مسهر ، قال : قال لى هشام بن يحيى : كان نقش خاتم أبيك . . . فذكر الخبر[٣] .

سَلّم ثقيل على إبراهيم بن عبد الله القارىء[٤] صاحبِ هرون ، فقال له : يا هذا ! قد — والله — بلغتَ منى غاية الأذى ، أَسْلِفْنى سلامَ شهر وأرحنى منك .

قال معْمر : كنت جالسًا مع سماك بن الفضل[٥] فى مجلس بصنعاء ، فدخل

---

(١) فى ا : بدل الشطرة الأخيرة ورد : على حال إلى شيب الغراب .

(٢) الغسانى الدمشقى ، من حفاظ الحديث ويعد شيخ الشام وعالمها بالحديث والمغازى وأيام الناس ، امتحنه المأمون العباسى وهو فى الرقة وأكرهه على القول بخلق القرآن ، فامتنع ، فوضعه فى النطع وجرد السيف ولكنه لم يأبه بهذا وأبى أن يجيب ، فسجنه فمكث فى السجن نحو مائة يوم ثم مات سنة ٢١٨ ، انظر تهذيب التهذيب ٨/٦ ، تاريخ بغداد ٧٢/١١ (الأعلام ٤٢/٤) .

(٣) يختلف هذا الخبر فى محاضرات الأدباء ٣٣٤/١ عنه هنا ، فهناك قال : قال ثعلب لرجل استثقله : خاتم طاووس . فلم يعلم الرجل ماعناه . فقال له ثعلب : إن طاووسا نقش على خاتمه : « أبرمت فقم » ، فإذا استثقل رجلا دفعه إليه وقال اقرأه .

(٤) إبراهيم بن عبد الله بن عبد ، القارى المدنى ، عده ابن حبان فى الثقات ، وأورد ابن حجر له ترجمة موجزة فى تهذيب التهذيب ١٣٤/١ .

(٥) سماك بن الفضل الخولانى اليمانى الصنعانى ، محدث جليل القدر ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال الثورى : لا يكاد يسقط له حديث لصحته . انظر تهذيب التهذيب ٢٣٥/٤ .

علينا صاحبٌ له ثقيل فلمّا جلس قال لى سماك : يا مَعْمر ! تعال حتى ندعوَ على كل ثقيل بصنعاء .

قال الشاعر :

أنت يا هـذا ثقيـل ... وثقيــــــلٌ وثقيلْ
أنت فى المنظر إنسا ... نٌ وفى الميزان فيلْ[1]

وقال ابن أبى أمية[2] :

شهـدت الرقاشى فى مجلس ... وكان إلى بغيضاً مقيتــــا
قال : اقترحْ بعضَ ما تشتهى ... فقلت:اقترحتُ عليك السكوتا

فقال أبو حازم : عود نفسك الصبر على الجليس السوء ؛ فإنه لا يكاد يخطئك .

قال الهيثم بن عدىّ : كنت يوماً عند مِسْعَر بن كِدام ، فأتاه رَقَبَةُ بنُ مَصْقَلة العبدى ، فقال له مِسْعر : مالك ياابن مصقلة ؟ قال : صريع فالوذج . قال : وأين ؟ قال : عند من قضى أبوه فى الجماعة[3] ، وحكّم فى الفرقة .

(١) البيتان فى العقد الفريد ٢/٢٩٦ .

(٢) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدى من مراجع .
وقد ورد البيتان بهذه النسبة فى البيان والتبيين ١/٣٧٩ ، ونسبا إلى أبى نواس فى العقد الفريد ٢/٢٩٩ ، وقد وردا فى ديوانه ٣١٢ .

(٣) ا : فى الحماقة ، وهو يقصد بهذه العبارة أبا موسى الأشعرى ، فقد كان قاضى الكوفة فى عهد على ، وأنابه فى قضية التحكيم المشهورة بينه وبين معاوية .

دعانا الوليد بن الحارث بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى[١] ، فأتينا بخوان كجوبة من الأرض ، وأتينا برُقاق كآذان الفِيَلَة ، وجَرْجِيرٍ كآذان المعزى ، ثم أتينا بساكبة الماء كأن ظهرَها ظهرُ طائرٍ قيراطىّ ، ثم أتينا بفالوذج عديد ، كأنّ الزئبق والجادى[٢] ينبعان من خلاله ، يُرى نقش الدرهم من تحته ، فوُضع على رأس حُبٍّ[٣] فنحن على لذة من هذا وعلى يقين من ذلك . فقال له مسعر : أراك طفيليًّا . فقال : يا أبا محمد ! كل من ترى طفيلىٌّ إلا أنهم يتساكتون . فوالله ما برحنا حتى طلع علينا الحارث من بعض أبواب المسجد يخطر بيديه ، فقال رقبة : انظروا إلى هذا وكيف يمشى ؟! لو كان أبوه جدع أنف[٤] عمرو بن العاص مازاد على هذا .

---

(١) الراجح أنه بلال بن عامر بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، أما الاسم الذى أورده له المؤلف : الوليد بن الحارث ، فقد ذكر ابن حجر أن عامراً يسمى الحارث فى بعض الأقوال ، أما بلال فلم أعثر على من سماه الوليد ، وعلى هذا فهناك عدة احتمالات للتحقيق : فإما أن يكون زيادة من الناسخ ، لأن الاسم ورد بعد ذلك فى نص الخبر : الحارث ، وإما أن يكون المؤلف يحفظ لبلال اسما آخر هو الوليد ، وإما أن يكون هناك ابن آخر للحارث أو عامر بن أبى بردة اسمه الوليد . وأنا أرجح أن المقصود هو بلال بن عامر بن أبى بردة ، وذلك لسببين ، الأول : أن الثلاثة رقبة ومسعر وبلال كانوا متعاصرين فقد توفى الأول نحو سنة ١٢٩ هـ ، وتوفى الثانى سنة ١٥٢ ، وتوفى الثالث أو قتل سنة ١٢٦ هـ ، على حين أن أباه توفى سنة ١٠٣ وهو زمن بعيد لحدوث هذه القصة نوعا ، السبب الثانى أن بلالا هو الذى تنطبق عليه ملامح القصة ، فقد كان من أبرز صفاته صفتان : الكرم وخفة العقل أو النزق ، أما الأولى فهو ممدوح ذى الرمة وأبيات هذا الشاعر بوصف بلال بالكرم سائرة مشهورة وأما خفة العقل فالمعروف عنه أنه حين ولى قضاء الكوفة لم تحمد سيرته ، وكان يقول : إنى ليأتينى الخصمان فأجد أحدهما أخف من الآخر على قلبى فأحكم له ، ولم يعرف ذلك عن أبيه ، وقد كان هو الآخر قاضيا . وعلى ذلك لم يبق أمامنا إلا أن نقول : إن المؤلف يحفظ اسما آخر لبلال هو الوليد ، وأن الاسم سقط بعد ذلك من الخبر سهواً إما من المؤلف أو من الناسخ .

(٢) الجادى : الزعفران .

(٣) الحب : الجرة العظيمة ولعل المعنى أنهم فى لذة من أكل الفالوذج وعلى يقين من أنهم سيشربون مما فى الحب من شراب .

(٤) فى ا : جد عمرو بن العاص .

قال له مِسْعر : أُجل ، قد مضى إلى لعنة الله وسقره[١] .

وقال حبيب بن أوس[٢] :

يا مَنْ تبرّمَتِ الدُّنْيا بطلعتِهِ ... كما تبرَّمتِ الأجفانُ بالسَّهَدِ
يمشى على الأرض مختالاً فأحسبُه ... لبُغْض طلعته يمشى على كبدى

وقال آخر :

لخَرْطُ قتادةٍ ولحِمْــــلُ فيلٍ ... وماءُ البحرِ يغرفُ فى زَبيـلِ[٣]
وفكُّ الماضِغَيْنِ وقلعُ ضرسٍ ... لأهـونُ من مجالسةِ الثقيـلِ

ولأبى الحسن علىّ بن العَبّاس الرُّومى :

ولى أصدقاءُ كَثِيرو السَّلاَمِ ... عَلَىَّ وما فيهـــمُ نافعُ
إذا أنا أَدْلَجْتُ فى حاجـةٍ ... لها مطلبٌ نازحٌ شاسِعُ
فَلِى أبدًا معهـمُ وقفـةٌ ... وتسليمـةٌ وَقْتُهـا ضائعُ
وفى موقفِ المرءِ عن حاجةٍ ... يُتَمِّمُهَا شـاغلٌ قاطـعُ
ترى كلَّ غثٍّ كثيرِ الفُضولِ ... وَمُضْحَفُهُ مصحـفٌ جامعُ

---

(١) فى ا : فقم إلى لعنة الله وحر سقره .

(٢) ديوانه ٥٢ ، معجم الأدباء٦/٢٦٦ وفيه : بالرمد بدل السهد ، وفيه وفى الديوان مجتازا بدل مختالا .

(٣) الزبيل : القفة أو الوعاء .

يقولُ الضميرُ إذا ما بدا : ألا قُبِّح الرجلُ الطَّالِعُ
يحدِّثني من أحاديثه بما لا يلذُّ به السَّامعُ
أحاديث هنَّ مثال الضَّريع فآكِلُهُ أبدًا جائعُ
غدوتُ وفى الوقت لى فسحةٌ فضَاقَ بِىَ المنهلُ الواسعُ
تقدّمتُ فاعتاقنى أسْرُهُ إلى أن تقدَّمَنِى التابعُ
وقالت بلُقْيَانِهِ حاجتِى : ألاَ هكذا النكدُ البارعُ
أولئك لاحيُّهم مؤنسٌ صديقًا ولا ميتُهُمْ فاجعُ

دق طفيليٌّ باب دار قوم فيها طعامٌ ، فقيل : مَنْ هذا ؟ فقال : أنا الذى كفاكم مؤونة الرَّسُول .

لطفيلىّ :

نحنُ قومٌ إذا دُعينا أجَبْنَا ومتى نُنْسَ يَدْعُنَا التَّطفيلُ
فنقُلْ : علَّنا دُعِينَا فغبْنَا أو أتانا فلم يجِدْنا الرَّسُولُ[1]

دخل طفيليٌّ دارَ قوم بغير إذن ، فاشتد عليه صاحب الدار فى القول ، فأغلظ له الطفيليُّ فى الجواب ، وقال : والله ائن قمتُ لأدخلنّك من حيث خرجت .

(١) البيتان فى عيون الأخبار ٣/٢٣٢ ، العقد الفريد ٦/٢١٢ ، وفيهما ، متى دعينا .

فقال له صاحب المنزل : أما أنا فأخرجُك من حيث دخلت . وأخذ بيده فأخرجه .

قيل لبعض الطفيليين : كم اثنين فى اثنين ؟ قال : أربعة أرغفة .

قال مُطَرِّفُ بن مازِن ، قاضى اليمن : قال لى الرشيد يوما : من عبد الرزّاقِ ابن همّام الصنعانى[1] ؟ فقلت : رجل من أهل الحديث ، سليم الحديث ثقة . فقال : إن صاحب خبرنا باليمن كتب يذكر أنه كتب ثقلاء اليمن . فقلت : صدق يا أمير المؤمنين فكتبنى فيهم . قال : ولم كتبك فيهم ؟ إنك لحسن الحديث خفيف المجلس ، فما أستثقل منك ؟ قلت : عظم قلنسوتى ، وطول عنق بغلتى . فضحك هرون ، فما خرجتُ من عنده حتى أمر لى بكسوة وحملان .

ولطفيلىّ[2] :

كل يومٍ أدُور فى عَرْصَةِ الحَـيِّ أشم القُتَار شمّ الذُّبابِ[3]
فإذا ما رأيت نار عَرُوسٍ أو خِتَانًا أو دعوةً لصحابِ[4]

---

(١) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى ، مولاهم ، أبو بكر الصنعانى ، من حفاظ الحديث الثقات ، كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث ، وقال عنه الذهبى : إنه خزانة علم ، انظر : تهذيب التهذيب ٦/٣١٠ ، وفيات الأعيان ١/٣٠٣ (الأعلام ٤/١٢٦) .

(٢) الأبيات التالية فى العقد الفريد ٦/٢٠٥ ما عدا الأخير ، وانظرها كلها فى كتاب التطفيل ٣٥، ٤٠ .

(٣) فى العقد والتطفيل ٣٥ : فى عرصة الدار ، والقتار : رائحة القدر والشواء .

(٤) فى العقد : آثار عرس أو دخانا .

لم أعرّج دون التقحّم لا أرْهـ بُ شتماً ووكزةِ البوابِ[1]
مستخفّا بمن دخلتُ عليهم غير مُستأذِنٍ ولا هيّابِ
فترانى ألفُّ بالرغم منهم كلّ ماقدَّمُوا كَلفّ العُقابِ
[2] ذاك أهنا من النعم وغيظِ البقالِ والقصابِ [2]

كان يقال : ثمانية إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم : الذاهب إلى مائدة لم يدع إليها ، والمتآمر على ربّ البيت . . . وقد ذكرنا الحكاية بتمامها فى جامع النوادر من هذا الكتاب .

(١) فى العقد : لا أرهب طعنا ولكزة البواب .
(٢) ساقط من حـ .

بابُ الشَّماتة

قال الله عزّ وجل حاكيا عن موسى عليه السلام : ﴿ فلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ ، ولا تَجْعَلْنِي مع القومِ الظَّالمين ﴾[1] .

وقيل لأيُّوب عليه السّلام : أيّ شيء من بلائك كان أشدّ عليك ؟ قال : شماتةُ الأعداء .

قال ابن الكلبي : لما مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، شمتت به نساء كندة وحضرموت ، وخَضَبْن أيديَهن ، وأظهرن السرور لموته ، وضربن بالدفوف ، فقال شاعر منهم :

أَبْلغ أبَا بكر إذا ما جئتَهُ ... أن البَغَايَا رُمْن شرَّ مرام
أظهرْنَ من موت النبيّ شماتةً ... وخَضَبْن أيديهن بالعَنَّام[2]
فاقطعْ هُدِيتَ أكفّهن بصارمٍ ... كالبرقِ أومض فى متون غمام[3]

قال النبي عليه السلام : « لا تظهر الشماتة لأخيك ، فيعافيَه الله ويبتليك » .

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٠ .

(٢) العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب فيقال : بنان معنم أى مخضوب ، والرواية فى عيون الأخبار : بالعلام أى الحناء .

(٣) هذا الخبر والأبيات فى عيون الأخبار ١١٦/٣ ، وبقيته فيها : أن أبا بكر كتب إلى المهاجر عامله ، فأخذهن وقطع أيديهن .

من مُنْتقى الدعاء : اللّهم اجعل رزقي رَغَدا ، ولا تشمتْ بِىَ أحدا .

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنى أعوذ بك من دَرَكِ الشقاء ، ومن جَهْدِ البلاء ، ومن شماتةِ الأعداء» .

قال عدىُّ بن زيد العبادى(١) :

أيها الشامتُ المعيِّرُ بالدهْـ ـر أأنت المبرأُ الموفورُ
أم لديكَ العهدَ الوثيق من الأيّـ ـامِ بل أنت جاهلٌ مغرورُ
من رأيتَ المنون خَلّدْنَ أمْ مَنْ ذا عليه من ألاَّ يُضَام خفيرُ(٢)

وقال أبو ذؤيب :

وتجلُّدِى للشَّامِتِين أُرِيهم أنّى لريب الدّهْر لا أتضعْضعُ(٣)

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : سمعت أشهبَ بن عبد العزيز يدعو على محمد ابن إدريس الشافعى (٤ بالموت ، أظنّه قال فى سجوده ، فذكرتُ ذلك للشافعى رحمه الله ٤) ، فتمثل :

تمنّى رجالٌ أن أموتَ وإن أَمُتْ فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحدِ

---

(١) انظر أبيات عدى من قصيدة طويلة فى معجم الشعراء ٢٤٩ ، ٢٥٠ حماسة البحترى ١٢٢ ، عيون الأخبار ٣/١١٥ ، وانظر محاضرات الأدباء ٢/٢٢٤ .

(٢) فى العيون : أم بدل بل فى البيت الثانى ، ومن أن يضام بدل من ألا يضام .

(٣) البيت فى ديوان الهذليين ١/٣ .

(٤) ساقط من ا .

فقُل للذى يبغى خلافَ الذى مضى تهيّأْ لأخرى مثلِها فكأنْ قدِ[١]

قال محمدُ : فمات الشافعى رحمه الله ، واشترى أشهب من تركته مملوكا ، ثم مات أشهب بعده بنحو من شهر ، أو قال : خمسة عشر يوماً أو ثمانية عشر يوماً ، واشتريت أنا ذلك المملوك من تركة أشهب[٢] ، والبيتان الذى تمثل بهما الشافعى لطرفة .

قال مهلهل :

كأن الشامتين بقبر جَدّى على مُلْكِ الخورنق والسّديرِ
كأن رماحنا فينا وفيهم إذا ما أَشرعت أَشطان بيرِ

وقال العَلاء بن قَرَظَة ، خال الفرزدق :

إذا ما الدَّهْرُ جرَّ على أناسٍ حوادثَهُ أناخَ بآخـــرينَا
فقل للشَّامتيــن بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا[٣]

وقال نصيب :

أتصرِمُنى عنـد الألى هُمْ لَنا العِدَا فتُشْمِتَهُمْ بى أم تَدومُ على العهـدِ[٤]

---

(١) البيتان كما قال المؤلف لطرفة ، انظر ديوانه ٤٥ .

(٢) انظر هذا الخبر والبيتين معه فى وفيات الأعيان ١/٢١٦ .

(٣) نسب البيتان للفرزدق فى عيون الأخبار ٣/١١٤ ، ولم أعثر عليهما فى ديوانه ، ونسبا فى حماسة البحترى ١٤٩ ، ١٥٠ لمالك بن عمر الأسدى ، وانظرهما بالنسبة التى هنا فى العقد الفريد ٢/٣٢٢ .

(٤) انظره فى الشعر والشعراء ١١٤ ، معجم الشعراء ٢٥٠ ، التمثيل والمحاضرة ٥٣ .

وقال عديّ بن زيد ، وتمثّل به معاوية عند موته :

فهل من خالدٍ إمّا هلكْنا وهل بالموت يا للنّاسِ عارُ

عبد الله بن أبى عيينة :

كلُّ المصائب قد تمرُّ على الفتى فتهونُ غيرَ شماتةِ الحُسّادِ (١)

وقال منصور الفقيه :

يا مَنْ يُسَرّ بموتِي إذا أتاه البشيرُ
إن البشيرَ بمَوْتى ـ فلا تُسَرَّ ـ نذيرُ
واسمعْ فما أنت ممن تَخْفى عليه الأمورُ
ألَيْسَ من كانَ مِثْلِى إلى مصيرى يصيرُ

وله :

أيُّها الْمُظْهِر الشَّمَا تَة إن متُّ قبلَهْ
عَنْ قليلٍ يصيرُ مِثْ لِيَ مَنْ كنتُ مثلَه

وله :

يا شامتينَ بِصَرْعِى اليومُ لى ولكم غَدُ

---

(١) البيت فى محاضرات الأدباء ١/١٢٤ .

وله :

يا شامتًا بى إنْ هلكت ... لكلّ حىٍّ مدًى ووقتُ

وللمنايا وإن تراخت ... فى السير - ياذا الشمات - بَغْتُ[1]

وأنتَ فى قبضةِ الليالى ... تخافُ منها الذى أمنتُ

والكأسُ مَلأى فعَن قريبٍ ... تشربُ منها كما شربتُ

وقال أيضاً :

ما بينَ يومِ المهنّياتِ ... وبين يوم المُعَزّياتِ

وإن توهمتَه طويلا ... إلاّ كما بين هاَ وهاتِ

ومما يُنسب لابن المبارك — وليست له — وإنما هى للمبارك الطبرى :

لولا شماتةُ أعداءِ ذوى حسدٍ ... أو اغتمام صديق كان يرجونى

لما طلبت من الدنيا مراتبها ... ولا بذلت لها عرضى ولا دينى[2]

وقال آخر :

فمن يكُ عنى سائلا لشَماتةٍ ... بما نالنى أو شامتًا غيرَ سائلِ

---

(١) فى ا : الدهر بدل السير .

(٢) وردت الأبيات فى العقد الفريد ١٩/٣ بدون نسبة .

فقد أبرزتْ منى الخطوبُ ابنَ حُرّةٍ صبورًا على ضراء تلك الزلازلِ
إذا سُرّ لم يفرحْ وليس لِنكبةٍ إذا نزلت بالخاشِعِ المتضائِلِ

لأعرابىّ وقد أُغيرَ على إبله :

لاَ — والذى أنا عبدٌ فى عبادته — لولا شماتةُ أعداءٍ ذوى إحَنِ
ما سرنى أن إبلى فى مَبَارِكِهاَ وأن شيئًا قضاهُ الله لم يكنِ[1]

---

(١) البيتان فى عيون الأخبار ٣/١١٤ ، العقد الفريد ٣/٤٢٩ ، الصداقة والصديق ٩٤ ، البيان والتبيين ٣/٢١٤ ، وقد ورد البيت الأول فيه :

لولا مسرة أقوام تصعدنى أو الشماتة فى قوم ذوى إحن

باب مؤاخاةِ من ليس على دينك

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : « المرءُ على دين خليله ، فلينظر امرؤٌ من يخالل » . وهذا معناه — والله أعلم — [1] أن المرء [1] يعتاد ما يراه من أفعال من صحبه ، والدين العادة ، فلهذا أمر ألا يصحبَ إلاّ من يرى منه ما يحلّ ويجمُل ، فإن الخير عادة . وفى معنى[1] هذا الحديث قولُ عدىّ بن زيد :

عن المرءِ لا تسألْ وسل عن قرينِهِ فكلُّ قرينٍ بالمقارنِ مُقْتدِى

وقول أبى العتاهية :

من ذا الذى يَخْفَى عَلَيْـ ـكَ إذا نظرتَ إلى خَدِينِهْ

وهذا كثيرٌ جدا ، والمعنى فى ذلك : ألا يخالط[2] الإنسانُ من يحمله على غير ما يُحمد من الأفعال والمذاهب ، وأما من يُؤمَنُ منه ذلك فلا حرج فى صحبته .

قال ابن عباس : لو قال لى فرعونُ خيرًا لرددت عليه مقاله .

قال الله عزّ وجل : ﴿ وإذا حُيِّيتُمْ بتحيةٍ فحَيُّوا بأحسَنَ منها أَوْ رُدُّوهَا ﴾[3]

---

(١) ساقط من ح .

(٢) فى ا : أن يخالط .

(٣) سورة النساء ، الآية ٨٦ .

(١ وجاء فى التفسير : أحسن منها لأهل الإسلام ، أو ردوها لأهل الذمة ١) .

وقيل لسعيد بن جبير : المجوسى يولينى خيرًا فأشكره ؟ قال : نعم . قيل : فإن سلّم علىّ أفأردّ عليه ؟ قال : نعم .

وأما مارُوى عن النبى صلّى الله عليه وسلم ، أنه قال فى أهل الذّمة : « لا تبدءوهم بالسّلام ، وإذا لقيتموهم فى طريق فاضطرّوهم إلى أَضْيَقه » فقد قال بذلك طائفة من أهل العلم منهم مالك بن أنس رحمه الله . روى بشير بن عمر الزهرانى ، عن مالك ، أنه كان يكره السلام على أهل الذمة كلّهم . قال بشير : فقلت : أترى أن يُبدءوا بالسلام ؟ قال : معاذ الله ! أما سمعت قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا لا تتخذُوا عَدوِّى وَعَدُوَّكُم أَوْلِيَاءَ ﴾(٢) .

وقال مالك : أكرهُ مُؤاكلةَ أهل الذمة ، لأن المؤاكلة تُوجب المودة .

وقد رُوى عن جماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ، أنهم كانوا يبدءون بالسلام كل من لقوهُ(٣) من مسلم أو ذمىّ . فالمعنى فى ذلك ، والله أعلم ، أنه ليس بواجب أن يَبدأ المسلمُ المارُّ القاعدَ الذمىَّ ، والراكبُ المسلمُ الذمىَّ الماشِى ، كما يجب ذلك بالسُّنَّة على من كان على دينه ، فإن فعل فلا حرج عليه . فكأنه قال

---

(١) ساقط من ح .

(٢) سورة الممتحنة ، الآية ١ .

(٣) فى ح : يلقوه .

صلى الله عليه وسلم : «ليس عليكم أن تبدءوهم بالسلام» بدليل ما روى الوليد بن مسلم عن عروة بن رُويم ، قال : رأيت أبا أمامة الباهلي[1] يسلم على كل من لقي من مسلم وذمي ، ويقول : هي تحيةٌ لأهل ملّتنا ، وأمانٌ لأهل ذمّتنا ، واسم من أسماء الله نفشيه بيننا . ومحال أن يخالف أبو أمامة السُّنَّة ، لو صحت في ذلك . بل المعنى على تأويلنا[2] — والله أعلم ، وعلى هذا يصحّ تخريج هذه الأخبار ووجوهها .

ذكر ابن أبي شيبة ، عن إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد الألهاني ، وشرحبيل بن مسلم ، عن أبي أمامة ، أنه كان لا يمرّ بمسلمٍ ولا بيهوديّ ولا بنصراني إلاّ بدأه بالسلام .

ورُوي عن ابن مسعود وأبي الدَّرداء ، وفُضَالة بن عُبَيد[3] ، أنهم[4] كانوا يبدءون أهل الذمّة بالسّلام .

وقال ابن مسعود : إنّ من التواضُع أن تبدأ بالسَّلام كلَّ من لَقيت .

وعن ابن عباس ، أنه كتب إلى رجل من أهل الكتاب : السّلام عليك .

---

(١) هو صدي بن عجلان بن وهب الباهلي ، أبو أمامة ، صحابي جليل ، كان مع علي رضي الله عنه في صفين ، سكن الشام وتوفي بأرض حمص ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام . انظر الإصابة الترجمة ٤٠٥٤ ، تهذيب التهذيب ٤/٤٤٠ ، (الأعلام ٣/٢٩١)

(٢) في ا : على ما قد تأولنا .

(٣) ابن نافذ بن قيس الأنصاري الأوسي ، صحابي من الذين بايعوا تحت الشجرة ، شهد أحدا وما بعدها ، وشارك في فتح الشام ومصر ، ثم ولاه معاوية قضاء الشام ، وتوفي بها سنة ٥٣ هـ . انظر : الإصابة الترجمة ٦٩٩٤ ، تهذيب التهذيب ٨/٢٦٧ .

(٤) ساقط من جـ .

وسُئل عبد الله بن وهب ، صاحب مالك ، عن غيبة النصرانى ، فقال : أو ليس من الناس ؟ قالوا : بلى . قال : فإن الله عز وجل يقول : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[١] .

وقيل لمحمد بن كعب القُرَظى : إن عمر بن عبد العزيز سُئل عن ابتداء أهل الذمة بالسلام فقال ترد عليهم ولا تبدؤهم . فقال محمّد بن كعب : أمّا أنا فلا أرى بأساً أن تبدأهم بالسلام ، قيل له : لِمَ ؟ فقال : لقوله عز وجل : ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ﴾[٢] .

ومن حُجّةِ من ذهب إلى هذا قولُه عزَّ وجلَّ : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ ﴾[٣] الآية . وذهب جماعة من العلماء إلى مثل ما ذهب إليه عمر بن عبد العزيز فى ذلك .

وَرَوَى ابن المبارك عن شريك عن أبى إسحاق ، قال : كان يقال : من الحمق[٤] أن تؤا كل غيرَ أهلِ دينك .

(١) سورة البقرة الآية ٨٣ .

(٢) سورة الزخرف ، الآية ٨٩ .

(٣) سورة الممتحنة ، الآية ٨ .

(٤) فى ا : الجفاء .

قال أبو الطمحان الأَسَدِيّ[١] :

كأن لم يكن بالقَصْرِ قَصْرِ مُقَاتِل ... وزورةَ ظلٌّ ناعمٌ وصديقُ

وإنّى وإن كانوا نصارى أُحِبُّهُمْ ... ويرتاحُ قلبي نحوهم ويَتُوقُ

ولبعضهم فى مجوسى ساق عنه صداق امرأته ، وهو الأقيشر الأسدى :

شهدتُ عليك بطيبِ المُشَاشِ[٢] ... وأنّك حُرٌّ جَوَادٌ خِضَمْ

وأنّكَ سيِّد أهْلِ الجحيمِ ... إذا ما ترَدَّيْت فيمن ظَلَمْ

كفانى المجوسِيُّ مهرَ الرَّبَابِ ... فدًى للمجوسى خالٌ وَعَمْ[٣]

روى إسماعيلُ بن إسحاق ، قال : سمعت ابن أبى أُوَيْس[٤] ، يقول : سُئِل مالك ، أترى بأساً إذا أهدَى اليهوديُّ أو النصرانى للمسلم أن يكافئه ، فقال : معاذَ الله ! وما للمسلم أن يقبلَ هديته حتى يكافئه .

وقال آخر :

وجدنا فى اليهودِ رجالَ صِدْقٍ ... على ما كان من دِينٍ يريبُ

---

(١) ورد البيتان بهذه النسبة فى الحيوان ٥/١٥٧ ، ١٥٨ ، ووردا فى الكامل ١/٢٦ ضمن خمسة أبيات منسوبة لطخيم بن أبى الطمخاء الأسدى ، يمدح قوما من أهل الحيرة من بنى امرىء القيس بن زيد بن مناة ابن تميم ، ثم من رهط عدى بن زيد العبادى ، وكذلك وردت بهذه النسبة فى المؤتلف ١٥٠ ، وقد وفق الأستاذ عبد السلام هرون بين النسبتين بأن ذكر أن أبا الطمحان هى كنية طخيم ، انظر هامش الحيوان ٥/١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢) المشاش : النفس والطبيعة والأصل .

(٣) الأبيات فى عيون الأخبار ٢/٢٩٦ ، الحيوان ٥/١٥٩ .

(٤) ابن أبى أويس : إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك الأصبحى ، أبو عبد الله =

خليلان اكتسبتهما وإنّى ... لخلّة ماجدٍ أبدًا كسوبُ(١)

للمريمى الشاعر، وهو القاسم بن يحيى، من ولد أبى مريم السَّلمى صاحب النبى عليه السلام، يخاطب أبا يعقوب إسحاق بن نصر الكاتب العبادى عند إسلام الوليد ابن أخيه، وكان إسحاق هذا كاتب أبى الجيش بن طولون صاحب مصر(٢):

تعزَّ فإنَّ الحرَّ لا بدَّ يَخْلَقُ ... وكلُّ امرئٍ للخيرِ والشرِّ يُخْلَقُ
وما فُرَجُ الأيامِ إلاّ مَواهبٌ ... فمن بين محرومٍ وآخرَ يرزقُ
وما الحزمُ إلاّ أن يُنزِّهَ نفسَه ... فتًى كادَ فى بحرٍ من الهمِّ يغرقُ
إذا لم يكنْ فى ردِّ ما فاتَ حيلةٌ ... فإن الفتى بالصبر أحرى وأخلقُ
أتانِىَ غمٌّ من سرورٍ سمعتُه ... فلا أنا مأسورٌ ولا أنا مُطلَقُ
سررتُ بإسلامِ الوليدِ ديانةً ... وأقلقنى علمى بأنك مُقْلَقُ
فقلبى به شطرانَ جذلانُ واحدٌ ... وآخرُ محزونٌ من أجْلِكَ محرَقُ
أنارَ لكم فينا وأشرق كوكبٌ ... لنا مثلُه فيكم ينير ويشرقُ
فكم راعنا من مُسْلمٍ متنصرٍ ... فهذا بهذا والسَّعيدُ(٣) الموفَّقُ

= ابن أبى أويس، ابن أخت الإمام مالك ونسيبه، محدث روى عنه الشيخان، توفى سنة ست أو سبع وعشرين ومائتين للهجرة، انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ١/٣١١ وما بعدها.

(١) البيتان ضمن ثلاثة أبيات فى الحيوان ٥/١٥٧ منسوبة لأبى صالح مسعود بن قند الفزارى وبعد البيت الأول:

لعمرك إننى وابنى غريضٍ ... لمثل الماء خالطه الحليب

(٢) ساقط من حـ.

(٣) فى ا: والمعيد.

(١ لزيبا النصرانى – وكان يتشيع –:

عدىٌّ وتيم لا أحاول ذكركمْ بسُوءٍ ولكنّى محبٌّ لهاشمِ
وما تعترينى فى علىٍّ ورهطِهِ إذا ذكروا فى الله لومة لائمِ
يقولون ما بال النصارى تحبهم وأهلُ النهى من أعربٍ وأعاجمِ
فقلت لهم : إنى لأحسب حُبّهم سرى فى قلوب الخلق حتى البهائمِ (٢)

وله أيضاً :

علىٌّ أميرُ المؤمنين خليفةٌ وما لسواه فى الخلافة مطمعُ
فلو كنت أبغى ملة غير ملتى لما كنتُ إلا مسلما أتشيعُ ١)

---

(١) ساقط من ج .
(٢) وردت الأبيات فى المحاسن والمساوىء ١/٥٠ منسوبة الموصلى النصرانى ، وفيها : عدى وتيم . هذا وقد ذكر أحمد تيمور باشا فى كتابه الحب عند العرب ١٥٨ أن هذه الأبيات وردت فى نفح الطيب منسوبة إلى زينب بنت إسحاق النصرانى .

باب الولد والوالد

قال رجل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : من أَبَرُّ يا رسولَ الله ؟ قال : « أمَّك قال : ثم من يا رسول الله ؟ قال : أمَّك . قال : ثم من ؟ قال : أباك ثم أدناك » ومنهم من يرويه : أمك ثلاث مرات ، والأول أثبت .

وسئل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أيُّ الأعمال أفضل ؟ فقال : « الصلاة لوقتها ، وبرُّ الوالدين » .

وقال صلى اللهُ عليه وسلم : « البرُّ والصلة وحُسْن الجوار ، عمارةُ الديار وزيادة فى الأعمار » .

وقال الحسن : البرّ أن تطيعَهما فى كلّ ما أمراك به ، ما لم تكن معصية الله ، والعقوق هجرانُهما ، وأن تحرِمَهما خيرَك .

قال عروةُ فى قوله تعالى : ﴿ واخفِضْ لهما جناحَ الذُّلِّ من الرَّحْمَة ﴾[1] . هو ألاّ يمنَعَهما من شيء أراداه .

قال يزيد بن أبى حُبَيْب : كان العلماء يقولون : حقُّ الأم أعظم من حق الأب ، ولكلٍّ حق .

---

(١) سورة الإسراء الآية ٢٤ .

رأى ابنُ عمر رجلا يطوف بالبيت حاملاأمّه ، وهو يقول لها : أتريني جزيتُك يا أمّه ؟ فقال ابنُ عمر : ولا طَلْقة واحدة ، أو قال : ولا زَفْرة واحدة .

وروى في الخبر المرفوع : « ما برّ أباه من سدّد النظرَ إليه » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : « من أراد أن يصل أباه بعد موته ، فليصلْ إخوانَ أبيه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الوُدُّ يُتَوَارث ، والبُغْضُ يُتَوَارَث » .

وقال عليه السلام : « ثلاثٌ يطفئن نورَ العبد : أن يقطع ودّ أهلِ بيتهِ ، ويبدّلَ سُنّة صالحة ، ويرمي بصرَه في الحجرات » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسم : « لا يدخلُ الجنة عاقّ ، ولا منّان ، ولا مُدْمن خمر ، ولا مدمن سِحْر ، ولا قتّات[1] » .

للرُّبَيْع بن ضَبُع[2] :

أَلاَ أَبْلَغْ بَنِيَّ بَنِي رُبَيْعٍ   فأشرارُ البنينِ لكمْ فداءُ

---

(١) القتات : النمام ، أو هو الذى يسمع أحاديث الناس من حيث لا يعلمون ، سواء نمها أم لم ينمها .

(٢) ابن وهب بن بغيض الفزارى الذبيانى ، شاعر جاهلى معمر من الفرسان ، كان أحكم العرب فى زمانه ، ومن أشعرهم وأخطبهم ، وأدرك الإسلام وقد كبر وخرف ، فقيل : أسلم ، وقيل : منعه قومه من الإسلام ، انظر خزانة البغدادى ٣/٣٠٨ (الأعلام ٣/٣٩) . وانظر أبياته فى : حماسة البحترى ٣٢٢ ، العقد الفريد ٣/٥٥ ، النوادر ٢١٥ .

بأنّى قد كَبُرْتُ وَرَقَّ جِلْدِى[١] فلا تَشْغلكُمُ عنِّى النِّسَاء

إذا كان الشتاء فأدفئونى فإن الشيخَ يَهْرِمُه الشتاء[٢]

وأما حين يذهب كلُّ قُرٍّ[٣] فسربالٌ خفيف أو رداء

إذا بلغ الفتى مائتين عاماً[٤] فقد ذهب البشاشة والفتاء

وسئل ابن عباس، عن رجل قَتَل امرأته[٥] ما توبَتُه؟ قال: إن كان له أبوان فليبرهما ماداما حَيّين، فلعل الله أن يتجاوزَ عنه. [٦] وقد جاء عنه مثل ذلك فى المرأة التى تعلمت السحر ثم جاءته تطلب التوبة [٦]

قال مكحول[٧]: برُّ الوالدين كفارةُ للكبائر.

قال محمدُ بن المنكدر: بتُّ أَغمِزُ رجل أمّى، وبات عمى يصلّى ليلته، فماسرنى[٨] ليلتُه بليلتى.

---

(١) فى حماسة البحترى: ودق عظمى.

(٢) وفيها أيضا: يهدمه.

(٣) فى ا: إذا ما تذهبوا فى كل فن.

(٤) فى العقد الفريد: سبعين عاما، وفى ج: ستين.

(٥) لعل القتل المقصود هنا هو القتل الخطأ وهو ما تجب فيه الدية لا القصاص.

(٦) ساقط من ج.

(٧) هو مكحول بن أبى مسلم شهراب بن شاذل الهذلى ولاء، فقيه الشام فى عصره، أصله من فارس، وصار مولى لامرأة فى مصر من هذيل فنسب إليها، ثم أعتق وتفقه ورحل فى طلب الحديث إلى العراق فالمدينة واستقر فى دمشق، قال الزهرى: لم يكن فى زمنه أبصر منه بالفتيا. انظر تهذيب التهذيب ١٠/٢٨٩.

(٨) فى ج: فما سرتنى.

قال الشاعر فى ابنه :

يودُّ الرَّدَى لى من سفاهة رأيهِ ولو مِتّ بانتْ للعدوّ مقاتلُهْ
إذا ما رآنى مقبلاً غضّ طَرْفَهُ كأن شعاعَ الشمس دونى يقابلُهْ(١)

ومثله :

إذا أَبصرتَنِي أَعرضْتَ عنّى كأنَّ الشّمسَ من قِبَلى تَدُورُ(٢)

ولعبد الله بن بكر السَّهْمى(٣) :

خالِلْ خليلَ أَخيك وارع إخَاءهُ واعلمْ بأَن أَخا أَخيك أَخُوكا
وبَنِيكَ ثم بَنِي بنيكَ فكنْ لَهُم بَرًّا فإنّ بنى بنيك بَنُوكا
والطفْ بجدِّكَ رحمةً وتعطُّفًا واعلم بأن أبا أَبيك أَبُوكا

رُوى عن ابن عباس أنه قال : إنما ردَّ الله عقوبةَ سليمان بن داود عن الهدهد لبرّه كان بأمّه .

---

(١) الصداقة والصديق ٧٩ .

(٢) البيت لشاعر من طيىء اختلف فى اسمه ، فنى المؤتلف ١٥٢ أنه عنتره بن كبرة الطائى ، وفى حماسة أبى تمام ١/٨٠ أنه عنترة بن الأحرش المعنى الطائى ، وفى حماسة البحترى ٣٩٥ أنه ضمرة بن عكبرة الطائى ، وانظر البيت فى الحيوان ٣/١١٣ ، عيون الأخبار ٣/١١٠ ، الصداقة والصديق ٧٩ من غير نسبة .

(٣) عبد الله بن بكر بن حبيب السهمى الباهلى ، من رجال الحديث الثقات ، نزل بغداد على سعيد بن سلم الباهلى ، وعرض عليه سوار قضاء الأبلة فأبى ، ولم يزل فى بغداد حتى توفى سنة ٢٠٨ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٥/١٦٢ .

رأى أبو هريرة رجلا يمشى خلف رجل ، فقال : من هذا ؟ فقال : أبى . قال : لا تَدْعُه باسمه ولا تجلسْ قَبْلَه ، ولا تمش أمامه .

مكتوب فى كتب الله عزّ وجل : لا تقطعْ ما كان أبوك يصلُه فيطفأَ نورُك

قال كعب : مكتوبٌ فى التوراة، اتق ربك ، وبرّ والديك ، وصِلْ رَحِمَك ، يُمَدّ لك فى عمرك ، ويُيسِّرْ لك يُسرَك ، ويُصرفْ عنك عُسْرك .

والآثار فى بر الوالدين كثيرة جدا ، وقد نص[1] الله فى كتابه من خفض الجناح لهما ، والحضّ على برهما ما يكفى .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الوَلَدُ الصَّالح من رَيْحَانِ الجنة » .

ونظر يوماً إلى الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ، فقال : « إنكم لتجبِّنُون وَتُبَخِّلُون ، وإنكم لمن رَيْحَانِ الجنة » .

دخل عمرُو بن العاص على معاوية ، وعنده بنت له[2] ، فقال : ابعدها عنك يا أمير المؤمنين ، فوالله ما علمت إلا أنهن يلدْنَ الأعداء ، ويقربن البُعَداء ، ويورثن الضغائن . قال معاوية : لا تقل هذا يا عمرو ، فوالله ما مرض المرضى ،

---

(١) فى ا : ذكر .

(٢) فى عيون الأخبار ٣/٩٩ : وعنده ابنته عائشة ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه تفاحة القلب . فقال : ابعدها ... الخ .

ولا نَدَبَ الموتى ، ولا اعولّ على الأحـزان[١] مثلهن ، ولرُبَّ ابنِ أخت قد نفع خاله .

قال محمدُ بن سليمان : البنون نِعَمٌ ، والبناتُ حسنات ، والله عز وجل يحاسبُ على النعم ، ويجازى على الحسنات .

قال منصور الفقيه :

لولا بنـاتِى وسَيّـآتِى   لذبتُ شوقًا إلى المماتِ
لأننى فى جـوارِ قومٍ   نَغّصنى قربُهمُ حَيَاتِى[٢]

وله أيضًا :

أحبُّ البنـاتِ ، فَحُبَّ البنا   تِ فرضٌ عَلَى كلّ نفسٍ كريمَهْ
لأن شُعَيْبًا لأجـل البنا   تِ أَخْدَمَهُ اللهُ موسى كليمَهْ

وقال آخر[٣] :

لقـد زاد الحياة إلىّ حُبًّا   بناتى إنّهُن من الضعافِ

---

(١) فى ا : أعان على الإخوان .

(٢) البيتان فى معجم الأدباء ١٨٧/١٩ ، وفيه : بغضنى بدل نغصنى ، وفى ا : اطرت بدل لذبت .

(٣) نسب البيتان فى معجم الشعراء ٢٥٨ إلى عيسى بن فاتك أو عانك الخطى ، وفى الكامل أوردها ضمن خمسة أبيات ، وقال : إنها لأبى خالد القنانى الخارجى ، وقد أرسل إليه قطرى بن الفجاءة يعتب عليه قعوده عن الخروج معهم فكتب إليه بها . الكامل ١٠٧/٢ ، ١٠٨ ، وانظر عيون الأخبار ٩٤/٣ .

مخافة أن يـ ين البؤس بعدى وأن يشربن رَنقاً بعد صافٍ[١]

ولأبى محمد الحسن بن عبيدة الريحانى :

حبذا من نعمة الله البنات الصالحاتُ
هن للنسل وللأُنس وهن الشجراتُ
وبإحسَانٍ إليهـنّ تكون البركاتُ
إنّما الأهلون أرضو ن لنا محترثاتُ
فعلينا الزرعُ فيها وعلى الله النَّباتُ

كان لأبى حمزة الأعرابىّ[٢] زوجتان فولدت إحداهما ابنة ، فعزّ عليه ، واجتنبها وصار فى بيت ضرتها إلى جنبها فأحست به يوماً فى بيت صاحبتها[٣] ، فجعلت ترَقِّصُ ابنتها الطفلة[٣] وتقول :

ما لِأَبِى حَمْزَةَ لا يَأْتِينا يظلُّ فى البيت الذى يلينا
غضبانَ أَلاَّ نـلدَ البنينا [٣] تا للّهِ ماذلك فى أيدِينَا
بل نحن كالأرض لزارعينا يلبث ما قد زرعوه فينا
وإنما نأخذ ما أعطينا [٣]

(١) فى الكامل : أحاذر أن يرين الفقر بعدى . وفى ج : مخافة أن ترى البؤسى عليهم ، والرنق : الكدر .

(٢) سماه فى البيان أبا حمزة الضبى ، وانظر الرجز فى البيان والتبيين ١/١٩٥ ، العقد الفريد ٣/٣٤٢ ، ٤٨٢ ، مع اختلاف يسير فى الألفاظ .

(٣) ساقط من ا .

فعرف أبو حمزة قبح ما فعل ، وراجع امرأته .

قال منصور الفقيه :

لولا البناتُ والذنوب لم أكن ... يَرُوعنى ذكرُ الحنوطِ والكفنِ (١)

وقال آخر (٢) :

لولا أميمةُ لم أجزع من العَدَمِ ... ولم أجُبْ فى الليالى حِنْدِسَ الظُّلَمِ (٣)

وزادنى رغبةً فى العيش معرفتى ... ذِلَ اليتيمةِ يَجْفُوها ذَوُو الرَّحِمِ

أحاذرُ الفقرَ أن يُلِمَّ بساحتها ... فَيَهتِكَ السترَ من لحمٍ على وضمِ (٤)

أخشى إضاعة عمٍ أو جفاءَ أخٍ ... وكنت أحنُو عليها من أذى الكلمِ (٥)

ما أنسَ لا أنسَ منها إذْ تودِّعُنى ... والدمعُ يجرى على الخدّين ذا سَجَمِ

لا تبرحن فإنْ متنا فإنّ لنا ... رَبًّا تكفل بالأرزاق والقِسَمِ

تهوى حيَاتى وأهوى موتها شَفَقًا ... والموتُ أكرم نزال على الحُرَمِ

---

(١) فى ا : لما رعت لذكر .

(٢) الأبيات لإسحاق بن خلف البهرانى ، الحماسة لأبى تمام ١٠٧/١ ، عيون الأخبار ٩٣/٣ ، زهر الآداب ١٧٤/٢ ، محاضرات الأدباء ١٥٧/١ ، وانظر معجم الأدباء ١٢٣/٥ .

(٣) فى الحماسة : ولم أقاس ، وحندس الظلمة شدتها .

(٤) الوضم : ما وقيت به اللحم من الأرض من خشب أو حصير ، والمراد هنا من هتك الستر عن اللحم : الذل والضياع .

(٥) فى ا : فظاظة عم ، وفى الحماسة أبقى بدل أخشى .

وقال آخر[١] :

أحب بنيَّتي وَوَدِدْتُ أنّى ... سترتُ[٢] بنيَّتي فى قَعْرِ لَحْدِ
وما إنْ ذاك من بُغضٍ ولكن[٣] ... مخافة أن تذوق البُؤس بعدى

رأى ابنُ عباس رجلا ومعه ابنٌ له ، فقال : أما إنَّه لو عاش فتنك ، ولو مات أَحزنك .

قال محمد بن علىّ بن حسن لابنه جعفر : يا بنىّ ! إن اللهَ رضيَنى لك وحذَّرنى منك، ولم يرضك لى فأوصاك بى ، يا بنىّ ! إن خيرَ الأبناء من لم يدعُهُ البر إلى الإفراط ، ولم يدعُهُ التقصير إلى العقوق .

كان يقال : الولدُ ريحانتك سبعاً ، وخادمك سبعاً ، وهو بعد ذلك صديقك أو عدوك أو شريكك .

سأل معاوية بن أبى سفيان الأحنف بن قيس عن الولد ، فقال : يا أمير المؤمنين! أولادنا ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، نحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، وبهم نصولُ عند كل جليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأَرْضِهم ، يمنحوك ودهم ،

---

(١) انظر البيتين فى عيون الأخبار ٣/٩٣ ، وقال : أنشدهما ابن الأعرابى .

(٢) فى العيون : دفنت .

(٣) فى ا ، وفى العيون : وما بى أن تهون على لكن .

ويحبُّوك جَهدهم ، ولا تكن عليهم قفلا[1] فيتمنَّوْا موتَك ويكرهوا قربك ويملوا حياتك . فقال له معاوية : لله أنت ! لقد دخلت عليّ وإني لمملوء غيظا على يزيد ولقد أصلحتَ من قلبي له [2] ما كان فسد [2] . فلما خرج الأحنف من عند معاوية بعث معاوية [3] إلى يزيد بمائتي ألف درهم ، فبعث يزيد إلى الأحنف بنصفها .

قال عليٌّ بن أبي طالب : ينبغي لأحدكم أن يتخيّر اولده إذا وُلد الاسمَ الحسَن .

وفي الخبر المرفوع : من نعمة الله عز وجل على الرجل أن يُشْبهه[4] ولده .

قال عمر بن الخطاب : عَجِّلوا بكُنَى أولادكم لا تُسْرع إليهم الألقاب السُّوء .

قال أبو جعفر محمد بن علي : بادروا بالكنى قبل الألقاب . قال : وإنا لنكنى أولادنا في الصغر مخافة اللقب أن يلحق بهم .

قال قتادة : رب جاريةً خير من غلام ، [2] ورُب غلام [2] قد هلك أهله على يديه .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « ما نَحَل والدٌ ولده خيرًا من أدب حسن » .

---

(١) في ا : ثقلا .
(٢) ساقط من ح .
(٣) ساقطة من ح .
(٤) ج : يشهد .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من عال ثلاثَ بناتٍ ، أو ثلاثَ أَخَوات أو ابْنتين أو أختين كُنَّ له حجاباً من النار ، فإن صبر عليهن حتى يزوِّجهن دخل الجنة .

كان يقال : من بلغت ابنته النكاح فلم يزوجها فزنت فعليه مثل إثمها ، وإثمها عليه

(١) وكما لا يصبحّ الجسد بلا رأس لا تصلح المرأة بغير زوج (١) .

كان عقيل بن عُلَّفَة(٢) غيورًا ، فحمل يوماً ابنةً له وأنشأ يقول :

إنّى وإنْ سيقَ إلىَّ المهرُ ألفٌ وعُبْدان وَذَوْدٌ عَشْرُ
أحبُّ أَصْهَارى إلىَّ القبرُ

قال عبد العزيز بن مروان لسعيد بن العاص : كيف حبُّك لبَناتِك ؟ قال : إنى لأحبهن ، على أنهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء ، وهن عَدَدٌ ولسن بولد .

كتب عمر بن الخطاب إلى أهل الأمصار : علّموا أولادكم العَوْم والفروسيّة ،

---

(١) ساقط من ا .

(٢) ابن الحارث بن معاوية اليربوعى ، شاعر مجيد مقل من شعراء الدولة الأموية ، كان من بيت شرف فى قومه ، ترغب قريش فى مصاهرته ، ولكنه كان ذا خيلاء وغطرسة ، قال المبرد : كان عقيل بن علفة من الغيرة والأنفة على ما ليس عليه أحد ، توفى نحو سنة ١٠٠ هـ . انظر الأغانى ١١/٨١–٨٩ (الأعلام ٥/٤٠) وانظر الأبيات فى زهر الآداب ٢/١٧٤ .

ورووهم ما سار(١) من المثل ، وما حَسُنَ من الشعر .

كان يقال : من تمام ما يجب للأبناء على الآباء ، تعليمُ الكتابة والسباحة .

قال الحجَّاج لمعلّم ولده : علّم وَلَدى السباحةِ قبل أن تعلمهم الكتابة ، فإنهم يجدون من يكتب عنهم ، ولا يجدون من يسبح عنهم .

كان يقال : الدُّعاء على الولد والأهل بالموت يورث الفقر .

قال الشاعر :

خيرُ ما وَرَّث الرجالُ بنيهم ... أدبٌ صالحٌ وحسن الثناء
ذاك خيرٌ من الدنانير والأو ... راق فى يوم شدةٍ أو رخاء

وهى أبيات كثيرة قد ذكرناها وذكرنا الاختلاف فى قائلها فى باب التعليم فى الصغر ، من كتاب العلم . وفى ذلك الباب كثير من معانى هذا الباب ، والله الموفق للصواب .

قال أعرابى ، وهو حِطَّانُ بن المُعلى(٣) :

أبكانِىَ الدهرُ ويا رُبّما ... أضحكنِى الدَّهْر بما يُرْضِى

---

(١) فى ا : وزودوهم ما صار من المثل .

(٢) هو كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر .

(٣) شاعر إسلامى ، قامت شهرته على هذه القصيدة التى نوردها ، انظرها فى الحماسة ١/١٨٩، ووردت ببعض مخالفة فى أمالى القالى ٢/١٨٩ ، العقد الفريد ٢/٤٣٨ .

أنزلنى الدَّهْرُ عَلَى حــكمه   من شاهق عالٍ إلى خفضِ [١]

وابتزّنى الدهرُ ثياب الغنى   فليس لى ثوبٌ سوى عرضِى [٢]

لولا بُنَيَّاتٌ كَزُغْبِ الْقَطَا   يَنْهَضْنَ [٣] من بعضٍ إلى بعضِ

إن هبَّت الريحُ على بعضهم   لم تطعَمُ العيْنُ من الغَمْضِ [٤]

لكانَ لى مضطربٌ واسعٌ   في الأرض ذاتِ الطولِ والعرضِ

وإنمـــــا أولادُنا بيْننَا   أكبادُنا تمشى على الأرضِ

كان الزبير بن العوام يرقص ابنه عروة ويقول :

أبيضُ من آل أبى عتيقِ   مباركٌ من ولد الصِّدِّيقِ

أَلَذُّهُ كما أَلَذُّ ريقِى [٥]

قالوا : من كان له صبىٌّ فليستَصْبِ له .

كانت أعرابية ترقّص ابنها ، أو بعض الأعراب يرقص ابنه ويقول :

أحبُّه حبَّ شحيحٍ مالَهْ   قد ذاق طعم الفقر ثم ناله

---

(١) فى العيون : من مرقب عال ، وفى الحماسة : من شامخ .

(٢) رواية الحماسة : غالنى الدهر بوفر الغنى ، وفيها وفى العيون : فليس لى مال بدل ثوب .

(٣) فى الأمالى : أجمن بدل ينهضن ، وفى العيون والحماسة : حططن .

(٤) فى العيون : لامتنعت عينى . الخ .

(٥) انظره فى عيون الأخبار ٢/٤٣٩ ، ٣/٩٥ ، العقد الفريد ٣/٤٩ .

إذا أُراد بَذْلَه بَدَالَهْ(١)

قال محمد بن يحيي النديم(٢) : أول شعر قاله عليّ بن الجهم وهو غلام فى المكتب، وذلك أن أباه أمر المؤدّب أن يُحْلِسه يوم الخميس عنده فى المكتب حتى يحفظ حزبه ، فحبسه فكتب إلى أمه :

أُمّى جُعِلْتُ فِدَاكِ من أمّ   أشكو إليك فظاظة الْجَهْمِ
قد سرّحَ الصبيانُ كلُّهُمُ   وحُبِسْت بالعُدوَان والظُلْمِ

قال الزيادى : كنت رجلا مِئْنَاثًا ، فقيل لى : أكثر من الاستغفار وقت الجماع ، واستغفر الله عند الجماع ، ففعلتُ فوُلد لى بضعة عشر ولدًا ذكرًا .

قال الشاعر :

وما كل مِئْنَاثٍ سَيَشْقَى ببِنْتِه(٣)   وما كلُّ مِذْكَارٍ بنُوه سُرُورُ

ومن هذا المعنى ذكرٌ فى باب النساء .

---

(١) الرجز فى أمالى القالى ٢/٢٩٣ ، عيون الأخبار ٢/٤٣٩ . العقد الفريد ٣/٤٧٢ .

(٢) هو محمد بن يحيى بن عبد الله ، أبو بكر الصولى ، كان يلقب بالنديم لأنه نادم ثلاثة خلفاء من بنى العباس هم : الراضى والمكتفى والقادر ، وكان يلقب أيضا بالشطرنجى إذ كان من أحسن الناس إتقانا له وبراعة ، توفى بالبصرة سنة ٣٣٥ هـ . انظر وفيات الأعيان ١/٥٠٨ ، تاريخ بغداد ٣/٤٢٧ . وانظر هذا الخبر والبيتين فى الأغانى فى ترجمة على بن الجهم ، وقد كذبه أبو الفرج جملة وتفصيلا .

(٣) فى ا : استشقى ببنته .

قال أبو العلاء محمد بن أحمد بن جعفر الوَكيعى[١] : ماسمعت بكار بن قتيبة القاضى[٢] قط ينشد بيت شعر إلاّ مرة ، كنت عنده واختصم إليه رجل وابنه[٣]، فكان من كل واحد منهما إلى صاحبه مالم يحمد بكار ، فالتفت إليهما وأنا أسمع ، فقال :

تَعاطيتُما ثوبَ العُقُوقِ كلاكما   أَبٌ غَيْر برٍ وابنه غيرُ واصِلِ[٤]

كان لعبد الملك بن مروان بيتُ مالٍ كان قد حجزه من خالص غَلاّته وضياعه، لا يدخله شيء من الغلول ، يعدّه للتزويج وشراء الجوارى اللواتى يطلبُ أولادَهن، وكان يقول : إنّ الغلولَ يبقى فى الولد .

قال أعرابى لأبيه ، (٥ وهو عمر بن ذرّ الهمدانى ٥) يعاتبه : يا أبت ! إن عظيم حقك علىّ لا يذهب صغير حقّ عليك ، والذى تَمُتُّ به إلىّ أمت بمثله إليك ، ولستُ أزعم أنا سواء ولكنى أقول لا يحل الاعتداء .

---

(١) ساقط من ج ، وأبو العلاء محدث ثقة ثبت ، ولد بالكوفة سنة ٢٠٤ ، ثم قدم إلى مصر تاجرا فظل بها الى أن توفى سنة ٣٠٠ هـ انظر : تهذيب التهذيب ٩/٢١ .

(٢) ابن أسد الكوفى ، قاض فقيه محدث ، ولى قضاء مصر للمتوكل العباسى سنة ٢٤٦ هـ ، ولما صار الأمر الى أحمد بن طولون أمره بخلع الموفق من ولاية العهد فأبى ، فسجنه ، فأقام فى السجن يقصده الناس ويروون عنه الحديث ويتقاضون إليه حتى مات ، انظر وفيات الأعيان ١/٦١ ، (الأعلام وهامشه ٢/٣٤) .

(٣) فى ج : وأمه .

(٤) فى ج : فاضل .

(٥) ساقط من ا ، وعمر هذا هو عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمدانى ، من رجال الحديث ، ومن أهل الكوفة ، كان رأسا فى القول بالإرجاء ، فاختلفوا فى صحة حديثه . انظر : تهذيب التهذيب ٧/٤٤٤ .

قيل لأعرابى ، وكان له ابن عاقّ : كيف ابنُك ؟ قال : عذابٌ أزعف[1] علىّ به الدهر ، فليتنى قد أودعته القبر ، فإنه بلاء لا يقاومه الصبر ، وفائدة لا يلزم عليها الشكر .

دخل إلى جعفر بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمى أعرابى ، فسأله جعفر عن بنيه ، فقال[2] :

إن بَنِىَّ خيْرُهُمْ كالكَلْبِ   أبرُّهم أولعُهم بسبِّى[3]
لم يغنِ عنهم أدَبى وَضَرْبِى   فليتنى كنتُ عقيمَ الصُّلبِ[4]

ولبعض العقلاء البررة الأدباء :

بنفسِى أنتِ لا بأبى فإنى   رأيتُ الجودَ بالآباء لُؤْمًا[5]

كان يقال : من فوائد الدهر موتُ الابن العاقّ .

---

(١) أزعف عليه : أجهز .

(٢) انظر الرجز فى أمالى القالى ٢/١٩٨ ، الأدباء ١/١٥٨ ، المحاسن والمساوىء ٢/١٩٠ .

(٣) فى ا : كلهم بدل خيرهم، وفى الأمالى : أولاهم ، بدل أولعهم ، وفى المحاسن : ألأمهم بدل أبرهم .

(٤) فى الأمالى : ورد بدل الشطرة الثانية من هذا البيت شطرة أخرى هى : ولا إتساعى لهم ورحبى ، ورد بعد ذلك هو :

فليتنى مت بغير عقب   أو ليتنى كنت عقيم الصلب

ويروى : الزب بدل الصلب .

(٥) انظر البيت فى محاضرات الأدباء ١/١٩٣ .

قال أمية بن أبى الصلت ، وهو قد عتب على ابنه[1] :

غَـذَوْتُك مولودًا وَعُلْتُك يافعا ... تُعَلُّ بما أَسعى عليـك وتُنْهَـلُ[2]

إذا ليلةٌ جاءتك بالشـكو لم أكن ... بشـكواك إلّا ساهـرًا أتململُ[3]

كأنى أنا المطرُوق دونك بالذى ... طُرِقْتَ به دونى فعينىَ تَهْمِلُ[4]

تخافُ الرَّدى نفسى عليـك وإنها ... لتعلمُ أن الموت وقتٌ مؤجـلُ[5]

فلمـا بلغت السنَّ والغايةَ التى ... إليها مدى ما كنت قبلُ أؤملُ[6]

جعلت جزائى غلظةً وفظاظةً[7] ... كأنك أنتَ المنعمُ المتفضـلُ

فليتك إذ لم ترْعَ حـقَّ أُبُوَّتِى ... كما يفعلُ الجارُ المجاورُ تفعـلُ[8]

ورضى أبو الشَّغْب العَبْسى عن ابنه فقال[9] :

(١) وردت الأبيات فى عيون الأخبار ٣/٨٧ منسوبة الى يحيى بن سعيد ، والصحيح أنها لأمية ، انظر ديوانه ١٠٢ ، وانظر حماسة أبى تمام ٣١٩/١ ، ٣٢٠ .

(٢) فى العيون : منتك بدل علتك ، وأجنى بدل أسعى ، وفى الحماسة : أدنى إليك .

(٣) رواية الحماسة : إذا ليلة نابتك ... لم أبت ، وفى العيون : نالتك .

(٤) فى العيون والحماسة : وعينى بدل فعيناى .

(٥) لم يرد هذا البيت فى العيون ، ورواية الحماسة : حتم بدل وقت .

(٦) فى العيون : فلما بلغت الوقت فى العدة التى .

(٧) العيون والحماسة : جعلت جزائى منك جبها وغلظة .

(٨) فى العيون والحماسة : فعلت كما الجار ... الخ .

(٩) الأبيات التى تلى فى حماسة أبى تمام ١٠١/١ ، ١٠٢ ، أمالى القالى ٣/٢ ، الكامل للمبرد ١٠١/١ ، والبيتان ٢ ، ٣ فى عيون الأخبار ٥/٣ ، وذكر فيه : أنها فى مدح الإخوان وليس الأبناء ، وقد وردت الرواية على هذا : إذا كان إخوان الرجال ...الخ ، ولا يتفق هذا مع أى من المراجع الأخرى ، وقد نص فى الكامل على أنها من أب فى ابنه ، قال : قال أبو العباس : أنشدنى التوزى لأبى رباط يقول لابنه ... الخ .

رأيتُ رباطا حين تمَّ شبابُه ... وولىّ شبابى ليس فى برِّه عَتْبُ

إذا كان أولادُ الرجال حزَازَةً[١] ... فأنت الحلال الحلو والبارد العذبُ

لنا جانبٌ منه دميثٌ وجانب ... إذا رامه الأعداء ممتنعٌ صعبُ[٢]

يخبّرنى عما سألتُ بهيّنٍ ... من القول لاجافى الكلام ولا لُغْبُ[٣]

وقال آخر :

فلو كنتم لكيّسَةٍ أكَاسَتْ ... وكيسُ الأمّ أكْيَسُ للبنينا[٤]

---

(١) فى الكامل : مرارة . والحزازة : وجع القلب من الغيظ .

(٢) فى الكامل : أنيق بدل دميث ، وفيه وفى العيون : مزكبه بدل ممتنع .

(٣) اللغب : الفاسد من الكلام .

(٤) فى ا : لكستم بدل أكاست . وانظر البيت فى البيان والتبيين ١/١٩٥ ، ٣/٣٤٨ ، محاضرات الأدباء ١/١٠٩ .

بابُ الأقارب والموالى

قال رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (يارسول الله [١]) إن لى قرابةً أَصِلُهم ويقطعوننى ، وأحسن إليهم ويُسيئون إلىّ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يَزال معك من الله ظهيرٌ ما كنتَ على ذلك » .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « ما مِن ذنبٍ أجدر بأن تعجّل لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخرله فى الآخرة، من البَغْى وقطيعةِ الرَّحِم » .

ويروى عنه صلى الله عليه وسلم : « حقُّ كبير الإخوة على صغيرهم ، كحقّ الوَالد على ولده » .

وقال أبو الدرداء : مكتوبٌ فى التوراة : إن أحسد الناس لِعالِمٍ وأَبغاهم عليه ، قرابته وجيرانُه » .

قال رسولُ الله صلى الله عَليه وسلم : « مَوْلَى القوم منهم » .

قال ابن عباس : قد تُقْطَعُ الرَّحِم ، وقد تُكفر النُّعمى ، ولا شىء كتقارب القلوب . وفى رواية أخرى عنه ، تُكْفَر النعمة ، والرَّحم تُقْطَع ، والله يؤلّف بين القلوب ، وإذا قارب بين القلوب لم يُزَحْزِحها شىء أبدًا ، ثم تلا : ﴿لو أَنْفَقْتَ

---

(١) زيادة في ج .

ما فى الأرضِ جميعًا ما ألَّفتَ بين قلوبِهِمْ ، ولكنَّ اللهَ ألَّفَ بينهم ﴾[1] .

كان يقال : لا تُؤَدِّى حَقَّ[2] الرحم إلا بأن تصل من أدلى بها إذا قطعك ، وتعطيه إذا حرمك .

قال الشاعر :

وجدتُ قريبَ الوُدِّ خيرًا وإن نَأَى ... من الأبعد الودِّ القريبِ المناسبِ
ورب أخ لم يُدْنِهِ منك والدٌ ... أبرُّ من ابنِ الأم عند النوائبِ
ورب بعيد حاضرٍ لك نفعُهُ ... ورُبَّ قريبٍ شاهدٍ مثلُ غائبِ

ولمنصور الفقيه :

[3] مناسبُك الأدْنى أشدُّ عداوةً ... وكفرًا لما أوليتَه من عداتكا
يقول الذى بينى وبينك مُوجبٌ ... عليك لعمرى أثْرتى بحياتكا
وما خيرُ من يمسى ويصبح ساخطا ... على الله فى تأخيره لمماتكا

وقال آخر[3] :

أشدُّ عداوةً وأقلُّ نفعًا ... من الرجل البعيدِ الأقربُونا

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٣

(٢) فى حـ : صلة .

(٣) ساقط من ا .

وقال آخر[١] :

ولا خيرَ فى قُرْبَى لغيركَ نفعُها   ولا فى صديقٍ لا تزَالُ تعاَتبُه
يخو ُنك ذو القربى مرارًا وَرُبَّما   وَفَى لك عند الجَهْد من لا تُناَسِبُه

قالت الأعراب : ابن عمك عدوك وعدو عدوك .

قال الفضل بن العباس اللهبى[٢] فى بنى أمية[٣] :

مهلا بنى عمنا عن نحت أَثْلَتِناَ   سيرُوا قليلاً كما كنتم تسيروناَ[٤]
لاتطمعُوا أن تهينوناَ ونكرمكمُ   وأن نكفَّ الأذى عنكم وتؤذُوناَ
مهلا بنى عمنا مهلاً مَوالينا   لاتنشرُوا[٥] بيننا ما كان مدفونا
الله يعلمُ أنّا لا نحبكمُ   ولا نلومكُمُ ألا تحبوناَ
كل يُداجى[٦] على البغضاء صاحبَه   بنِعْمةِ الله نقليكم وتقلُوناَ

---

(١) هو بشار ، انظر ديوانه ١/٣٠٩ ، محاضرات الأدباء ١/٢٢ ، الصداقة والصديق ١١١ وفيهما : تقاربه بدل تناسبه .

(٢) سبقت ترجمته فى هذا الجزء .

(٣) وردت الأبيات فى الحماسة لأبى تمام ١/٨٢ ، مع اختلاف فى الترتيب ، وانظر البيت الثالث فى الكامل ٢/٢٧٩ ، وبعضها فى المؤتلف ٣٥ ، معجم الشعراء ٣١٠ ، العقد الفريد ٢/٣٢٨ ، عيون الأخبار ١/٢١٣ .

(٤) الأثلة : الشجرة العظيمة ، وتستعار للعرض ، والمقصود كفوا عن ذمنا وشتم أعراضنا ، ورواية الحماسة : رويدا بدل قليلا .

(٥) فى الحماسة : لاتنبشوا .

(٦) فيهما أيضا مداج.

قال مضرِّس بن لقيط الفقعسى :

فقــدتُ موالىَّ الذين كأنّهم دماميلُ فى وجهى على تُنَخِّسُ

ولما قتل الحسين بن علىّ ، قالت بنت عقيل بن أبى طالب :

ماذا تقولون إنْ قال النبىُّ لــكم ماذا فعلتم وأنتم آخــرُ الأممِ
بعِتْرَتى وبأهلى عنــد منطلق منهم أُسَارَى وَقَتْلَى ضُرِّجُوا بدمِ
ما كان هذا جزائى إذ نصحتُ لــكم أنْ تخلفونى بسُوءٍ فى ذوى رَحِمى[1]

لسُوَيْد الحارثى أو غيره[2] :

بنى عمنا لا تذكروا الشِّعْر بعدما دفنتُمْ بصحراء الْغُمَيْمِ القوافيَا[3]
فلسنا كما كنتُم تصيبُون مثلَهُ فيقبلَ عَقْلاً أو يحكِّمَ قاضيَا[4]
ولــكنَّ حكم السيف فيكم مُسَلَّطٌ فنرضى إذا ما السيفُ أصبح راضيا
فإن قلتُمُ إنا ظلمنا فإنــكم[5] بدأتُم ولــكنا أَسَأْنَا التّقاضيا

---

(١) انظر الأبيات فى : الـكامل ١/٩١ ، عيون الأخبار ١/٢١٢

(٢) وردت الأبيات فى الحماسة لأبى تمام ١/٤١ ، وقال : أنها للشميذر الحارثى أو سويد بن صميع الرندى الحارثى ، وانظر عيون الأخبار ١/٧٧ .

(٣) فى الحماسة : الغمير بدل الغميم ، والغمير موضع بين ذات عرق والبستان ، قبله بميلين يوجد قبر أبى رغال .

(٤) فى الحماسة : سلة بدل مثله ، وصيفا بدل عقلا .

(٥) فيها أيضا : فلم نــكن بدل فإنــكم .

وقال الأضبطُ بن قُرَيْع :

فَصِلْ حبالَ البعيدِ إنْ وصل الْـ ... ـحَبْلَ وأقصِ القريبَ إن قَطَعَهْ[١]

قال قيس بن زهير[٢] :

شفيت النفس من حَمَل بن بَدْرٍ ... وسيفى من حُذَيفةَ قد شفانى

[٣] قتلت إخوتى سادات قومى ... وقد كانوا لنا حلى الزمانِ [٣]

فإن أكُ قد شفيت[٤] بهم غليلى ... فلم أقطع بهم إلا بنانى

قال ذو الإصبع العدوانى[٥] :

ولِى ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلُقٍ ... مخالفٍ لِىَ أَقْلِيهِ وَيَقْلِينِى[٦]

أزرى بنا أننا شالت نعامتُنا[٧] ... فخالنى دونه بل خلتُه دونى

اللهُ يعلمنى واللهُ يعلمكُمْ ... والله يجزيكمُ عنى ويجزينِى

---

(١) البيت فى البيان والتبيين ٣/٢٨٠ ، العقد الفريد ٢/٣١٥ ، زهر الآداب ٢/٢٠٤ .

(٢) الأبيات التالية فى : حماسة أبى تمام ١/٧١ ، عيون الأخبار ٣/٨٨ ، محاضرات الأدباء ٢/٧٥ ونسبت فيها لقيس بن زياد ، وانظر معجم الشعراء ٣/٣٣٢ ، أمالى القالى ١/٢٦٢ .

(٣) ساقط من ج .

(٤) فى ا : بردت وكذلك فى العيون ، وفى المعجم : فإن أك قد شفيت بذاك قلبى .

(٥) الأبيات فى الحيوان ٤/٣٦٤ ، عيون الأخبار ٢/٣٢٨ ، أمالى القالى ١/٢٥٥ ، ٥٦ .

(٦) فى الأمالى : مختلفان فأقليه .

(٧) شالت نعامتهم إذا انتقلوا من الموضع فلم يبق منهم فيه أحد ، والمقصود تغير حالهم من يسر إلى عسر .

ماذا عَلَيَّ وإن كنتم ذوى رحمٍ ألا أحبكمُ إذ لم تُحِبُّونِى

قال الأعشى(١) :

وإنَّ القريبَ من يقرِّبُ نفسَهُ لعمْرُ أبيك الخيرِ لا مَنْ تَنَسَّبَا

وقال آخر :

وإنِّى للبَّاسٌ عَلَى الْمَقْتِ والقِلَى بنى العمِّ منهم كاشحٌ وَحَسُودُ
أذبُّ وأرمِي بالْحَصَى من ورائهم وأبدأُ بالْنُّعْمى لهم وأعــودُ(٢)

قال ابنُ العميد :

آخِ الرجالَ من الأَبَا عِدِ والأقاربَ لا تُقَارِبْ
إن الأقاربَ كالعقــا رِبِ أو أشدُّ من العقاربْ(٣)

كان عبد الله بن العباس صديقاً لعمر بن عبد الرحمن بن عوف فلقيه يوماً مغتاظاً . فقال له : مالك ؟ قال : لقينى فلانٌ — لرجل من أهله — فشتمنى وآذانى. فقال له : هوِّنْ عليك فما من ضارٍ على طريدةٍ بأسرعَ إليها من ابن عم دَنِيٍّ إلى ابن عم سَرِيّ ، فهوِّنْ عليك .

(١) ديوانه ١١٣ .
(٢) البيتان فى محاضرات الأدباء ١/١٧٥ ، وفيه : بالعصا بدل الحصى ، والحسنى بدله النعمى .
(٣) البيتان فى يتيمة الدهر ٣/١٨٣ ، ١٨٤ ، خاص الخاص ١٢٦ ، التمثيل والمحاضرة ١٢٢ .

من شعر طرفة ، ويروى فى شعر عدى بن زيد[1] :

وظلمُ ذوى القُربى أشدُّ مضاضةً   على المرء من وقع الحسام المهنَّدِ

وقال أبو فراس الحمدانى[2] :

وهل أنا مسرورٌ بقرب أقاربى   إذا كان لى منهم قلوبُ الأباعدِ

قال العتّابى : عشيرتُك مَنْ أَحْسَنَ عِشْرَتَك ، وابن عمّك من عَمَّك خيرُه وقَرَابتك من قَرُب منك نفعُه ، وأحبّ الناس إليك أخفّهم ثقلا عليك .

وقال[3] :

إنى بلوتُ الناسَ فى أحوالهم   وَخَبَرْتُ ماوصفُوا من الأسبابِ[4]

فإذا القرابة لا تُقرّبُ قاطعاً   وإذا المودةُ أقربُ الأنسابِ

---

(١) ورد البيت فى معلقة طرفة ، وعلق على ذلك التبريزى فى شرحه لها أنه لعدى ، انظر هامش الحيوان ٧/١٥٠ ، وقد نسب البيت لعدى فى حماسة البحترى ٣٩٣ ، عيون الأخبار ٣/٨٨ ، نهاية الأرب ٣/٦٣ . والرواية فيها كلها : أشد عداوة بدل مضاضة .

(٢) ديوانه ٣٦ .

(٣) ورد البيتان فى حماسة البحترى ٢٧٨ ونسب فيها إلى يحيى بن زياد ، ونسبهما فى العقد الفريد ٢/٣١٤ إلى أبى تمام وليسا فى ديوانه .

(٤) رواية حماسة البحترى لهذا البيت :

ولقد عرفت القائلين وقولهم   وفهمت ما ذكروا من الأسباب

ورواية العقد :

ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم   ووصفت ما وصفوا من الأسباب

وانظر عيون الأخبار ٣/٩٠ .

وقال آخر :

كم من أخٍ لك لم يــلده أبُوكا   وأخٍ أبُوه أبوك قد يَجْفُــوكا[١]

وهــذا مأخوذ — والله أعلم — من قول أكثم بن صيفى : رب أخ لم تجمعه معك ولادة .

قال آخر[٢] :

قومى هُمُ قتلوا ـ أميمَ ـ أخى   فإذا رَمَيْت أصابنى سهمى

فلئن عفوتُ لأعفوَنْ جَلَلاً   ولئن سطوتُ لأوهِنَنْ عظمى

وقال أبو الأسود الدؤلى :

إذا المرءُ ذو القربى وذو الود أجْحَفَتْ   به سَــنَةٌ حَلَّتْ مصيبتُه حِقْــدِى[٤]

قال آخر[٥] :

سآخذ منــكم آلَ حَزْنٍ لِحَوْشَبٍ   وإن كان مولائى وكنتم بنى أبِى[٦]

---

(١) البيت ضمن ثلاثة أبيات فى العقد الفريد ٢/٣٠٧ ، غير منسوبة لقائل .
(٢) هو الحارث بن وعلة الجرمى كما فى حماسة أبى تمام ١/٧١ ، وانظر عيون الأخبار ٣/٨٨ .
(٣) فى العيون : يصيبنى بدل أصابنى ، وقرعت بدل سطوت .
(٤) البيت فى ديوانه ٣٦ ، ورواية ا : جلت مصيبته عندى ، وفى عيون الأخبار ٣/١٠٧ . ذو الضعف بدل الود ، وفى فصل المقال ١٨٠ ، ذو الذنب وفيه : نــكبته بدل مصيبته .
(٥) قال فى حماسة أبى تمام ١/١٢٠ : يقال إنه جندل بن عمر ، وقد ورد البيتان بدون نسبة فى عيون الأخبار ٣/٨٩ .
(٦) يروى ، وإن كان لى مولى ، وفى الحماسة والعيون : مولاى وقال الشارح وفيه الـكف ، وهو حذف النون من مفاعيلن ، ولم يرد فى الحماسة بيت مـكفوف غيره .

فإنْ كنت لا أُرْمَى وَترْمَى عشيرتى ... تُصِبْ جائحاتُ النبل كشحى وَمِنْكبى[١]

وقال آخر :

فلم أر عز المرء إلا عشـــيرة ... ولم أر ذلاً مثل نأيٍ عن الأهل

قال آخر[٢] :

أخافُ كلابَ الأبْعدين وَنَبْحَهَا ... إذا لم تجاوبها كلابُ الأقاربِ[٣]

وقال المقنع الكندى ، واسمه محمد بن عُمير بن أبى شَمِر الكِنْدى ، وكان من أجمل أهل زمانه وأحسنهم وجها ، وأتمهم قامة ، فكان إذا كشف وجهه يُؤذى ، فكان يتقنّع دهرَه ، فسُمى لذلك : المقنع . وشعرُه هـذا من أحسن ما قيل فى معناه جزالة ونقاوة وسَبَاطة وحلاوة[٤] :

يُعَاتِبُنِى فى الدَّيْن قومى وإنّما ... دُيُونِىَ[٥] فى أشياء تكسبهم حَمْدَا

---

(١) فى الحماسة : كنائنى بدل عشيرتى ، وجائحات بدل جائحات .

(٢) نسب البيت فى محاضرات الأدباء ١/١٧٣ إلى النعمان بن حنظلة ، ونسبت فى عيون الأخبار ٣/٩١ إلى رجل من غطفان ولم يعينه ، وورد فى التمثيل والمحاضرة ٣٥٦ بدون نسبة .

(٣) فى المحاضرات : وهرشها بدل نبحها ، ونهارشها بدل تجاوبها .

(٤) انظر الأبيات التالية فى حماسة البحترى ٣٨٠ ، ٣٨١ ، أمالى القالى ١/٢٨٠ ، ٢٨١ ، وما عدا السابع فى حماسة أبى تمام ٢/٣٢ ـ ٣٤ .

(٥) يروى : تداينت .

أَسُدّ به ما قد أخلُّوا وضيّعوا حقوقَ ثُغورٍ ما أطاقوا لها سَدّا
ولى جفنةٌ لا يُغلَقُ البابُ(١) دونها مكلَّلةٌ لحماً مدفقةٌ ثردا
ولى فرسٌ نهدٌ عتيقٌ جعلتُه حجاباً لبيتى ثم أخدمته عَبْدا
وإنّ الذى بينى وبين بنى أبى وبين بنى عمّى لمختلفٌ جدّا
(٢ إذا أكلوا لحمى وفرتُ لحومَهم وإن هَدَمُوا مجدى بنيتُ لهم مجدا ٢)
وإن ضيَّعُوا غيبى حفظتُ غيوبَهم وإن هُمْ هَوُوا غَيِّى هَوِيت لهم رُشْدا
وليسُوا إلى نَصْرِى سراعاً وإن هُمُ دَعَوْنى إلى نصرٍ أتيتُهمُ شدّا
وإن زَجروا طيرى(٣) بنحسٍ يمرُّ بى زجرتُ لهم طيرًا يمر بهم سَعْدا
ولا أحملُ الحقدَ القديمَ عليهمُ وليس رئيسُ القوم(٤) من يحمل الحِقْدا
(٢ لهم جلُّ مالى أن تتابع لى غنىً وإن قل مالى لم أكلفهم رفدا ٢)
وإنى لعبدُ الضيف مادام نازلا وما شيمةٌ لى غيرها تشبهُ العَبْدا

وقال طرفة :

وأعلم علماً ليس بالظنِّ أنهُ إذا ذلَّ مولى المرءِ فهو ذليلُ(٥)

---

(١) فى الحماسة : وفى جفنة ما يغلق الخ ، وكذلك فى البيت التالى : وفى فرس الخ .
(٢) ساقط من ا . وفى الحماسة : فإن أكلوا بدل فإذا .
(٣) فى الحماسة : طيرا .
(٤) فى حماسة البحترى : وليس كريم القوم .
(٥) ديوانه ١٢٦ .

وقال عوف التميمي [١] :

ولستُ لقومي بعَيَّابةٍ وشرُّ العشيرةِ من عابَها
أَعِفُّ وابذُلُ مالي لها ولا أتعلَّم ألقابَها [٢]

وقال أبو الطمحان القيني [٣] :

إذا كان في صَدْر ابن عمك إحْنَةٌ فلا تستثرْها سوف يبدُو دفينُها [٤]

قال آخر :

أخاك أخاك إنَّ من لا أخا له كساعٍ إلى الهَيْجا بغير سلاحِ
وان ابن عمِّ المرءِ فاعلم جناحُهُ وهَلْ ينهض البازي بغير جَنَاحِ

قال الثَّقفي [٥] :

---

(١) انظر ترجمته و البيتين في معجم الشعراء ٢٧٦ .

(٢) ساقط من ا .

(٣) نسب البيت في المؤتلف ٢٣ إلى الأقيبل القيني ، وفي حماسة البحتري ١٨ إلى معروف بن عمرو الطائي .

(٤) في المؤتلف : متى ما يكن ، وفي حماسة البحتري نفس ابن عمك بدل صدر .

(٥) نسب البيتان في عيون الأخبار ٣٠٤/٢ ، ٣/٢ ، فصل المقال ٢٢٠ ، الأغاني ٧٠/١٨ (بولاق) إلى مسكين الدارمي ، ونسبا في حماسة البحتري ، ٣٨٨ إلى قيس بن عاصم .

(٦) ذكر في هامش البيان ٨٢/١ أنه يزيد بن الحكم الثقفي على الاحتمال ، وقد نص في الشعر والشعراء =

من كان ذا عَضُدٍ يدْرِكْ ظُلَامَتَهُ ... إن الذليلَ الذى ليست له عَضُدُ
تنبوُ يداه إذا ما قــلّ ناصرُهُ ... ويأنفُ الضَّيْمَ إن أثْرى له عددُ

وقال أشجع السلمى :

نسيبُك من أمْسَى يناجيك طَرْفُهُ ... وليس لمن تحْتَ الترابِ نسيبُ[1]

وقال محمد بن أبى حازم الباهلى :

رُبّ غريبٍ ناصحُ الجيبِ ... وابنُ أبٍ متَّهــمُ الغيبِ[2]
وربّ عيّابٍ له منظــرٌ ... مشتملُ الثوب على العيبِ

قال محمد بن أبَان اللّاحقى يخاطب أخاه إسماعيل :

تلوم على القطيعــة من أتاها ... وأنت سننتها للناس قبــلى[3]

واللاحقى هو القائل :

= على أبه الأجرد الثقفى ، وانظر البيتين فى عيون الأخبار ٣/٢ ، المصون ٧ ، العقد الفريد ٢/٤٤٠ ، ٤١ ، الحيوان ٣/٤٥ .

(١) البيت فى التمثيل والمحاضرة ٨٤ .

(٢) انظر البيتين فى البيان والتبيين ١/٧٥ ، التمثيل والمحاضرة ٨٥ ، عيون الأخبار ٢/١٥ وفيه : وكل غريب ، العقد الفريد ٢/٣١٤ وفيه : رب بعيد .

(٣) عيون الأخبار ٣/١٠٨ وفيه : وأنت سننتها فى الناس ، وقد تقدمت ترجمة اللاحقى .

اخفض الصَّوت إن نطقتَ بليلٍ والتفتْ بالنَّهار قبلَ الـكلامِ[١]

وفى معنى قول اللاحق فى البيت الأول قول الهذلى :

فلا تفزعَنْ من سيرة أنت سرتَها فأولُ راضٍ سنَّةً من يَسيرُها[٢]

---

(١) البيان والتبيين ١/٢٦٦ ، عيون الأخبار ١/٤٤ .

(٢) ديوان الهذليين ١/١٢ . والرواية فى عيون الأخبار ٤/١٠٩ : فلا تجبن ، وفى الشعر والشعراء : لاتجزعن .

باب المملوك والمالك

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لايدخل الجنة سَيّئ الملكة » .

كان يقال : التسلُّط على المملوك دناءة .

وقال بعضُ الحكماء : اذكر عند قدرتك وغضبك قدرةالله عليك ، وعندحكمك حكم الله فيك .

كان يقال : أنعم الناس عيشاً من حَسُن عيشُ غيره فى عيشه .

كان يقال : الإحسان إلى الخادم يُشْجى العدو ، ويُذهب البؤس ، والكسوة تُظهر الغنى .

قال عمر بن الخطاب : أكثروا شراء[1] الرقيق ، فرب عبد يكون أكثر رزقا[2] من سيده .

اشترى عبدُ الله بن أبى ربيعة المخزومى عبدَ بنى الحَسْحَاس واسمه سُحَيم ، وكان حبشيا سمحاً شاعرًا ، وكتب إلى عثمان بن عفان : إنى قد اشتريتُ لك غلاماً حبشيا شاعرًا فكتب إليه عثمان : لاحاجة لى به ، فإنما حظُّ أهل العبد الشاعر إذا شبع أن يشبِّب بنسائهم ، وإذا جاع أن يهجُوَهم .

---

(١) فى حـ : شرى .
(٢) ا : وفاء .

قال لقمان لابنه : يا بنيّ ! إياك وخدمة العين[1] . قال : وما خدمة العين[1] ؟ قال : ألا يكون لك عبد لا يخدمك إلا حيث يراك[2]

باع أعرابي غلاماً له من قوم من أهـل البصرة ، فجعلوه سقّاءً على ظهر بعير لهم[3] ، فلبث الأعرابي حيناً ثم لقيه فسأله عن حاله ؟ فقال : أنا في سفر لا ينقضي ، وغديرٍ لا يُنزح ، وقوم لا يُرْوَوْن

قال بعضُ الحكماء : أفضل المماليك الصغار ، لأنهم أحسن طاعة ، وأقل خلافاً ، وأسرع قبولا .

كان يقال : استخدم الصغير حتى يكبَر ، والأعجمي حتى يَفْصُح .

روى سفيان بن عيينة ، عن سليمان الأحول ، عن ابن معبد ، عن ابن عباس ، قال : من حلف على ملك يمينه أن يضربه فكفارته تركُه ، ومع الكفارة حسنة .

قال أبو الفتح[4] :

بَطَرْتُمْ فطرتُم والعصا زَجْرُ من عَصَى وتقويمُ عبدِ الهُون بالهُون رادعُ

---

(١) فى ا : الغير .

(٢) فى ا : حيث يراك الناس .

(٣) ساقطة من ا .

(٤) فى ح : ابنة الفتح ، وأبو الفتح هذا هو على بن محمد بن الحسين العميد ، وزير شاعر ، كان يلقب بذى الكفايتين ، تولى الوزارة بعد أبيه (ابن العميد) لركن الدولة البويهى بالرى ونواحيها سنة ٣٦٠ هـ ، واستمر الى أيام مؤيد الدولة حتى قبض عليه وقتله سنة ٣٦٦ هـ . انظر الأعلام وهامشه ٥/١٤٣ ، وانظر البيت فى التمثيل والمحاضرة ١٢٢ ، يتيمة الدهر ٣/١٩٠ وفيها نافع بدل رادع ، خاص الخاص ١٢٧ .

وقال آخر :

إذا لم يكنْ فى منزلِ المرءِ حُرّةٌ   رأى خللاً فيما تدير الولائدُ

فلا يتخذ منهن حرٌّ قعيدةً   فهن لعمر الله بئسَ القعائدُ(١)

قال آخر :

العبدُ يُزْجَرُ بالعصا   والحرُّ تكفيه الملامَه(٢)

وقال آخر :

العبدُ يقرعُ بالعصا   والحرُّ تكفيه الإشارهْ(٣)

أخذه من قول مالك بن الرَّيْب :

العبدُ يُقرع بالعصا   والحُرُّ يكفيه الوعيدُ(٤)

وقال بشار(٥)

الحُرُّ يُلحَى والعصا للعَبْدِ   (٦ وليس للملحف مثلُ الردِّ ٦)

---

(١) البيتان فى التمثيل والمحاضرة ٢١٨ ، محاضرات الأدباء ٨٧/٢ ، المحاسن والأضداد ٢٥٤ ، وفيهما : ضيعة بدل خللا .

(٢) نسب هذا البيت فى الحيوان ٤٨٣/٦ إلى خليفة الأقطع ، ونسب فى البيان والتبيين ٣٢/٣ ، وفيات الأعيان ٣٨٩/٥ إلى يزيد بن مفرغ ، وورد فى التمثيل و المحاضرة ٢٩٦ بدون نسبة .

(٣) البيت للصلتان الفهمى انظر البيان ٣٣/٣ ، المؤتلف ١٤٥ .

(٤) البيان والتبيين ٣٢/٣ .

(٥) ديوانه ٢٢٤/٢ ، وفيه : يوصى بدل يلحى .

(٦) ساقطة من ج .

كان يقال : الحرُّ حرٌّ وإن مسه الضُّر ، والعبد عبد ولو مشى على الدُّر .

أخذه الشاعر فقال :

وان الحرَّ فى الحالات حرٌّ   وإن الذُّلّ يُقْرن بالعبيـدِ[1]

وقال يزيد المهلبي :

إن العبيد إذا أذللْتَهم صَلُحُوا   على الهوان وإن أكرمتَهم فَسَدُوا[2]

قال المتنبي[3] :

لا تشترِ العبدَ إلا والعصا مَعهُ   إنــ العبيدَ لأنجاسٌ منا كيدُ

وقال آخر :

إذا برم المولى بخدمةِ عَبْـدِه   تجنَّى له ذنباً[4] وإن لم يكنْ ذنبُ

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٢٤ .

(٢) التمثيل والمحاضرة ٢٢٢ ، فصل المقال ٣٨٦ وفيه : إن اللئام بدل العبيد .

(٣) ديوانه ٤٣٤ .

(٤) ى ا : قدم له ذنبا .

باب الذكر والثّناء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم » ؟ قالوا : بم ذا يا رسول الله ؟ قال : « بالثناء الحسنِ والثناء السيِّئ ، أنتم شهداءُ الله في الأرض ، بعضُكم على بعض » .

قال عبد الله بن مسعود : عنوان صحيفة الميت ثناء الناس عليه .

وروى ذلك عن ابن عمر أيضاً .

قال كعب الأحبار : إذا أحببتم أن تعلموا ما للعبدِ عند ربّه[1] فانظروا ما يتبعه من حُسْنِ ثناء .

قال مطرِّف بن الشِّخِّير : عنوانُ كرامة الله لعبده حسنُ الثناء عليه ، وعنوان هوانه سوء الثناء عليه .

قال بعض الحكماء : الناس أحاديث ، فإن استطعت أن تكون أحسنَهم حديثاً فافعل .

ومن ها هنا — والله أعلم — أخذ ابن دريد قوله :

---

(١) في ا : عند الله .

وإنما المرء حـــديثٌ بعدَهُ فـكن حديثاً حسنا لمن وَعَى(١)

قال آخر :

أرى الناسَ أحـــدوثةً فـكونِى حَـــديثًا حَسَن(٢)

قال آخر :

وكلُّ جديد — يا أميمَ — إلى البِلَى وكلّ امرئٍ يوماً يصير إلى كانا(٣)

وقد مضى قول حاتم الطائى :

أخافُ مَذَمّاتِ الأحاديثِ مِن بَعْدِى(٤)

مات ابنٌ لحبيب بن المهلب(٥) ، فقدم أخاه يزيد ليصلى عليه ، فقيل له : أتقدمه وأنت أسنُّ منه ؟ قال : إن أخى قد شرّفه النـاسُ وشاع له فيهم الصيت ، وَرَمَتْه العربُ بأبصارها ، فـكرهت أن أضعَ منه ما رفع الله .

---

(١) فى ا : وإنما الناس حديث حسن .

(٢) ورد البيت فى ا هكذا :

أرى الناس أحدوثة للزمان فـكن فيهم حديثا حسن

وقد زاد الناسخ فيه كلمتين ، وهو مالم ترد به رواية البيت فى المراجع ، انظره فى التمثيل والمحاضرة ٨٧ ، منسوبا لعبد الصمد بن المعذل . وانظره فى الـكامل ١/٢٣٧ ، محاضرات الأدباء ١/١٨٠ بدون نسبة .

(٣) البيت فى حماسة البحترى ٣٣٢ ، البيان والتبيين ٣/١٦٠ .

(٤) سبق هذا مع أبيات أخرى .

(٥) ابن أبى صفرة ، أحد شجعان العرب وأشرافهم ، كانت له ولاية كرمان من قبل عبد الملك بن مروان ، وعزل عنها سنة ٨٧ ، ثم صحب أخاه يزيد فى أعماله وغزواته حين خرج بالبصرة على يزيد بن عبد الملك وقتل =

قال رجل من غنىّ(١) :

فإذا بلغتُم أهلَكمْ فتحدّثوا ومن الحديث مهالكٌ وخلودُ

قال آخر :

فأثنوا علينا لا أبًا لأبيكمُ بإحسانِنا إن الثناء هو الخُلْدُ(٢)

قال الأسدى :

فإنى أحبُّ الخلدَ لو أستطيعُهُ وكالخُلْدِ عندى أن أموتَ ولم أُلَمْ(٣)

كان أبو عمرو بن العلاء يتمثل :

وسيَبْقى الحديث بعدك فانظرْ خيرَ أُحدوثة تكونُ فكُنْها(٤)

= معه سنة ١٠٢ هـ (الأعلام ٢/١٧٣ وهامشه) ، أما أخوه يزيد فقد كان أحد رجالات العرب الأجواد الشجعان ، تولى خراسان بعد أبيه سنة ٨٣ فمكث نحوا من ست سنين ، ثم عزله عبد الملك برأى الحجاج الذى كان يخشى بأسه ، ولما تم عزله حبسه الحجاج فهرب منه إلى الشام وظل فيها حتى ولاه سليمان بن عبد الملك العراق وخراسان ، فبقى عليها حتى تولى عمر بن عبد العزيز فعزله وحبسه ، ثم استطاع غلمانه أن يخرجوه بعد وفاة عمر فسار إلى البصرة وغلب عليها سنة ١٠١ ، إلى أن استطاع مسلمة بن عبد الملك هزيمته وقتله سنة ١٠٢ هـ . انظر : الأعلام ٩/٢٤٦ والمرجع الكثيرة التى أوردها عنه فى هامشه .

(١) فى حـ : الغنوى ، والبيت أنشده الجاحظ كما فى الكامل ١/٢٢٣ ، وانظره فى الحيوان ٣/٤٧٥ ، وفيه أرضكم بدل أهلكم ، ومتالف بدل مهالك ، ورواية عيون الأخبار ٣/١٦١ كما هنا .

(٢) البيت للحارثى كما فى الأغانى ٣/٢٧٥ ، وانظر الكامل ١/٢٢٣ . وقال أنشده الجاحظ ، وفيه بأفعالنا بدل إحساننا ، وانظر عيون الأخبار ٣/١٦١ .

(٣) نسب هذا البيت فى معجم الشعراء ٣٩٠ إلى مضرس بن ربعى بن لقيط . وانظره بالنسبة التى هنا فى البيان والتبيين ١/٢٢٣ ، ٣/٢٦٤ . الحيوان ٣/٤٧٥ . محاضرات الأدباء ١/١٨٠ .

(٤) نسب البيت فى البيان والتبيين ٣/٢٦٤ ، الحيوان ٣/٤٧٥ إلى الحادرة (قطبة بن أوس) .

قال داود بن جَهْوَر ، (١ وتنسب إلى منصور ، وليست له وقد رويناها لداود ، والله أعلم ١) :

إذا أعجبتـك طباعُ امرئٍ فـكنْهُ يكن منك مايعجبُكْ
فليس على الجودِ والمكرُماتِ حجابٌ إذا جئتَه يحجُبُكْ

قال آخر :

ذ كرُ الفتى عمرُه الباقى وحاجتُه ما قاتَهُ وفضولُ العيش أشْغالُ[٢]

قال التِّهامى[٣] :

بيْنَا يُرَى الإنسانُ فيها مُخْبِرًا حتّى يُرَى خَـبرًا من الأخْبَارِ

---

(١) زيادة من ا ، وقد ورد البيتان فى محاضرات الأدباء ١/١٤٩ ، ١٥٠ منسوبين إلى أبى العيناء

(٢) البيت فى محاضرات الأدباء ٢/٣٢٠ ، وفيها عمره الآتى ، مافاته من فضول الخ .

(٣) هو على بن محمد بن نهد التّهامى ، أبو الحسن ، شاعر مشهور من تهامة ، زار الشام والعراق وولى خطابة الرملة ، ثم رحل إلى مصر متخفيا ، ومعه كتاب من حسان بن مفرج الطائى أيام استقلاله ببادية فلسطين إلى بنى قرة قبيل عصيانهم بمصر ، فعلمت به حكومة مصر فاعتقل وحبس ، ثم قتل فى محبسه سنة ٤١٦ هـ . انظر : وفيات الأعيان ١/٥٧؛ (الأعلام وهامشه ٥/١٤٥ ، ١٤٦) .

بابُ البكاء على مامضى من الأزمان والتلهُّف على صالح الإخوان ، والحنين إلى الأوطان

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر : « فكيف بك يا عبد الله إذا بقيت فى حُثالة من الناس قد مَرَجَتْ عهودهم[1] وخفّت أماناتهم » ؟

قيل لبعض الحكماء : بأىّ شىء يُعرف وفاء الرجل دون تجربة واختبار ؟ قال : بحنينه إلى أوطانه ،[2] وتلهُّفه على ما مضى من زمانه .

روى أبو العلاء زكريا بن يحيى بن خلّاد ، عن الأصمعي ، قال : قال أعرابى : إذا أردت أن تعرفَ وفاء الرجل ودوامَ عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه [2] وتشوّقه إلى إخوانه ، وبكائه على ما مضى من أزمانه .

روى عروة عن عائشة : أنها تمثلت بقول لبيد[3] :

ذهب الذين يُعاش فى أكنافِهم ... وبقيتُ فى خَلَفٍ كجلدِ الأجْرَبِ

يتحدثون ملالة وخيانةً ... ويُعاب قائلهم وإن لم يَشْغَبِ[4]

---

(١) مرج العهد : لم يف به .

(٢) ساقط من ا .

(٣) ديوانه ٧ .

(٤) يشغب : يهيج الشر ، ورواية الكامل ٢/ ٧٠ : يتحدثون مجانة وملاذة ، وفى البيان ٢/ ٢٧٠ : مفالة وخيانة ، وفى ا ملامة بدل ملالة ، وانظر الحيوان ٥/ ٢٧٥ .

ثم قالت : كيف لو أدرك لبيد زماننا هـذا ؟! قال عروة : كيف لو أدركت عائشة زماننا هذا ؟ .

بلغ ابن عباس قول عائشة : رحم الله لبيدًا ، كيف لو أدرك زماننا هذا ؟ فقال ابن عباس : رحم الله لبيدًا ورحم عائشة ، لقـد أصبت باليمن سهما فى خزائن عاد ، كأطول ما يكون من رماحكم هذه ، مريّشٌ مفوق مكتوب عليه :

فهل لى إلى أجْبال هند بذى اللّوى ... لِوَى الرَّمْل من قبـل الممات معـاد
بلادٌ بها كنّا ونحن نُحِبُّهـــا ... إذ الناس ناسٌ والبـلادُ بلادُ[1]

[2] قال أبو العتاهية[3] :

لله أزمنةٌ عَهِـدتُ رِجالَها ... فى النائبات وإنَّهم لـكرامُ
ماذا أقول لوافدِ الزمن الذى[4] ... هلك الأرامل فيه والأيتامُ
زمنٌ هوت أعلامه وتقطّعت ... فِرَقًا فليس لأهله أعـــلامُ
زمن مكاسبُ أهله مَدخُولَةٌ ... جدًّا[5] فرُوعُ أصوله الآثامُ

---

(١) انظر هذا الخبر فى العقد الفريد ٢/٣٤٠ ، محاضرات الأدباء ٢/١٦٩ مع اختلاف قليل فى الرواية .
(٢) من هنا ساقط من ح نحو صفحة .
(٣) الأبيات التالية فى ديوانه ٢٤٤ .
(٤) رواية الديوان : فلعبرة أخرت للزمن الذي ... الخ
(٥) فى الديوان : دخلا .

زمن تحامى المكرُماتِ سَرَاتُهُ ... حتى كأن المكرُماتِ حرامُ

روينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخلت عليه عجوزٌ وهو فى بيت عائشة ، فأكرمها وقرّبها ووصلها ، فقالت له عائشة : من هـذه العجوز ؟ فقال : « كانت تأتينا وتزورنا أيامَ خديجة ، وحِفظُ العهد من الإيمان » .

وقال آخر :

ذهبَ الزّمان برهط حسانَ الأُلى ... كانت مناقِبُهم حديثَ الغابرِ
وبقِيتُ فى خَلَفٍ تحلّ ضيوفُهم ... منهم بمنزلةِ اللئيمِ الغادرِ
سودُ الوجوه لئيمةٌ أحسابهم ... فُطْسُ الأنوف من الطرازِ الآخرِ(١)

وقال آخر :

مضى الذين إذا ما جئتُ أسألهم ... قالوا برحبٍ : على العينين والرّاسِ
وقد بقيتُ بأوغادٍ أكابرهم ... ليسوا بناسٍ بَلَى أَشبَاهُ نسناسِ(٢)

وقال عتبة الأعور(٣) :

ذهب الذين أحبُّهم ... وبقيتُ فيمن لا أحبُّهْ

---

(١) انظر الصداقة والصديق ١١٤ .

(٢) إلى هنا ينتهى النقص من حـ . وانظر البيتين فى الصداقة والصديق ١١٥ .

(٣) هو : عتبة بن أبى سفيان بن حرب ، ويسمى الأعور لأن عينه فقئت يوم الجمل الذى شهده مع عائشة وكان عتبة عاقلا فصيحا مهيبا من فحول بنى أمية ، تولى مصر من قبل أخيه معاوية ، فقدمها سنة ٤٣ هـ ، ثم خرج إلى الإسكندرية مرابطا وتوفى بها سنة ٤٤ هـ . انظر : نسب قريش ١٢٥ ، السيرة الحلبية ١٣٨/٢ (الأعلام ٣٦٠/٤) .

إذ لا يزال كريمَ قو م فيهمُ كلبٌ يسبُّهْ[١]

وقال الحارثِ بنُ[٢] الوليد :

ذهبَ الذين إذا رأونى مقبلا هشُّوا وقالوا مرحباً بالمقبل
وبقيتُ فى خلفٍ كأنَّ حديثهم وَلْغُ الكلابِ تهارَشَتْ فى منهل[٣]

وقال الأحوص :

ذهب الذين أحبُّهم سلفا وبقيت كالمفقود فى خَلَفِ
من كلِّ مطوِىٍّ على حَنَقٍ مُتَصَنِّعٍ يُكْفَى ولا يَكْفِى[٤]

وقال بشار :

فسد الزمان وساد فيه المُقْرِفُ وجرى مع الطِّرْفِ الحمارُ المُوكَف[٥]

كان سفيان الثورى يقول : ذهب الناس فلا مَرْتَعَ ولا مفزع[٦] .

---

(١) البيتان فى الحيوان ٢/٣٠٩ ، وفيه : كريم قومى ... الخ :

(٢) فى حـ : دعى الوليد ، ولم أستطع العثور له على ترجمة .

(٣) البيتان فى الحيوان ٢/٣٠٧ . والولغ : حركة لسان الكلب فى الإناء حين يشرب .

(٤) البيتان فى البيان والتبيين ٣/٢٧٦ ، الحيوان ٣/٨٥ ، وفيها : كالمغمور بدل المفقود ، وفى البيان : متصنع بدل متضجع .

(٥) المقرف : الفرس الذى أمه عربية لا أبوه وهو لايدانى الطرف أى الجواد الأصيل ، والموكف : الضعيف . ورواية حـ : الفرس بدل الطرف .

(٦) المرتع : الخصب والسعة ، والمفزع : الذى يلجأ إليه عند الفزع والحاجة .

ولعبد الله بن المبارك الفقيه ، (١ وتروى لغيره ١) :

دهب الرجالُ المُقتَدى بفَعَالِهِم ... والمنكرون لكلِّ أمرٍ مُنْكَرِ
وبقيتُ فى خلف يُزَيِّن بعضُهم ... بعضاً ليأخذ مُعْوِرٌ من مُعْوِر (٢)
(٣ ركبوا ثَنِيَّاتِ الطريقِ فأصبحوا ... متنكِّبين عن الطَّرِيقِ الأَكْبَرِ
ما أقربَ الأشياءَ حين يَسُوقها ... قدرٌ وأبعدها إذا لم تُقْدَرِ
العلمُ زينٌ للرجال مروءةٌ ... والعلمُ أنفعُ من كنوز الجوهرِ
أأُخَيَّ إنّ من الرجالِ بهيمةً ... فى صورة الرجل السميعِ المبصرِ
فَطِنٌ لكلِّ مصيبةٍ فى مالهِ ... وإذا يُصابُ بدينه لم يشعرِ ٣)

ولأبى حفص عمرو بن علىّ بن بَحْرٍ الفَلَّاس (٤) ، (٥ وكان أحد أئمة أهل الحديث الحفاظ الجلة ٥) :

---

(١) ساقط من ا .

(٢) نسب البيتان فى معجم الشعراء ٣٨٣ إلى دعبل الخزاعى ، ونسبا فى المؤتلف ١٦١ إلى الحكم بن عبدل الأسدى ، والرواية هناك : ذهب الرجال الأكرمون ذوو الحجا . وفى عيون الأخبار ١٢٣/٢ قال أنشدهما ابن الأعرابى ، وانظرهما فى محاضرات الأدباء ١٢/٢ ، الصداقة والصديق ١١٥ بدون نسبة ، وورد بعضها فى معجم الأدباء ١٤٣/٨ منسوبا إلى الحسن بن عبد الله الأصبهاني المعروف بلكذة ، ثم وردت مرة ثانية فى حـ ٣٨/١٢ منسوبة إلى أبى الأسود الدؤلى .

(٣) الأبيات الخمسة ساقطة من جـ ، وانظر الأول والثانى منهما فى المحاضرات والصداقة بالأرقام السابقة .

(٤) ورد هذا الاسم فى ا : أبو حفص عمر بن على بن حفص القلاس ، وفى حـ ، م : عمر بن على القلاس ، والصحيح ما أثبتناه ، وأبو حفص : باحث من أهل البصرة سكن بغداد ، ومات بسر من رأى ، وكان من حفاظ الحديث الثقات ، وله مؤلفات فيه وفى التفسير . انظر : تهذيب التهذيب ٨٠/٨ وما بعدها ، اللباب ٢٣٠/٢ (الأعلام ٢٠٤/٥) .

(٥) ساقط من جـ .

ألا ذهب التكرُّمُ والوَفَاءُ ... وباد رجالُه وَبَقِي الغُثَاءُ

وَأَسْلَمنى الزمانُ إلى رجالٍ ... كأمثال الذئابِ لهم عواءُ

صديقٌ كلما استغنيت عنهم ... وأعداءٌ إذا نَزل البلاءُ[1]

وقال منصور الفقيه :

يا زمانًا أَوْرَث الأَحْـ ... رَارَ ذلًّا وَمَهَانَهْ

لستَ عندى بزمانٍ ... إنما أنت زَمَانَهْ

كيف نرجُو منك خيرًا ... والعُلا فيك مُهَانَهْ

أجنــونًا ما نراهُ ... منْكَ يبدو أم مَجَانَهْ[2]

وقال آخر :

كنا نُعَيِّرُ من يأتى بفاحشةٍ ... والناسُ يَرْعَوْنَ حقَّ الدين والحسبِ

فالناسُ قد تركُوا التعيير كلهم ... لما استوى النَّاسُ فى الفحشاء والكذبِ

وقال آخر :

ذهب الوفاءُ ذهاب أمس الذَّاهِبِ ... فالناسُ بين مُجَاملٍ وَمُوَارِبِ

---

(١) انظر الأبيات مع أخرى فى عيون الأخبار ٢/٣٤٥ . وفيه : إذا ذهب بدل ألا، وجهد بدل نزل .

(٢) نسبت الأبيات التالية فى معجم الأدباء ١٩/٩ ، خاص الخاص ١١١ إلى أبى الحسن بن لنكك البصرى ، والزمانة : العاهة ، والمجانه : عدم المبالاة بقول أو فعل .

وقال آخر :

ذهب التكرمُ والوفاءُ من الورى وتقرَّضا إلاّ من الأشعارِ
وفشت خياناتُ الثقات وغيرهم حتى اتَّهمْنا رؤيةَ الأبصارِ

ولعبد الله بن عبد العزيز بن ثعلبة اليعقوبى الشَّذُونى :

مضى دهر السّماحِ فلا سَمَاحُ ولا يُرْجى لدى أحدٍ فلاحُ
رأيتُ الناسَ قد مُسِخُوا كلابا فليس لديهمُ إلاّ النُّباحُ
وأضْحى الظّرف عنْدَهُمُ قَبيحا ولاَ واللهِ إنَّهُمُ القِبَاحُ
سلامٌ أهلَ إبليسٍ عليكُمْ فإن البَيْنَ أوشكه الرَّواحُ
نروح فنستريحُ اليومَ منكم ومن أمثالكم قد يُسْتَرَاحُ
إذا ما الحرُّ هَانَ بأرضِ قومٍ فليس عليه فى هربٍ جُنَاحُ

وقال آخر :

مضى الجودُ والإحسانُ وَاجْتُثَّ أَصْلُهُ وأَخْمد نيرانُ النَّدى والمكارمِ
وصرتُ إلى ضربٍ من الناسِ آخرٍ يَرَوْنَ العُلا والمجدَ جمعَ(١) الدّراهمِ
كأنهمُ كانوا جميعاً تعاقدُوا على اللُّؤمِ والإمساكِ فى صُلبِ آدمِ

---

(١) فى ا : كسب .

كان بلال لما قدم المدينة ينشد تشوُّقا إلى مكّة ، ويرفع عقيرته[1] :

[3]ألا ليت شِعْرى هل أبيتنّ ليلةً بوادٍ وحولى إذْخِرٌ وجَليلُ
وهل أَرِدَنْ يوماً مياه مَجَنَّةٍ وهل يَبْدُوَنْ لِى شَامَةٌ وَطفِيلُ[2]

ولابن ميّادة واسمه الرَّمَّاح[3] :

ألا ليت شِعْرى هل أبيتن ليلةً بِحَرَّةِ لَيْلى حَيْث رَبَّتْنِى أَهْلِى
بلادٌ بهـا نِيطتْ عَلَىّ تمائمى وَقُطّعْنَ عنّى حين أدركَنِى عَقْلِى[4]

وقال آخر :

أَحَبُّ بلادِ اللهِ ما بين مَنْعِجٍ إلىّ وَسَلْمى أن يَصُوبَ سَحَابُها
بلادٌ بها عَقّ الشبابُ تمائمى وأول أرض مَسّ جلدى ترابُها[5]

وقال آخر :

أحنُّ إلى دهرٍ مَضَى بغَضَارَةٍ إذا العيشُ رَطْبٌ والزمان مُوَاتِى

---

(١) انظر البيتين فى أمالى القالى ١/٢٤٦ ، العقد الفريد ٥/٢٨٢ ، معجم البلدان مادة مكة .

(٢) فى معجم البلدان بفخ ، والإذخر حشيش طيب الرائحة ، والجليل ويسمى أيضا الثمام نبت يستعمل فى بعض علاجات العين . ومجنة جبل لبنى رئل بتهامة ، وشامة وطفيل جبلان قرب مكة .

(٣) ساقط من ا .

(٤) البيتان فى الأغانى ٢/١٠٤ ، زهر الآداب ٣/١٠٣ ، المصون ٢٧ . وفى ا : بوادى الخزامى بدل حرة ليلى ، ونيطت : شدت ، والتمائم : ما يعلق على الصبيان من الأحجبة لحفظهم من العين ونحوها .

(٥) نسب البيتان فى عيون الأخبار ٢/٢٧٦ إلى امرأة من طيىء ، وانظر زهر الآداب ٣/١٠٠ ، أمالى القالى ١/٨٣ ، الكامل ١/٤٠٦ ، فهناك اختلاف يسير فى الرواية ، ومنعج واد يصب فى الدهناء وهى أرض =

وأبكى زماناً صالحا قد فقدتُه ... يقطِّع قلبي ذِكرُه حَسَراتِ

تَمَطَّى علينا الدَّهرُ فى متن قوسِهِ ... ففَرَّقنا منـــه بنَبْلٍ شَتَاتِ

وقال مُتَمِّم بن نُوَيْرَة(١) :

وكنا كنَدْمَانى جُذَيْمَةَ حِقْبةً ... من الدَّهْر حتى قيل لن يَتَصَدَّعاَ

فلما تفرّقنا كأنى ومالـكًا ... لطولِ اجتماعٍ لم نبِت ليلة معاَ

وقال آخر :

خمسون عاماً تولّت فى تَصَرُّفها ... عُسْرٌ ويسرٌ على الحالين أشهدُه

لم أبكِ من زمنٍ صعبٍ لشدَّته ... إلا بكيتُ عليه حين أفقـدهُ

وما جزعت على ميتٍ فجعتُ به ... إلاّ ظَلَلْتُ لِستْر القبر أحسدُهُ

وما ذممـــتُ زمانا فى تقلُّبِهِ ... إلّا وفى زمنٍ قد صرتُ أحمدُهُ

ولأبى عبد الرحمن العطوى ، واسمه محمد بن عطية :

سألتُ عن سبب الإقتار وَالْعَدَمِ ... وعن زوال النَّدى فى العُرْب وَالْعَجَمِ

=لتميم بنجد ، ويروى بدل منعج مشرف ، ويصوب : ينزل ويراق . عق الشباب تمائمى أى شقها والمعنى أننى بلغت سن الشباب بها بعد الصبا .

(١) متمم بن نويرة بن حجرة اليربوعى التميمى ، شاعر كبير من أشراف قومه ، اشتهر فى الجاهلية والإسلام ، وأشهر شعره هو ما قاله فى أخيه مالك الذى قتل فى حروب الردة ، وسكن متمم المدينة فى أيام عمر وتوفى بها نحو سنة ٣٠هـ . انظر فى ترجمته الأعلام ٦/١٥٥ والمراجع الكثيرة فى هامشه ، وانظر البيتين فى الكامل ٢/٢٩٦ ، الشعر والشعراء ١٩٣ ، معجم الشعراء ٤٦٦ .

نُودِى[١] : هَوتْ أنجمُ الإفضال واشتملت أُمٌّ التواصـــل[٢] فى الدنيا على عُقُمِ
أنْعِى إليك مواساةَ الصديق وما قد كَانَ يَرْعَى من الأخلاقِ والذمَمِ
أَنْعِى إليك خِلاَلَ الفضــل قَاطِبةً لم يبقَ منهنَّ إلاّ دارسُ العَـلَمِ
أين الوفاء الذى قد كان يعرفُه قومٌ لقومٍ وأين الحفظ للحُرَمِ[٣]
أين الجميلُ الذى قد كان مُلْتبسا[٤] أهلَ الوفاء وأهلَ الفضلِ والـكرمِ
أَيْسِرْ وأنت صـديقُ الناسِ كلِّهِمُ ثم ابْلُ سرَّهُمُ فى حالة العَدَمِ
فإن وجدتَ صديقا عنـــد نائبةٍ فلستَ من طرقاتِ الخِيَر[٥] فى أَمَمِ
لما أناخ عَلَىَّ الدهرُ كلـكلَهُ وخاننى كلُّ ذى وُدٍّ وذى رَحِمِ
ناديتُ ما فعل الأحـرارُ كلُّهُمُ أهلُ الندى والهدى والبُعْدِ فى الهِمَمِ
قالوا : حَدَا بهم رَيْبُ الزَّمان فَسَلْ أحـداثَهُ عنهمُ تخبرْك عن رِمَمِ[٦]

روينا عن عبد اللهِ بن مُصْعب الزبَيْرى[٧] أنه قال : خرجنا إلى الغزو زمن

---

(١) فى ح : نادى .
(٢) فى ا : أم الفواضل .
(٣) ا : للخدم .
(٤) ا : يلبسه .
(٥) ا : الحزم .
(٦) ا : أمم .
(٧) عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير القرشى الأسدى ، أمير من أهل العدل والورع والشعر والفصاحة ، ولى اليمامة أيام الخليفة المهدى ، ثم ولاه الرشيد المدينة وأضاف إليها اليمن توفى بالرقة سنة ١٨٤ .

مروان بن محمد حتى إذا كنّا ببعض الطّريق أصابنا مطرٌ وابل ، فملنا إلى قصر رفع[١] لنا فصرنا إلى فنائه ، إذ خرجت وليدة فقالت : بأبى وأمى ا من أين أنتم ؟ فقلنا : من مكة . فتنفست الصُّعَداء ، وأنشأت تقول :

من كان ذَا سَـكَنٍ بالشَّامِ يأْلَفُهُ   فإنّ فى غيره أمسى لى السَّـكَنُ
وإنّ ذا القصر حَىٌّ مابه وطـنى   لـكنْ بمكة أمسى الأهلُ والوطنُ
من ذَا يسائل عنّا أين منزلُنـا   فالأُقْحُوَانَـةُ منّــا منزلٌ قَمِنُ
إذ نَلْبَسُ العيشَ صفوًا ما يكدِّرُه   ضِغْنُ الوُشاة ولا يَنْبُو بنا الزَّمنُ[٢]

قال : فمضينا فى غزونا حتى إذا قضينا شأننا وقفلنا راجعين ، أخذَنَا المساء عنـد ذلك القصر ، فأضافنا صاحبُه وأحسن ضيافتنا ، فقلت له : ثَمَّ حاجة . فقال : وماهى ؟ قلت : وليدة صفتها كذا ، إما أن تبيع وإما أن تهب ، فقال : ما شاء الله كانـ ، والله لو كانت حية ما مضيتَ إلّا بها ، ولـكنها ماتت منذ أيام تلهفاً على مفارقة من نشأت معه .

روينـا من وجوه أن أبا خالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيْج فقيه مكة[٣]

---

(١) ق ا : وضع .

(٢) الأبيات للحارث بن خالد المخزومى ، انظرها فى الأغانى ٣/٣٢٥ ، وانظر البيت الثالث فى الـكامل ١٧/٢ ، والرواية فيه وفى ا : من كان يسأل عنا أين منزلنا ، والأقحوانة : موضع قرب مكة .

(٣) كان إمام أهل الحجاز فى عصره ، ويعد أول من صنف التصانيف فى العلم بمـكة ، وهو رومى الأصل من موالى قريش ، مكى المولد والوفاة ، مات سنة ١٥٠ . انظر تاريخ بغداد ١٠/٤٠٠ (الأعلام ٤/٣٠٥) .

رضي الله عنه ، خرج إلى اليمن إلى معن بن زائدة فى دين ركبه ، قال : فلما نزلت عليه رحّب بى وسهّل ، وقال : ما أقدمك هذه المَدَرَة ؟ فقلت : دينٌ ركبنى لم تف به جائزة أمير المؤمنين ؛ فضاق ذرعى فلم أر له سواك ، فخرجت إليك . فقال : قدمتَ خير مَقْدم ، يُقْضى دينك وتنصرف محبورًا إلى وطنك . قال : فأقمت عنده شهورًا فى أحسن مثوًى وأكرم ضيافة ، فإنى لخارج من عنده يومًا إذ رأيت الناس يتأهبون إلى الحج ، فأدركتنى وحشة ، ولم أملك العَبْرة ، وحنَّت نفسى إلى الوطن ، فرجعتُ إليه وقد اغرورقت عيناى بالدّموع ، فقال لى : مالك ؟ قلت : رأيت الناس فى أهبة الحج[١] [٢]والخروج إلى مكة[٢] فذكرتُ أبياتًا لعمر بن أبى ربيعة حملتنى على ماترى. قال : وأىُّ أبياتِ عمر هى ؟ فقلت : قوله[٣] :

[٤]هيهات من أمةِ الوهّابِ منزلُنا ... إذا نزلنا بسِيفِ البحرِ من عَدَنِ

واحتلّ أهلُك أجيادا فليس لنا ... إلا التذكرُ أو حظٌّ من الحَزَنِ[٤]

بل مانسيتُ غداةَ الخَيْفِ[٥] موقِفَها ... وموقِفِى ، وكلانا ثَمَّ ذو شَجَنِ

وقولَهَا للثُّريّا وهى باكيَةٌ ... والدمعُ منها على الخدّيْن ذو سُنَنِ[٦]

---

(١) فى : ا يتأهبون للحج .

(٢) ساقط من ا .

(٣) الأبيات فى ديوانه ١٢٦/٢ . وانظرها مع القصة فى الأغانى ١١١/١ .

(٤) ساقط من حـ . وسيف البحر : ساحله . وأجياد : موضع بمكة سمي بذلك لأن تبعا حين نزل مكة ربط فيه جياده ، وقيل غير ذلك ، انظر معجم البلدان ٢١٣/٢

(٥) الخيف : موضع بمنى .

(٦) ذو سنن : ذو طرائق .

بالله قولى له فى غـــير مَعْتبةٍ : ماذا أردتَ بطول المكث فى اليمنِ
إن كنتَ حاولتَ دُنياً أو رضيتَ بها فما أَخَذْتَ بتَرْكِ الحجِّ من ثمنِ

فقال : أتعزم على الرحيل والرجوع إلى وطنك ؟ قلت : نعـم . قال : صحبتك السلامة ، ورُزقت العافية . وخرجت من عنده فما وصلتُ إلى موضعى ، حتى سبقنى خمسةَ عشرَ بغلاً عليها عَصْبُ اليمن[1] ، ودراهم ، وضروب من الخير ، فقضيت دينى وتأثّلتُ منه كنزاً[2] مما بيدى اليوم .

(١) نوع من الغزل اليمنى مشهور .
(٢) فى ا : كثيراً .

باب مدح مغالبة[1] الهوى وذم اتباعه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حُبُّكَ الشيء يُعْمِى ويُصِمّ » .

قال وهب بنُ منبِّه : العقلُ والهوى يصطرعان ، فإيّهما غلب مال بصاحبه .

قال ابن دُرَيْد :

وآفةُ العَقْلِ الهوى فمن عَلاَ　　على هَوَاهُ عقلُه فقد نَجَا

قال عمر بن عبد العزيز : أفضل الجهاد جهاد الهوى .

قال بعض الحكماء : من نظر بعين الهوى خاف ، ومن حكم بالهوى جار .

قال سفيانُ الثورى : أشجع الناس أشدهم من الهوى امتناعاً .

وقال : من المحقّرات تنتج الموبقات .

ويقولون : إن هشام بن عبد الملك لم يقل بيت شعرٍ قَطُّ إلاّ هذا :

إذا أنتَ لم تَعْصِ الهوى قَادَكَ الهوى　　إلى بعضِ ما فيه عَلَيْكَ مَقالُ[2]

---

(١) فى ا : باب ذم معالنة ... الخ .

(٢) انظر البيت فى الكامل ١/٢٣٦ ، محاضرات الأدباء ١/٢٥٤ ، وورد فى البيان ٣/١٦٩ برواية مختلفة هى :

إذا ما أطعت النفس مال بك الهوى　　إلى كل ما فيه عليك مقال .

(قلتُ[١] : لو قال :

إلى كلّ ما فيه عليك مَقَالُ)[٢]

كان أبلغ وأحسن .

قال بعضُ الحكماء : إنما يحتاج اللبيبُ ذو الرأى والتّجربة إلى المشاورة ليتجرّد له رأيه من هواه .

قال بعضهم : اعص النساءَ وهواك ، واصنعْ ما شئت .

قلتُ[٣] : لو قال اعص الهوى لاكتفى .

قيل للمهلّب : بم ظفرت ؟ قال : بطاعة الحزم وعصيان الهوى .

قالوا : ما ذكر اللهُ تعالى الهوى فى شىء من القرآن[٤] إلا ذمه .

قيل لشُرَيْح : أحمد الله لما سلمك من الفتن . قال : كيف أصنع بقلبى وهواى ؟

قال بزرجمهر : الهوى غالب ، والقلوب مغلوبة .

قال امتدح بترك الهوى جماعة من الحكماء ، قال الزبير بن عبد المطلب :

---

(١) فى حـ : قال أبو عمر .

(٢) ساقط من ا .

(٣) فى ا ، حـ : قال أبو عمر .

(٤) ا : فى كتابه .

وأجتنبُ البوائقَ حيث كانت   وأتركُ ما هويتُ لما خشيتُ[1]

أخبرنا عبد الوارث ، حدثنا قاسم ، حدثنا نصرُ بن محمّد الأسدىّ الكوفىّ ، حدثنا إبراهيم بن عثمان المَصِّيصى ، حدثنا مُخَلّد بن حسين ، حدثنا هَشّام ابن حسان ، عن محمد بن سيرين قال : بينا عمر بن الخطاب يجوس ذات ليلة إذ سمع امرأة وهى تقول :

هل مِنْ سبيلٍ إلى خمرٍ فأشْرَبَها   أم من سبيلٍ إلى نصرِ بن حجّاجِ

فلما أصبح قال : علىّ بنصر . فجىء به ، فإذا هو أجمل الناس ، فقال : إنها المدينة فلا تساكنىِّ فيها . فخرج إلى البصرة فنزل على ابن عمٍّ له ، هو أمير البصرة ، فبينما هو جالس مع ابن عمه وامرأته ، إذ كتب فى الأرض : إنّى لأحبُّك حبًّا لو كان فوقك لأظلك ، ولو كان تحتك لأقلّكِ . فقرأته وكتبت تحته : وأنا . وكان الأميرُ لا يقرأ ، فعلم أنه جوابُ كلام ، فأكفأ عليه إناءً وقام وبعث إلى من يقرأه ، فبلغ ذلك نصرًا ، فلم يجىء إليه ، ومرض حتى سلّ وصار شبه الفرخ ، فأخبر الأميرُ بذلك ، فقال : اذهبى إليه ، فأبت ، فقال : عزمتُ عليكِ إلاّ ذهبتِ إليه وأسندْتِهِ إلى صدرك وأطعمته .

قال : فلما أتت الباب قيل له : هذه فلانة . فكأنه انتعش شيئا ، فصعدت

---

(١) انظره فى عيون الأخبار ٢/٦٦ .

إليه وأَسندَتْه إلى صدرها وأطعمتْه ، فأَفاق ، فخرج من البصرة واستحيا من ابن عمه فلم يلقه بعدها .

قال إبراهيم بن عثمان :(١ الأمير مُجَاشع بن مسعود السُّلَمى ، وامرأته الخضراء ١)

(١ قال إبراهيم بن عثمان ١) : وأخبرنى محمد بن كثير ، أن نصر بن حَجّاج كتب إلى عمر رضى الله عنه :

لعَمْرى لئن سَيَّرْتنى وَحَرَمْتَنِى ... وما جئتُ ذَنْباً إنّ ذَا لحـرامُ (٢)

ومالى ذنبٌ غـيرَ ظنّ ظننتَهُ ... وفى بعضِ تصديقِ الظنونِ أَثامُ

أَأَنْ غنّت الذَّلفاءِ يوماً بمُنْيَـةٍ ... وبعضُ أمانِىّ النساءِ غَـرَامُ

ظننتَ بى الأمرَ الذى لو أتيتُه ... لمـا كان لى فى الصَّالحين مقـامُ(٣)

---

(١) ساقط من ا ، هذا وقد ذكر فى الأغانى ١٩/ ١٤٣ أن اسم امرأة الأمير هو شميلة بنت جنادة بن أبى أرهر الزهرانية ، وفى هامش عيون الأخبار ٤/ ٢٤ أورد ماجاء فى تاج العروس مادة شمل من أن اسمها هو شميلة بنت أبى أزيهر الدوسى زوج مجاشع بن مسعود السلمى أمير البصرة ، وقال وفى تزيين الأسواق لداود الأنطاكى أنها شميلة بنت أبى حياء بن أبى بهر ، وكانت من أجمل النساء وعلى أى حال فقد اتفقت الروايات على أن اسمها شميلة فلعل ما ذكره المؤلف من أنها الخضراء هو لقب لها . وبهذه المناسبة فقد وردت هذه القصة فى المراجع السابقة وفى المحاسن والأضداد ١٨٩ بما لايخرج فى مضمونه عن هنا ، وأوردها ابن أبى الحديد فى نهج البلاغة ٣/ ١٥٢ بفضل تفصيل إلى حد أنه تتبع حياة نصر ، وذكر له قصصا غرامية أخرى ، ويبدو أن الجزء الأول من القصة هو ما قد حدث فعلا ، أى حادث النفى وما سبقه ، أما الجزء الثانى وأبيات نصر التى كتبها إلى عمر فمشكوك فيها وقد قال ابن قتيبة عن الأبيات فى العيون : أحسب هذا الشعر مصنوعا .

(٢) فى العيون : لعمرى إن . وفى ا صيرتنى .

(٣) فى العيون : ظننت بى الظن الذى ليس بعده ... بقاء ومالى فى الندى كلام

ويمنعُنى ممـــا تمنّتْ حفيظتى   وآباءُ صِـدْقٍ صالحون كرامُ[١]
ويمنعُها مما تمنّتْ صـــلاتُها   وبيتٌ لها فى قومها وصيامُ[٢]
فهاتان حالانا فهل أنت راجعى   فقـد جُبَّ منّى غاربٌ وَسَنامُ[٣]

قال بعضُ الحكماء : الهوى عدوّ العقل ، فإذا عرض لك أمران ولم يحضرك من تشاوره فاجتنب أقربهما إلى هواك .

ومما ينسب إلى الشافعى ، وأظنه لسهل الوراق :

إذا حارَ ذهنُــــك فى معنيين   وأعْيَاك حيث الهوى[٤] والصَّوابْ
فدع ما هويتَ فإنّ الهـوى   يقود النفوسَ إلى ما يعابْ

قال غيره : اغتنم من الخير ما عجّلتَ ، ومن الهوى ما سوّفت .

كان يقال : إذا غلب عليـك عقلُك فهو لك ، وإن غلب عليـك هواك فهو لعدوّك .

قال عمر لمعاوية : من أصبرُ الناس ؟ قال : من كان رأيه رادًّا لهواه .

---

(١) فى العيون : تكرمى بدل حفيظتى ، وسالفون بدل صالحون .
(٢) رواية العيون : خباؤها وحال لها مع عفة .
(٣) رواية العيون : وقد خف منى كاهل وسنام .
(٤) فى ا : الهدى .

قال أعرابى : ما أشدَّ جولة الرأى عند الهوى ، وأشد فطام النفس عند الصبر .

قال نِفْطَوَيْه :

إنّ المَرائِىَ لا تريـ ـك خدوشَ وجهكَ فى صَدَاهَا
وكذاكَ نفسُك لا تُريـ ـك عيوبَ نفسك فى هَوَاهَا[1]

وعن نفطويه ، قال : تضيّف صديقٌ لى من أهل الأدب إلى امرأة من أهل البصرة ، فتعرض لها ، فقالت : أيها الرجل ! مالك حظ فى غيرة الرجال على الحرم ، فيكون ذلك زاجرًا لك عن التعرض لحرم غيرك ، إن لم يكن لك ناهٍ من دين ؟ أما علمتَ أن الأمور إلى أواخرها تؤول إلى أوائلها ، وإن من عوّد نفسه الرّفَث والخَنَا كان كمن اتّخذ المزابل مجلسًا ، وقلّما مجن[2] رجل إلّا هلك .

قال الشاعر :

الحُبُّ زُورٌ والهَوَى بَاطِلٌ والقلبُ ما أجريتَه يجرى
وَتَرْكُ ما تَهْوَى يسيرٌ إذَا أَعْمَلتَ فيه سَعَةَ الصَّدْرِ

وقال منصورُ النّمرى :

---

(١) نسب البيتان إلى منصور الفقيه فى : محاضرات الأدباء ١/٧ ، وصل المقال ٢٤٤ ، التمثيل والمحاضرة ٣٠١ .

(٢) فى ا : سخف .

وإنّ امرءًا أَوْدَى الغَرَامُ(١) بلُبِّه ... لعريانُ من ثوبِ الفلاحِ سَلِيبُ

قال آخر :

عينُ المحبِّ كليـلةٌ ... عن عَيْبِ كلِّ فتًى يَوَد

قال عمرُ بن أبى ربيعة :

حَسَنٌ فى كُلِّ عينٍ من تَوَد(٢)

وقال رَوْحُ أبو همّـام(٣) :

وعينُ السُّخْطِ تبصرُ كلَّ عيبٍ ... وعين أخى الرّضا عن ذاكَ تَعْمَى

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

فعينُ الرِّضاَ عن كلِّ عيبٍ كليـلةٌ ... ولـكنَّ عينَ السُّخْط تُبْدى المَسَاوياَ

قال أبو العتاهية :

والمـرءُ يَعْمَى عمّـنْ يحبُّ فإنْ ... أَقْصَرَ عن بعضِ مابِهِ أَبْصَرَ(٥)

(١) ى : ا أودى المرام ، وفى حـ : أزرى المدام .
(٢) عجز بيت ، وصدره .
فتضاحكن وقد قلن لها . انظر ديوانه ١/٥٤
(٣) انظر البيت فى الحيوان ٣/٤٨٨ ، واسم الشاعر هناك : روح بن عبد الأعلى أبو همام ، ولم أعثر له على ترجمة .
(٤) لم يرد هذا البيت فى الديوان المطبوع .

بابُ معنى عِشْق النِّساء والهوى فيهن

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودين ، أسلبَ لعقول ذوى الألبابِ منكن » .

سُئل بعض الحكماء عن العشق ، فقال : شغلُ قلبٍ فارغ .

وجد فى صحيفةٍ لبعض أهل الهند : العشقُ ارتياحُ جُمل فى الروح ، وهو معنى تنتجه النجوم بمطارح شماعها ، وتتولد الطوالع بوصلة أشكالها ، وتقبله النفوس بلطيف خواطرها ، وهو بعدُ جلاء للقلوب ، وصَيقل للأذهان ما لم يُفْرط ، فإن أفرط عاد سُقما قاتلا ، ومَرَضا مُنهِكا ، لا تنفذُ فيه الآراء ، ولا تنجعُ فيه الحيل ، العلاج منه زيادة فيه .

حضر عند المأمون يوماً يحيى بن أكْثَم ، وثمامة بن أشْرس ، فقال المأمون ليحيى : خبرنى عن حدّ العشق فقال : يا أمير المؤمنين ! سوانح تسنح للعاشق يؤثرها ويهيم بها تسمى عشقا . فقال ثمامة : اسكت يايحيى ، فإنما عليك أن تجيب فى مسألة من الفقه ، وهذه صناعتنا . فقال المأمون : أجب يا ثمامة . فقال : يا أمير المؤمنين ! إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة أثقبت[1] لمح

(١) فى ح : أثبتت .

نورٍ ساطع تستضيء به بواطن(١) العقل فتهتز لإشراقه طبائع الحياة ، ويتصوّر من ذلك اللّمح نور حاضر(٢) بالنفس متصل بجوهرها فيسمى عشقا(٣) .

وصف أعرابي عاشقا ، فقال : كان يستر عيناً قد درّت مآقيها ، ويحنو على كبد قد أعيت مداويها(٤) .

ذكر رجلٌ أيامَ شبابه وامرأةً كان يهواها ، فقال : ذلك هوًى شربته النفس أيام شبابها ، فاستخفّت بالعاذلات(٥) وعتابها .

وصف بعضُ الحكماء الهوى الذى هو عشقٌ للنساء ، فقال : بَطَنَ فرقَّ ، وَظَهَر فَكَثُفَ ، وامتنع وصفُه عن اللسان فهو بين السّحر والجنون ، لطيف المَسْلك والكُمُون .

وقال بعضُ الأدباء : الهوى جليسٌ ممتع ، وأليف مؤنس وصاحب مُمَلّك ، مسالكه لطيفة ، ومذاهبه متضادة وأحكامه سائرة(٦) ، ملك الأبدان وأرواحَها ، والقلوبَ وخواطرها ، والعيونَ ونواظرها ، والعقولَ وآراءها ، وأَعْطى عنان

---

(١) حـ : نواظر .
(٢) حـ : ويتصور من ذلك اللحم نور خاطر ... الخ .
(٣) انظر هذا الخبر مع اختلاف قليل فى الألفاظ فى العقد الفريد ٣١٧/٢ ، وفيه : أن المأمون سأل عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب فقال ... الخ
(٤) فى ا : مداواتها .
(٥) حـ : بالنازلات .
(٦) ا : جائرة .

طاعتها[١]، وقادَ تصرفها، توارى الأبصار مَدْخلُه، وغَمَضَ فى القلوب مسلَكُه.

قال عباس بن الأحنف، فيما أنشده إسحاق الموصلى له.

فلو كان لى قلبانِ عشتُ بواحدٍ ... وَخَلَّيتُ قلباً فى هواكَ يُعَذَّبُ
ولكنَّما أحيَا بقلبٍ مُرَوَّعٍ ... فلا العيشُ يصفُو لى ولا المَوْتُ يَقْرُبُ
تعلمتُ ألوانَ الرِّضَا خوفَ سُخْطِها ... وَعَلَّمَها حبِّى لها كيف تَغْضَبُ
ولى ألفُ وجهٍ قد عرفتُ مكانَهُ ... ولكنْ بلا قلبٍ إلى أين أذهبُ[٢]

وللصِّمَّة[٣] القُشَيْرِى :

لعَمْرِى لَئِنْ كنتم على النَّأْىِ والغِنَى ... بكُمْ مثلُ مابى إنَّكُم لصديقُ
إذا زَفَرَاتُ الحُبِّ صَعَّدْنَ فى الحشى ... رُدِدْنَ ولم يُفْتَح لهن طريقُ[٤]

للعباس بن الأحنف[٥] :

أَرَى الطَّريقَ قريباً حين أسلُكُه ... إلى الحبيبِ بعيدًا حينَ أنصرفُ

---

(١) ا : زمام أعنتها .

(٢) ديوانه ١٦ .

(٣) ساقط من ا : والصمة القشيرى هو الصمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرة القشيرى ، شاعر غزل ، بدوى ، من شعراء العصر الأموى ، ومن العشاق المتيمين ، كان يسكن بادية العراق وانتقل إلى الشام بعد فشله فى التزوج بمحبوبته ، ثم خرج غازيا يريد بلاد الديلم فمات بطبرستان نحو سنة ٩٥ هـ . انظر الأغانى ٥/١٢٦ طبعة الساسى ، خزانة البغدادى ١/٤٦٤ (الأعلام ٣/٣٠٠) .

(٤) انظر البيتين فى أمالى القالى ١/٢٨ ، محاضرات الأدباء ٢/٣٧ ، ورواية الأمالى : كررن فلم يغلق ، ورواية المحاضرات : رددن ولم يوجد لهن . وفى ا : ينهج بدل يفتح .

(٥) ديوانه ١٥٢ .

أنشدنا أبو القاسم محمد بن نصر الكاتب رحمه الله لنفسه فى معنى بيت عباس هذا :

أمرُّ نشيطاً إذا زُرْتكُمْ ... وأرجِعُ كسلانَ لا أنشَطُ
وسيرُ المطيّةِ ما كدَّنِى ... ولكنْ هوى لكُمْ مُفْرِط

وقال العباس بن الأحنف[1] :

يقرِّبُ الشوقُ دارًا وهى نازِحَةٌ ... من عالَجَ الشَّوْقَ لم يَسْتبعد الدَّارَا

وله[2] :

مُتْ على من غبتَ عنه أسَفاَ ... لَسْتَ منهم بمصيبٍ خلَفاَ
لَنْ ترَى قرّةَ عينٍ أبدًا ... أوْ ترى نحوُهُمْ منصَرَفاَ
قلتُ لمّا شفَّنِى وجدى بِهِم : ... حَسبِىَ اللهُ لما بى وَكَفَى
بيَّنَ الدّمعُ لمنْ يُبْصرنى ... ما تضمَّنتُ إذا ما ذَرَفاَ

ولمحمد اليزيدىّ :

أتيتُك عائذًا بك منْـ ... ـكَ لمّا ضاقَت الحِيلُ

---

(١) ديوانه ٢٧

(٢) الديوان ١٤٠

وصيّرنِى هـواكِ وبى | لحينى يُضْربُ المثـلُ
فإنْ سلمتْ لـكم نفسِى | فمـا لاقيته جَـللُ[١]
وإنْ قتلَ الهوى رجلاً | فإنّى ذلك الرجـلُ

كتب المهدىُّ إلى الخَيْزُرَان وهو بمـكة :

نحنُ فى أفضل السُّرور ولـكنْ | ليس إلّا بكم يتمُّ السّرورُ
عيبُ ما نحن فيه يا أهلَ وُدِّى | أنـكم غبتُم ونحن حضـورُ
فأجدّوا المسيرَ ، بل إن قدرتُمْ | أن تطيروا مع الرياحِ فطيرُوا[٢]

فأجابته :

قد أتانا الذى وصفتَ من الشَّوْ | ق فـكدنا . وما فعلنـا نَطِيرُ
ليت أنّ الرياحَ كن يؤدِّيـ | نَ إليـكم ما قد يجنُّ الضميرُ
لم أزل صَبَّةً فإن كنت بعدِى | فى سُرورٍ فدام ذاك السرورُ

قال بعضُ الأدباء : ما أشد جولة الرأى عند الهوى وفطام النفس عند الصِّبا[٣] ، لقد تصدعت كبدى للمحبّين ، لوم العاذلين قرطة فى آذانهم ، ونيران متأججة

---

(١) ف ح : جدل ، والجلل : الهين الحقير ، ويطلق أيضا على العظيم ، صد .

(٢) انظر الأبيات فى محاضرات الادباء ١/٣٠٧ .

(٣) ف ا : الصبر .

في أبدانهم ، لهم دموع غزيرةٌ على المَغَاني ، كغُروب السَّواني[1] ، وأنشد :

سقى اللهُ أطلالاً لليلى وشُقِّقَتْ　　عليهنّ من غُرِّ الغَمام جيُوبُ
فما تقشعرُّ الأرضُ إن نزَلتْ بها　　ولكنها تُزهَى بها وتطيبُ

وقال آخر :

وقال أناسٌ : لا يضيرُكَ نأيُها　　بلى كلُّ ماشَفَّ النفوسَ يضيرُها
أليس يضيرُ العينَ أن تكثِرَ البكا　　ويُمْنَعَ منها نومُها وسرُورُها[2]

وقال آخر :

فلو أنّ شَرْقَ الشَّمسِ بيني وبينَها　　وأهْلِي وراءَ الشمسِ حيثُ تغيبُ
لحاولتُ قَطْعَ الأرضِ بيني وبينَها　　وقال الهوى لي : إنه لقريبُ

وقال الصِّمَّةُ بن عبد الله القُشَيري :

إذا ما أَتَتْنا الريحُ من نحو أرضكمْ　　أُتينا بريّاكُم فطابَ هُبُوبُها
أتينا بريحِ المسكِ خالطَ عَنْبرًا　　وريحِ الخُزَامى باكَرَتْها جَنُوبُها[3]

---

(١) السواني جمع سانية ، وهي الدلو العظيمة ، وغروبها ماؤها . وتشبه العين بالسانية عندما تفيض منها الدموع .

(٢) البيتان في حماسة أبي تمام ٢/١٢٦ ، أمالي القالي ١/٨٨ منسوبين لتوبة بن الحمير ، وانظر المحاسن والأضداد ١٢٥ ، ورواية ا : يضير النفس بدل العين .

(٣) البيتان في الأغاني ٤/١١٥ .

وقال آخر :

ضافَ قلبي الهَوى فأكثر سَهْوى وجَوَى الحُبِّ مُفظِعٌ كلَّ حُلْوِ
لو عَلاَ بعضُ ما علانى ثَبيرًا[1] ظلّ ضَعْفًا ثَبِيرُ من ذاك يهوى
من يكن من هَوَى الغوانِيَ خُلْوًا يا ثقاتى فإننى غيرُ خُلْوِ

[2] قال العبّاس بن الأحنف :

جرى السَّيلُ فاستبكانِيَ السيلُ إذْ جرى وفاضتْ له من مُقْلتيّ غُرُوبُ
وما ذاك إلّا أنْ تيقنتُ أنّنى أمرُّ بوادٍ أنتِ منه قريبُ
يكون أُجاجًا قبلكم فإذا انتهى إليكم تلقّى طِيبَكُم فيطيبُ
أيا ساكنى شرقىّ دجْلَة كلُّكُمُ إلى القَلبِ من أجل الحبيب حبيبُ [2]

قال بعضهم : لو لم يكن فى العِشْق إلّا أنه يشجع قلب[3] الجبان ، ويسخى كف البخيل ، ويصفّى ذهن الغبى ، ويبعث حزم العاقل ، ويخضع له عزُّ الملوك ، وتَضْرَعُ له صولة الشجاع ، وينقادُ له كلُّ ممتنع ، لكفى به شرَفا .

قال الأصمعى : سمعت أعرابيًّا يقول : إذا ترنمت هتوف الضحى[4] على الغصون

(١) اسم يطلق على عدة جبال خارج مكة .
(٢) ساقط من ح ، وانظر الأبيات فى الديوان ١٦ .
(٣) فى ا : القلب .
(٤) فى [illegible] هبوب الرياح .

أرسلت الشُّئُون[١] مياهها إلى العيون ، فمن ذَاد عينه عن البكا أورث قلبه حزنا .

عشق أبو القمقام بن بحر السقا امرأة موسرة[٢] ، فأطمعته فى نفسها ، فبعث يستهديها[٣] طعاماً ، حتى فعل ذلك غير مرة ، فلما أكثر عليها ، بعثت إليه : رأيت العشق يكون فى القلب ويفيض إلى الكبد ، ثم يستبطن الأحشاء ، وحبُّك لا أراه تجاوز[٤] المعدة .

قال أعرابىٌّ من فَزَارة : عشقت امرأة من طيِّئ ، فكانت تظهرُ لى مودّة ، فوالله ما جرى بينى وبينها شىء من ريبة ، غير أنى رأيت بياض كفها ليلة[٥] ، فوضعت كفّى على كفها ، فقالت : مه ! لا تفسد ما صلح ، فأرفضضت عرقا من قولها ، فما عدت لمثل ذلك .

قال بعضهم : الرجلُ يكتمُ بُغضَ المرأة أربعين يوماً ، ولا يمكنه أن يكتم حبها يوماً واحدا ، ⟨٦ والمرأة تكتم حب الرجل أربعين يوماً ٦⟩ ، ولا يمكنها أن

---

(١) فى ا : الشوق ، والشئون : مجاري الدمع فى العين .

(٢) فى الكامل ٢/١١ : عشق أبو القمقام بن بحر السقا جارية مدينية ، وقد ورد الخبر هناك بتفصيل أكثر .

(٣) فى حـ : لسيدتها .

(٤) فى ا : وحبك لا يجاوز .

(٥) فى ا : فى سواد الليل .

(٦) زيادة يستقيم بها الغرض .

تسكتم بغضه يوما واحدًا .

قال يوسف بن هرون[1] :

دقّتْ مَعَانِى الحبِّ عن أَذْهَانِهم   فتأَوَّلُوهَا[2] أقْبحَ التأْويلِ

وقال كُثَيِّر :

إذا ما أرادتْ خُلَّةٌ أن تستَمِيلَنا   أَبَيْنَا وقُلنا الحاجبيةُ أَوَّلُ[3]

وقال حبيب :

أتانِى هَوَاها قبل أن أعْرِفَ الهوى   فصادَفَ قلبًا خاليًا فتمكّنَا[4]

لعلىّ بن الجَهْم :

يا سائِلِى ما الهوى اسْمَعْ إلى صِفَتِى   الحبُّ أعظمُ من وصفى ومِقْدَارِى
ماءِ المدامعِ نارُ الشوق تحدُرُه   فهل سمعتَ بماءٍ فاضَ من نارِ[5]

---

(١) الكندى الرمادى ، شاعر أندلسى عالى الطبقة ، أصله من رمادة من قرى شلب ، مولده ووفاته بقرطبة مدح المنصور بن أبى عامر ، ثم شاعت عنه أشعار فى دولة الخليفة ورجالها فسجن ، وظل فى السجن مدة طويلة حتى أفرج عنه . توفى سنة ٤٠٣ هـ . انظر يتيمة الدهر ١/٤٣٤ ، والمطرب من أشعار أهل المغرب ٣ (الأعلام ٩/٣٣٦) .

(٢) فى حـ : فتأولوا .

(٣) البيت فى الديوان ٣١/٢ ، وفيه : تريدنا بدل تستميلنا ، وفى محاضرات الأدباء ٢/٢٢ : إذا واصلتنا خلة كى تزيلها ... عرضنا ، وفى العيون ٤/٢٨ : إذا وصلتنا ... كى تزيلنا .

(٤) فى حـ : فتحكما ، والبيت فى الديوان ٣١٢ ، وقد نسب للمجنون فى الحيوان ١/٤٠ ، ونسب لابن الطثرية فى العقد الفريد ٥/٤١٢ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٢ .

(٥) فى ا : تخرجه بدل تحدره ، وانظرها فى ديوانه ٣٢ .

وقال أبو العتاهية :

أذاب الهوى جسمي ولحمي وقوّتي   فلم يبْقَ إلاّ الروحُ والجَسَدُ النضوُ
رأيتُ الهوى حَجْرَ الغَضَا غير أنّه   على كلّ حالٍ عند صاحبه حُلْوُ[(١)]

وقال آخر :

أُسِرُّ الذي بي والدُّموعُ تَبوحُ   وجِسْمِي سَقيمٌ والفؤادُ قريحُ[(٢)]
وبينَ ضُلُوعي لوعةٌ لم أزلْ بها   أذوبُ اشتياقًا والفؤاد صحيحُ

وقال الصِّمَّةُ القشيري :

أمَا وجَلالِ اللهِ لو تَذْكُرِينَنِي   كذكْرِيكِ ما كفكفتُ للعينِ مَدْمَعَا
فقالت : بَلَى واللهِ ذكرًا لو انَّهُ   يُصَبُّ على صُمِّ الصَفَا لتصدّعا[(٣)]

وأكثرهم ينسبون إليه (٤ في هذا الشعر قوله ٤) :

حَنَنْتَ إلى ريًّا ونفسُك باعَدَتْ   مَزَارَكَ[(٥)] من ليلى وشَعْبَا كُما مَعَا

---

(١) لم يرد البيتان في ديوانه المطبوع .

(٢) في ا : جريح .

(٣) هذا البيتان لم يردا ضمن الأبيات التالية في المراجع ، وقد ذكر ابن خلكان في الوفيات ٥/٤١٣ أن ابن عبد البر وحده هو الذي ذكرهما مع هذه الأبيات في كتابه بهجة المجالس .

(٤) زيادة من ا . وانظر الأبيات للصمة في الأغاني ٢/١٦٧ ، حماسة أبي تمام ٢/٥٤ ، ٥٥ ، أمالي القالي ١/١٩١ .

(٥) في ح : قرارك .

فما حسنٌ أَن تأتىَ الأمرَ طائعًا[1] وتجزعَ أن داعى الصَّبابةِ أسمعَا

بكتْ عينى اليسرى[2] فلمّا زجرتُها عن الجهلِ بعد الحلمِ أسبَلَتا مَعاً

وأذكرُ أيّام الحِمَى ثم أنثَنِي[3] عَلَى كبدِى من خشيةٍ أن تصدَّعا

فليستْ عَشيّاتُ الحِمَى برواجعٍ إليكَ[4] ولكنْ خلِّ عينيك تدمَعَا

ومنهم من ينسبها إلى قيس بن ذَرِيح، وللمجنون أيضا تنسب[5]، والأكثر أنّها للصِّمَّةِ:

(١) فى حـ : عاشق .

(٢) فى حـ : اليمنى .

(٣) فى الحماسة : حتى وجدتنى .

(٤) فى ا : عليك .

(٥) وبالإضافة إلى هذا فقد نسبت في وفيات الأعيان ٥/١٠٣ لابن الطثرية ، ونسبت في العقد الفريد ٦/٣٣ لابن الدمينة .

الفهرس

القسم الأول من كتاب بهجة المجالس

لابن عبد البر

صفحة

تصدير ٣
مقدمة المحقق ٧
مقدمة المؤلف ٣٥
باب آداب المجالسة وحق الجليس الصالح ٣٩
باب حمد اللسان وفضل البيان ٥٤
باب ذم العى وحشو الكلام ٦٠
باب فى اجتناب اللحن ، وتعلم الإعراب ، وذم الغريب فى الخطاب ٦٤
باب اختلاف عباراتهم عن البلاغة ٧١
باب من خطب فأرتج عليه ٧٣
باب حمد الصمت وذم المنطق ٧٥
باب من مزدوج الكلام ٩٠
باب من الأجوبة المسكتة وحسن البديهة ٩٤
باب الأدب ١٠٧
باب ترويح القلوب وتنبيهها ١١٥
باب قولهم فى وصف العيش وما تتمناه النفس ١١٧
باب اختلاف الهمم فى أنواع المال ١٢٨
باب التجارة ١٣١

صفحة

باب الرزق ١٣٧
باب الحرص والأمل ١٥٢
باب ذم السؤال وحمد ما جاء عن غير مسألة من النوال ١٦١
باب انتظار الفرج ١٧٥
باب الحد والجد ١٨٦
باب المال حمداً وذماً ١٩٥
باب جامع القول فى الغنى والفقر ٢٠٥
باب الدين ٢١٥
باب الاقتصاد والرفق ٢١٧
باب السفر والاغتراب ٢٢١
باب التحول عن مواطن الذل ٢٣٨
باب التوديع والفراق ٢٤٦
باب الزيارة والعيادة ٢٥٧
باب العيادة أيضاً ٢٦٢
باب الحجاب ٢٦٥
باب المصافحة وتقبيل اليد والفم ٢٧٤
باب الهدية ٢٨٠
باب الجار ٢٨٩
باب الضيف ٢٩٥
باب المعروف ٣٠٢
باب الشكر ٣١٠
باب فى طلب الحاجات ٣١٧

صفحة

باب السلطان والسياسة ٣٣١
من الأمثال فى السلطان وصحبته ٣٥٣
باب الكتاب والكتابة ٣٥٥
باب الظلم والجور ٣٦١
باب العفو والتجاوز وكظم الغيظ ٣٧٠
باب الغضب ٣٧٥
باب الرجاء والخوف ٣٧٨
باب العافية والبلاء ٣٨٣
باب المرض والطب ٣٨٦
باب الطاعة والمعصية ٣٩٣
باب الغيبة والنميمة ٣٩٧
باب البغى والحسد ٤٠٦
باب الفطن والزكانة ٤٢٦
باب المراء والخصومة والملاحاة ٤٣٠
باب الكبر والعجب والتيه ٤٣٧
باب الرأى والمشورة ٤٤٩
باب كتمان السر وإفشائه ٤٥٨
باب الحرب والشجاعة والجبن ٤٦٦
باب الاعتذار ٤٨٤
باب المواعيد ٤٩٢
باب عيون من المدح ٤٩٨
باب العقل والحمق ٥٣٢
باب من أجوبة الحمقى ومراجعة السخفاء ، وألفاظ النوكى والجهلاء ٥٤٨
باب الملح وما به النفس ترتاح من مباح المزاح ٥٥٦

صفحة

باب المزاح إباحة وكراهة ٥٦٥
باب مدح الصدق والأمانة ، وذم الكذب والخيانة ٥٧٢
باب الحق والباطل ٥٧٩
باب الحياء والوقار ٥٨٩
باب حسن الخلق وسوئه ٥٩٤
باب مكارم الأخلاق والسؤدد ٥٩٨
باب حمد الحلم وذم السفه ٦١٥
باب مدح الجود والكرم ، وذم البخل واللؤم ٦٢٣
باب المروءة والفتوة ٦٤٠
باب امتحان أخلاق الرجال ٦٤٨
باب التودد إلى الناس ٦٦١
باب الاستيحاش من الناس والفرار منهم ٦٦٩
باب الصديق والعدو ٦٨٤
باب جامع متخير فى الإخوان ٧٠١
باب الثقلاء والطفيليين ٧٣١
باب الشماتة ٧٤٣
باب مؤاخاة من ليس على دينك ٧٤٩
باب الولد والوالد ٧٥٦
باب الأقارب والموالى ٧٧٤
باب المملوك والمالك ٧٨٧
باب الذكر والثناء ٧٩١
باب مدح ، غالبة الهوى وذم اتباعه ٨٠٨
باب معنى عشق النساء والهوى فيهن ٨١٥

